مجلة مجمع اللغة العربية



بحوث مؤتمر الدورة الخامسة والستين

القسم الأول

العدد التاسع والثمانون
شعبان ١٤٢١هـ
نوفمبر ٢٠٠٠م

اهداءات ٢٠٠٣

أ.د / شوقى ضيف
رئيس مجمع اللغة العربية

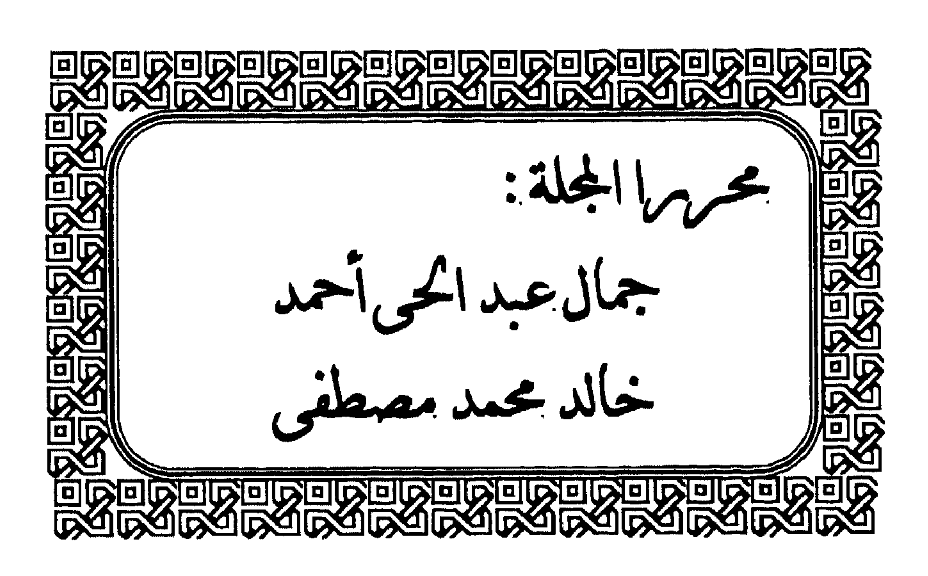
مجلة مجمع اللغة العربية

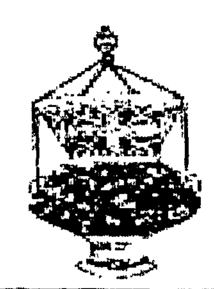
(تصدر مرتين في السنة)

العدد التاسع والثمانون

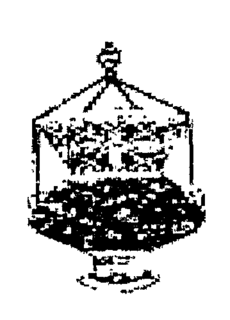
(القسم الأول)

شعبان ١٤٢١ هـ / نوفمبر ٢٠٠٠م

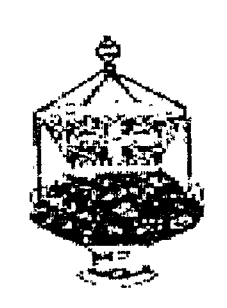

محررا المجلة:
جمال عبد الحى أحمد
خالد محمد مصطفى



الفهرس



الفهرس



الفهرس





أولاً:

كلمات

الجلسة الافتتاحية للمؤتمر



كلمة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع
في افتتاح مؤتمر الدورة الخامسة والستين

السيد الأستاذ الدكتور مفيد شهاب

وزير التعليم العالي والدولة للبحث العلمي :

الزملاء المجمعيون الأجلاء :

السيدات والسادة :

نحتفل اليوم بافتتاح مؤتمر مجمعنا السنوي فى دورته الخامسة والستين، وأشكر باسم المجمع السيد الأستاذ الدكتور مفيد شهاب وزير التعليم العالي والدولة للبحث العلمي لمشاركته المجمع فى هذا الاحتفال، وأرحب معه بالزملاء المجمعيين الوافدين من الأقطار العربية والإسلامية والغربية، وأحييهم تحية تقدير لتجشمهم مشقة السفر إلي المؤتمر كي يسهموا فيه ببحوثهم العلمية القيمة ويتدارسوا - مع زملائهم المصريين - ما أنجزته لجان المجمع طوال الدورة الماضية من مصطلحات لغوية وعلمية في مختلف العلوم وما اتخذته من قرارات . وموضوع المؤتمر هذا العام : "الفصحى والعامية " والفصحى لغة القرآن الكريم الخالدة بخلوده، وهى أقدم اللغات الحية المعاصرة زمنًا وأطولها عمرًا ، خرجت مع الفتوح الإسلامية التي امتدت من الهند والصين إلى المحيط الأطلنطي والجنوب الغربى من أوربا، وظفرت بلغات كل هذه الديار : ظفرت بالفارسية في إيران ، وبالآرامية والنبطية في العراق، وبالسريانية واليونانية فى الشام، وبالديموتيقية واليونانية في مصر، وباليونانية واللاتينية والبربرية في شمال إفريقيا، وبالرومانثية الإسبانية في الأندلس، واستعلت بذلك علي جميع اللغات القديمة في ثلاث قارات : آسيا وأفريقيا وأوربا، واتخذها سكان الديار السابقة لسانا لهم يعبرون بها أدبيًّا عن وجداناتهم ومشاعرهم، وعلميًّا عن ألبابهم وعقولهم،

واستوعبت كل ما عرفته الأمم القديمة من علوم، وأضافت إليها إضافات باهرة، وأصبحت الفصحى بذلك لغة عالمية حضارية، وظلت تقود العالم علميًّا وأدبيًّا طوال ستة قرون حتى نهاية القرن الرابع عشر الميلادي. وعرفت أوربا كنوزها العلمية والفلسفية ، فأكبَّت عليها تتمثلها، وأضاءت لها مسالكها فى العصور الوسطى إلى نهضتها العلمية والفلسفية الحديثة. وأصاب الفصحى ركود فى العصر العثمانى، وعادت إلي الازدهار في القرن التاسع عشر، واستحدثت لغة علمية لمصر والعرب ظلت من الثلاثينيات في القرن الماضى إلى نهايته إذ وقف الإنجليز تعليم العلوم بالعربية فى المدارس العليا بمصر وجعلوه بالإنجليزية . وتزدهر الفصحى ازدهاراً عظيمًا بمصر فى القرن العشرين، ويصبح لها أدباء كبار فى مقالات الصحافة، وفي فنون الأقصوصة والقصة الطويلة والمسرحية بنوعيها الشعرى والنثرى.

ومع مرور الزمن أخذت تتولَّد من الفصحى، في جميع البلاد العربية، عاميات تتميز بفقدانها إعراب أواخر الكلم، فأواخرها تنطق ساكنة دائمـا. وتنشط العامية بمصر مع القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى. وتؤلف كتب نوادر وقصص وبعض مسرحيات، وبعض سير بطولات شعبية. كل ذلك يؤلف بالعامية، وتنظم معها أزجال كثيرة، ولا تعارض أى تعارض بين العامية والفصحى في الحقب الماضية. وتنشط العامية في العصر الحديث، وخاصة في مجال الأزجال، وتضم إليها في القرن العشرين قصصًا عامية كثيرة، وتكثر مجلاتها الهزلية.

وبيننا من يظنون أن العامية لغة تقابل الفصحى، ولا يعرفون أنها لهجة مولدة من الفصحى وأن العلاقة بينهما حميمة. إذ أكثر ألفاظ العامية فصيحة

الأصل، دخلها شيء من التحريف. لذلك ألف مجمعنا من قديم لجنة للألفاظ والأساليب مهمتها تفصيح الألفاظ العامية وتسويغها عربيًّا ، وقد نشر المجمع مجلدين من هذه الألفاظ، وهو يعد الآن مجلدًا ثالثا لنشره، وفي ذلك تقريب واضح بين الفصحى والعامية، والمجمع جاد فيه حتى ترفع الحواجز بينهما نهائيا. وأعلن أن المجمع يرحب بالاتفاق مع صحيفة مصرية تتعهد بنشر الألفاظ العامية التى صحّحها وسوّغها يوميًّا أو أسبوعيًّا وهو واجب قومي .

والفصحى لغة العرب الأدبية الرفيعة فى جميع بلدانهم، وهى لغة الثقافة والعلم والتعليم فى المدارس والجامعات، ولغة الفلسفة والطب والقانون والعلوم الإنسانية وغير الإنسانية، ولغة كل ما نملك من فكر ودين وحياة روحية، وحين تدارست أوربا علومها قفزت من عصورها الوسطى المظلمة إلى عصرها الحديث، وهي لغة الشعوب العربية القومية التى تضم منهم الفم إلى الفم، والفكر إلى الفكر، والروح إلى الروح، وبها تستطيع هذه الشعوب أن يكون لها تكتل سياسي بإزاء تكتلات الغرب السياسية فى العصر، مع أنه لا توجد بين أمة أوربية وأمة لغةٌ مشتركة تجمع بينهما فى وحدة لسانية.

والبلاد العربية جميعا تعمل جاهدة على إتقان أبنائها للفصحى، غير أننا نقصِّر فى ذلك أحيانًا كما يحدث فى بعض المدارس الأجنبية ومدارس اللغات إذ لابد أن يكون إشرافنا عليها كاملاً، وخاصة فى تدريس التاريخ والفصحى، وما يعطى للناشئة فيهما من كتب ومقررات.

ولم أتحدث حتى الآن عن الإعلام وعدوله عن الفصحى إلى العامية في الإذاعة والتليفزيون، ومعروف أن الناشئة والشباب جميعا يتعلقون بما

يسمعون في الإذاعة وما يسمعون ويبصرون في التليفزيون . وأحسب أننا لو كنا عنينا بالفصحى فيهما جميعًا منذ إنشائهما لكسبنا مكاسب طائلة من انتشار الفصحى لا على ألسنة الناشئة والشباب فقط بل أيضا على ألسنة العامة. وينبغى أن يكون الإعلام في بلادنا العربية بالفصحى وحدها، وبذلك نكون حقا أمة عربية واحدة .

وبُحَّ صوت المجمع في مؤتمراته منذ أربعة عشر عاما مناديا الحكومات العربية أن تتخذ موقفا حاسما - حفاظا على هويتنا وقوميتنا - ممن يصرُّون على تسمية المحلاَّت والشركات والفنادق بأسماء أجنبية .

وواجب أن تصدر الحكومات العربية تشريعات تحرم ذلك تحريمًا باتًّا، وتجرِّم من يصرّ على استخدامه بعقوبة رادعة، وواجب أن تكف الشخصيات الرسمية في البلاد العربية جميعًا عن مخاطبة الجماهير بالعامية وأن يخاطبوهم بالفصحى لما في ذلك من تأثير مهم في شغف الجماهير ببيان الفصحى الرائع .

ويسعدنى - في ختام كلمتى - أن أشكر حضراتكم لتفضلكم بتلبية دعوتنا للمشاركة في هذا الحفل ، كما أشكر ضيوفنا من الزملاء المجمعيين الوافدين الكرام راجيا أن يَقْضُوا بيننا أيامًا طيبة في بلدهم الثانى مصر .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

شوقى ضيف

رئيس المجمع

كلمة الأستاذ الدكتور
مفـيد شـهاب
وزير التعليم العالى والدولة للبحث العلمى

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الدكتور شوقى ضيف ، رئيس مجمع اللغة العربية ورئيس اتحاد المجامع العربية :

الأعضاء الموقرون ، من المصريين والعرب والمستعربين ،الضيوف الكرام :

السيدات والسادة :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كان لى فى العام الماضى شرف اللقاء بكم، والحديث إليكم، والاستماع منكم حول عدد من الآراء والتوصيات السديدة، بشأن النهوض باللغة العربية، التى كرستم لخدمتها كل حياتكم، وبذلتهم- ومازلتم تبذلون- الكثير من الجهود البناءة، من أجل الارتقاء بها، وتقريب وسائلها إلى كل المتحدثين بها من أبناء الوطن العربى، الذى يمتد من المحيط إلى الخليج، ويضم أكثر من مئتى مليون نسمة ، تجمعهم روافد تاريخية ودينية عميقة، وتربط بينهم مصالح مشتركة، ويتواصلون فيما بينهم بلغة عربية واحدة.

وكم يسعدنى فى هذا العام، وفى مؤتمركم الخامس والستين، أن نعاود اللقاء معًا، فى رحاب هذا المكان الجليل، مجمع اللغة العربية، الذى يطلق عليه بحق مجمع الخالدين، لأنه يضم صفوة متميزة من علماء اللغة والمهتمين بها، الذى يقف وراء كل منهم تاريخ طويل من التجربة والخبرة، ويتحمل كل منهم مسؤولية الحفاظ على لغتنا العربية، التى كرمها الله تعالى بكونها حاملة لكتابه الخالد، ووعاء لسنة نبيه الكريم .

ومما لاشك فيه أن اللغة العربية، بما لها من حقوق علينا، تستحق منا المزيد من العمل الجاد والمتواصل، حتى تظل حيّة على الألسنة، قوية فى

الأقلام، شامخة بين غيرها من لغات الأمم الأخرى. وعلينا أن نعترف - ونحن متفائلون - أن الخط البيانى لمسيرة اللغة العربية فى العصر الحديث يشير إلى أنها آخذة فى طريق التطور والانتشار . وذلك على الرغم من عدم الوصول حتى الآن إلى تحقيق كل الطموحات لدى الغيورين عليها.

ويكفى أن نلقى نظرة مقارنة على حال اللغة العربية خلال القرن التاسع عشر،وما أصبحت عليه طوال القرن العشرين، لنقف على أن هذه اللغة قد اتسع نطاق استخدامها، وزادت نسبة التعليم بها، واستطاعت - بما حباها الله من مرونة وغنى - أن تستوعب فى مصطلحاتها معظم منجزات العصر الحديث، وتقنيات التقدم العلمى .

وهنا ينبغى أن نحيى ذكرى تلك النخبة من الكتاب والأدباء والمفكرين، والذين أبدعوا - من خلال اللغة العربية - روائعهم ، التى ما زلنا نقرؤها حتى اليوم . كما ينبغى أن نحيى أولئك المعلمين الذين أفنوا أعمارهم فى تدريس اللغة العربية لأجيال متعاقبة، فى مدارس المدن والقرى والنجوع. وأخيرًا ينبغى ألا ننسى الدور المهم الذى قامت به وسائل الإعلام، فى نشر اللغة العربية وذيوعها على أوسع نطاق بين جماهير الأمة كلها .

وعلى المستوى الدولى، أصبحت اللغة العربية واحدة من اللغات الست المستخدمة فى الأمم المتحدة، والمنظمات التابعة لها، كما لم يعد النقل منها أو إليها يمثل عقبة فى سبيل توصيل الأفكار، وتبادل وجهات النظر. وفى كل الجامعات الغربية تقريبًا، توجد الآن مراكز متخصصة لتعليم اللغة العربية، لغير الناطقين بها، الأمر الذى يعكس رغبة العالم فى تعلمها ، كما يؤكد القيمة الثقافية والحضارية التى تحملها لغتنا العربية، سواء فى ماضيها العريق، أو فى مستقبلها الواعد .

أما مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الذى أنشئ سنة ١٩٣٢م، فنحن نعتبره أحد حصونها الشامخة، وقلاعها الحصينة. قام على أساس متين، وظل محافظًا على صلابته فى الدفاع عن اللغة العربية، ضد كل محاولات الهدم والتخريب. وبفضل عينه الحارسة واليقظة، مازال يرصد أدق التفاصيل، ويوجه أبناء الأمة العربية إلى ضرورة التمسك بلغتهم الأم، التى لا تنفصل أبدًا عن انتمائهم لدينهم وحضارتهم وهويتهم.

السادة الأعلام :

رئيس وأعضاء المجمع الموقر:

لعلكم تلاحظون معى أن هذا المؤتمر الخامس والستين هو المؤتمر الأخير فى القرن العشرين، ويقينى أنكم لا تغلقون به صفحة من تاريخ مجمعكم المجيد، وإنما تتوجون من خلاله عددًا من الإنجازات التى حققتموها خلال الفترة الماضية ، يتجلى ذلك فى نشر المعاجم التى أفادت المتعلمين والمثقفين، وبلورة العديد من المصطلحات العلمية فى مجالات الطب والصيدلة، والرياضيات والهندسة، والزراعة والأحياء، والنفط والجيولوجيا، والحاسب الآلى ، بالإضافة إلى مصطلحات الأدب والشريعة والفلسفة والحضارة، وإلى جانب هذا وذاك، قام مجمعكم بالعديد من المحاولات الرامية لتسهيل قواعد اللغة العربية، حتى يمكن استخدامها بيسر وبساطة من جانب المتعلمين .

ومن المؤكد أن صوت مجمعكم الموقر من أجل التعريب والنهوض باللغة العربية فى مختلف مراحل التعليم، وتوحيد المصطلحات، وعدم كتابة اللافتات بحروف غير عربية .. أقول إن هذا الصوت لن يضيع صداه، بل إنه يستحق أن يلقى استجابة من سائر الجهات المعنية. مع الاستفادة فى ذلك كله من خبراتكم وتوصياتكم .

ويسعدنى فى هذا الصدد أن أعلن أمام مجلسكم الموقر أننى قد دعوت فى

إطار المجلس الأعلى للجامعات إلى إقامة ندوة علمية، سوف تعقد بإذن الله بجامعة القاهرة فى بداية شهر مايو القادم، ويشارك فيها كل المتخصصين، من أجل النهوض باللغة العربية فى مجالات التعليم والإعلام. وأرجو أن يكون لجمعكم الموقر نصيب كبير فى فعالياتها، وبلورة التوصيات التى تصدر عنها .

السادة الأعلام :

رئيس وأعضاء المجمع الموقر:

إن أحدًا لا يستطيع أن ينكر ضرورة اللغة فى التفاهم بين الأفراد ، والتواصل بين الشعوب. كما أن أحدًا لايستطيع أن يجحد دورها الحيوى فى حمل الأفكار، والحفاظ على الحضارات. من هنا فإن عملكم المجمعى يعد غاية فى الأهمية، ويحاط بكل التقدير والإجلال: فإنكم من خلال بحثكم فى اللغة ، والتعمق فى دراساتها إنما تعملون على سهولة الاتصال بين الأفراد، والتقارب بين الشعوب ، كما أنكم تساعدون الفكر العربى على أن ينهض من جديد ، لكى يساهم بفعالية أكبر فى حركة التقدم العالمى، ويثبت - كما أثبت من قبل - جدارته فى الريادة والسبق .

وإذا كان عصر الاتصالات والمعلومات الذى بدأنا نعيشه يواجهنا بالكثير من التحديات، فإنه فى الوقت نفسه يفتح أمامنا العديد من الآفاق. لذلك فإننا بدلا من أن نقف مدهوشين أمام هجمته الثقافية، علينا أن نتقدم متماسكين بكل ما لدينا من إمكانيات ووسائل، فى مقدمتها اللغة العربية، التى تعد أهم وسيلة اتصال بين كتلة هائلة من السكان، فى منطقة من أكثر مناطق العالم حركة وحيوية .

أجل إن تكنولوجيا الاتصال والمعلومات تستطيع أن تقوم بدور فعال فى نشر اللغة العربية،والارتقاء بها بين جميع أبناء الوطن العربى على اختلاف شعوبهم، بل إنها من الممكن جدًّا أن تحمل اللغة العربية إلى

أبنائها وأصدقائها فى كل أنحاء العالم.

ولاشك أننا فى هذا الصدد مطالبون بالعمل الجاد والسريع على عدة محاور :

أولاً : الاستمرار فى وضع المعاجم العربية الحديثة لكل الأعمار ، سواء كانت عامة أو متخصصة، أحادية اللغة أو ثنائية ، حتى تكون مراجع، يعتمد عليها أبناء اللغة العربية، فى معرفة معانى الألفاظ وطرق استخدامها، وأنواع دلالاتها .

ثانيًا : الاستمرار فى وضع المصطلحات، وبلورة المعانى المحددة لها، وملاحقة ما يتم فى هذا المجال من منجزات العلم الحديث، والتطورات التكنولوجية المتلاحقة .

ثالثًا: تسهيل مناهج تعليم اللغة العربية لأبنائها من ناحية ، ولغير الناطقين بها من ناحية أخرى.

رابعًا : مواصلة التصدى لمحاولات النيل من اللغة العربية ، والعمل على إظهار الوجه المشرق لها، من خلال النماذج والاستخدامات البلاغية والأدبية الرفيعة المستوى.

خامسًا: تقريب الفجوة القائمة بين اللغة العربية الفصحى واللهجات العامية ؛ وهنا لابد أن أشيد بموضوع مؤتمركم الحالى، الذى اتجه لبحث هذه القضية المهمة، والتى دار حولها جدل كثير، وقسمت الناس إلى فريقين : أنصار الفصحى، وأنصار العامية ، وهو تقسيم ما كان ينبغى أن يحدث . فنحن نتحدث العامية فى حياتنا اليومية الجارية ، لكننا نكتب ونقرأ بالفصحى. ومن الخير أن نعقد بينهما مصالحة بحيث لا تطغى إحداهما على الأخرى، أو تسلب إحداهما مكان الأخرى.ومن المؤكد أنه لا يوجد من يستطيع عقد هذه المصالحة سوى مجمعكم الموقر، مجمع الخالدين .

السادة الأعلام :

رئيس وأعضاء مجمع الخالدين:

إن مؤتمركم الخامس والستين يأتى ختامًا لفترة من تاريخنا الحديث ، حققنا فيها الكثير من الإنجازات ،فى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. ونحن اليوم مقبلون على مرحلة جديدة، تتميز بالرغبة الصادقة فى الانطلاق بمجتمعنا إلى آفاق واسعة من التقدم والازدهار، مؤمنين بأن أهم وسائل النهضة تكمن فى العلم والتعليم، والذى أعلنه السيد الرئيس محمد حسنى مبارك مشروعًا قوميًّا لمصر، وهو يأخذ من الدولة كل الاهتمام، وتتزايد ميزانيته باستمرار ، حتى يحقق نتائجه المثمرة فى التنمية البشرية، التى يعد الإنسان المصرى غايتها وركيزتها فى الوقت نفسه.

ويطيب لى فى هذا المكان الجليل ، مجمع الخالدين بالقاهرة ، أن أتوجه بخالص الشكر والتقدير للقائمين على تنظيم هذا المؤتمر السنوى الحافل ، كما أرحب أشد الترحيب بكل العلماء الأفاضل، الذين يشرفوننا بحضورهم ومشاركتهم، من مختلف الأقطار الشقيقة والصديقة، راجيًا لهم جميعا طيب الإقامة فى بلدهم الثانى مصر، التى كانت ومازالت حصنًا للعروبة، ومنارة عالية للحضارة الإنسانية.

وفقكم الله ورعاكم ، وسدد على طريق الحق والخير والعلم خطاكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

مفيد شهاب

وزير التعليم العالى

والدولة للبحث العلمى

كلمة الأستاذ إبراهيم الترزى

الأمين العام للمجمع

الأستاذ الجليل الدكتور مفيد شهاب
وزير التعليم والدولة للبحث العلمى :
الأستاذ الجليل الدكتور شوقى ضيف
رئيس المجمع :

الأساتذة الزملاء الأجلاء :

أيها السادة :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ،

وبعد

فها هو ذا مجمعنا يبلغُ دورته الخامسة والستين فى فلكه المجمعىّ وهو - بحمد الله - أَوْفَرُ نشاطا، وأكثر عطاء ، وأقدرُ على أداء رسالته التى حَمَلَ أمانتها ؛ لرفعة لغتنا الشريفة الخالدة.

ويُعَدُّ مؤتمرنا السنوىّ مهرجانًا لغويًّا مجمعيًّا، يلتقى فيه أعضاء المجمع: عاملين ومراسلين، عربًا ومستعربين؛ لينظروا فيما أنجزه مجمعُهم من أعمال تتمثَّل فى مصطلحاته العلمية، والأدبية ، والفلسفية، وقراراته اللغوية، وموادِّه المعجمية .

وإليكم بيان الإنجازات المجمعية ما بين : مؤتمرنا السابق، ومؤتمرنا هذا اللاحق .

المؤتمر السابق :

عقد المؤتمرُ ستَّ عشرة جلسة، منها ستٌّ علنية : أولاها - جلسةُ الافتتاح والخمس الباقياتُ خُصِّصَتْ لمحاضرات عامة :

الأولى عنوانها: " ازدهار الفصحى فى القرن العشرين " للأستاذ الدكتور شوقى ضيف رئيس المجمع .

والثانية عنوانها: " اللغة العربية ووسائل النهوض بها فى مصر"للأستاذ الدكتور محمود حافظ نائب رئيس المجمع .

والثالثة عنوانها: " من قضايا اللغة العربية : "العربيةُ ومشاكلها فى مجال المصطلحات العلمية ، ومناقشةُ حال هذه المصطلحات بين الوضع والتعريب " للأستاذ

أحمد شفيق الخطيب عضو المجمع المراسل من فِلسْطين .

والرابعة عنوانها: " نظام الكتابة العربية" للأستاذ الدكتور كمال بشر عضو المجمع .

وخامس هذه المحاضرات عنوانُها: "مُقام الدكتور طه حسين بالمغرب فى صيف عام ثمانية وخمسين وتسْعمئةٍ وألف للأستاذ الدكتور عبد الهادى التازى عضو المجمع من المغرب .

أما الجلسات العَشَر الباقياتُ فكانت مغلقة، نظر فيها المؤتمر أعمالَ اللجان العلمية؛ وهى مصطلحات فى الفيزيقا، والنِّفْطِ ، والرياضيات؛ والهندسة ، وعلوم الأحياء، والكيمياء، والتربية وعلم النفس، والجغرافيا، والتاريخ، والشريعة، والفلسفة الإسلامية، والتربية الرياضية، كما نظر المؤتمر مصطلحات لجنة الأدب، وأعمالَ اللجان اللغوية : لجنة الألفاظ والأساليب ، ولجنة الأصول ، ولجنة اللهجات والبحوث اللغوية، كما نظر المؤتمر طائفةً جديدة من موادٍّ المعجم الكبير، من"خَرْبَد" إلى "خَضَرَ" .

وألقيتْ فى هذه الجلسات المغلقة تسعة عَشَرَ بحثًا، فى موضوعات لغوية، وفى علم الصوتيات ، وفى الحاسبات واللغة العربية، وفى ألفاظ الحضارة ، وفى الثقافة العربية المعاصرة .

وأصدر المؤتمر فى جلسته الختامية توصيات ، منها ما يلى :

*يوصي المؤتمرُ الحكومات العربية اتخاذ الوسائلِ اللازمة لتعريب التعليم الجامعى والعالى فى الوطن العربىّ .

*يُوصي المؤتمرُ بالعناية الكاملة بتعليم اللغة العربية، فى جميع مراحل التعليم، مع تيسير القواعد للناشئة، والاستعانةِ فى ذلك بما أقرَّه المجمع من تيسير لتلك القواعد. مع حفظ قدرٍ كافٍ من القرآن الكريم، يُعدُّهم لتمثُّل اللغةِ العربية، ونُطْق ألفاظها نُطقًا صحيحًا، على أن يلتزم المعلمون بدءًا

من الحضارة، وانتهاءً بالجامعة ، باستخدام اللغة العربية السليمة فى الدروس والمحاضرات .

*يُوصى المؤتمر بأن تعمل الحكومات العربيةُ على التزام اللغة العربية الفصحى فى جميع وسائل الإعلام المقروءة، وفى الإذاعتيَن: المسموعة والمرئيَّة،وفى مسارح الدولة،وأن يعمل الإعلامُ على حماية العربية السليمة: لغة الدين والفكر والثقافة والأدب، والعلم، من كلِّ ما يَعُوقُ أو يُفْسدُ تَعَلُّمَها، ونَشْرَها فى الأمة، مع العناية بإعداد دورات تدريبية للعاملين، فى الإذاعتيْن: المسموعة والمرئية،لتدريبهم على تَجَنُّب اللَّحْن.

*يوصى المؤتمر بالعمل على توحيد المصطلحات العلمية فى جميع البلدان العربية حتى تَزُولَ البلبلةُ فيها؛ بسبب ما تصنعُه بعضُ الهيئات، وبعضُ الأفراد، من وضع معاجمَ اصطلاحيةٍ لا تخضعُ المصطلحات فيها لمناهجَ علميةٍ دقيقة، وينبغى أن يُعْهَدَ بهذا التوحيد إلى هيئةٍ ، أو مركز، يُشْرفُ عليه اتحادُ المجامعِ اللغوية العلمية العربية .

*يُوصِى المؤتمرُ وزاراتِ التربية والتعليم فى الوطن العربىِّ بألاّ تَقلَّ ساعاتُ تدريس اللغة العربية فى التعليم العامِّ عن ستٍّ ساعاتٍ فى الأسبوع ، وألا تقِلَّ النهايةُ العظمى للنجاح فيها عن ستين درجة .

* يَدْعُو المؤتمرُ الحكومات العربية إلى إصدار تشريع يَحْظُرُ كتابة اللافتات على المحالِّ التجارية، والفنادق، والشركات، بلغاتٍ أجنبيةٍ، مع حظر كتابة الأسماء والكلمات الأجنبية بحروف عربية .

المجلس واللجان:

عقد مجلس المجمع إحدى وثلاثين جلسة، منها أربعٌ علنيةٌ لتأبين أربعة من أعضائه : الأولى- لتأبين المرحوم الأستاذ الدكتور محمد السيد غلاب ، وألْقى كلمة المجمع فى تأبينه الأستاذ الدكتور كمال دسوقى عضو المجمع ، والثانيةُ -لتأبين المرحوم الأستاذ عبد الكريم العِزْباوىّ، وألقى كلمة المجمع

فى تأبينه إبراهيم الترزى ، والثالثة- لتأبين المرحوم الأستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى ، وألقى كلمة المجمع فى تأبينه الأستاذ الدكتور الشيخ محمد نايل، وكانت الجلسة العلنيةُ الرابعة- لتأبين المرحوم الأستاذ الدكتور عبد السميع محمد أحمد،وألقى كلمة المجمع فى تأبينه الأستاذ الدكتور عبد الرحمن السيد وقد رُزئ المجمع بفقد اثنين من أعضائه ، هما : المرحوم الأستاذ الدكتور عبد العظيم حفنى صابر، عميدُ الصيدليين العرب ، والمرحوم الأستاذ الدكتور الشيخ محمد رفيدة عضو المجمع المراسل من ليبيا.

أمّا جلسات المجلس المغلقة فقد نظر فيها أعمال لجان المجمع ، وهى: مصطلحاتٌ فى الفيزيقا، والرياضيات، والهندسة، والجيولوجيا والنفط، وعلوم الأحياء، والطبِّ، والكيمياء، والفلسفة، والرياضة البدنية، والأدب، وعلم النفس والتربية، كما نظر المجلسُ قرارات لجنة الألفاظ والأساليب ولجنة الأصول .

-صلاتُ المجمع العلمية :

عقد اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية - عقب المؤتمر- نَدْوتَه الخامسة عشرة فى رحاب مجمعنا على امتداد ثلاثة أيام متوالية ، ناقش فيها بعض المقترحات والقضايا اللغوية وأصدر الاتحادُ بشأنها قرارات، منها ما يلى :

*الموافقة على مشروع المعجم الموحدِ لألفاظ الحضارة ، واعتماد البحث المقدم من الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، رئيس المجمع الأردنى، وعضو مجمعنا، أساسًا لهذا المشروع.

*الموافقة على مشروع الذخيرة العربية، الذى عرضه الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح عضو المجمع المراسل من الجزائر، على أن تقوم بدراسته المجامع والهيئات العلمية؛ للاتفاق على خُطَّة عمل لتنفيذه .

*الموافقة على عقد ندوةٍ لتوحيد منهجية وضع المصطلح العلمىّ ، وقد

دُعِىَ الأستاذ الدكتور عبدُ الحافظ حلمى عضوُ المجمع إلى الجلسة التى نظرت فى هذا الموضوع للإسهام فى مناقشته .

*الموافقة على أن تقوم أكاديميةُ المملكة المغربية بوضع المقابل الفرنسىّ لمعجم الفيزيقا الذى أصدره مجمعنا ، وأن يقوم المجمعُ التّونسِىُّ للعلوم والآداب والفنون (بيتُ الحكمة) بوضع المقابل الفرنسىِّ لمعجم الكيمياء والصيدلة الذى أصدره مجمعنا .

*الموافقة على دعوة رئيس مكتب تنسيق التعريب بالرباط الأستاذ الدكتور عباس الصُّورىِّ، بوصفه مراقبا .

وقد ضيَّفَ مجمعنا ندوةً لمكتب تنسيق التعريب عقدت فى المدة من ٣ إلى ٦ من نوفمبر عام ثمانية وتسعين - لمناقشة مشروعات المعجمات التالية :

*معجم مصطلحات الصيدلة.

*معجم مصطلحات تقنيات الأغذية.

*معجم مصطلحات المُورِّثات .

*معجم مصطلحات الحرب الإلكترونية.

*معجم مصطلحات الطِّبِّ البيطرىِّ .

وقد كانت الندوة بإشراف الأستاذ الدكتور شوقى ضيف رئيس مجمعنا، ورئيس اتحاد المجامع، وشارك فى مناقشة هذه المشروعات المعجمية أعضاءٌ من مجمعنا، ومن المجامع ، والجامعات العربية .

مطبوعات المجمع :

صَدَرَ عن المجمع المطبوعات التالية :

*محاضراتٌ مجمعية للأستاذ الدكتور شوقى ضيف رئيس المجمع .

*معجمُ الهندسة الميكانيكية .

*الجزء الثالثُ من معجم المصطلحات الطبية .

*الجزء الثمانون من مجلة المجمع .

*الجزء السابع والثلاثون من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية .

وفى الطريق إلى الصدور :

*معجم فهارس غريب الحديث.

*معجم المصطلحات القانونية .

*الجزءُ الحادى والثمانون من مجلة المجمع .

أيها السادة :

يحرص مجمعنا فى كل مؤتمر على أن يختار موضوعًا رئيسًا لبحوث أعضائه ، يَتَصدَّى لقضية يتعاظم أثَرُها، أو يُعالج مشكلة يتفاقمُ خَطَرُها، فى شأن من شؤون لغتنا العربية .

وما أكثر الشؤون والشجونَ التى عانَتْ منها لغتُنا طَوالَ هذا القرن ، الذى يُعَدُّ مؤتمرنا هذا آخرَ مؤتمر يُعقد فيه :

ففى غمرة هذه الشؤون والشجون اللغوية- منذ أكثر من مئة عام - وَمَضَتْ فكرة إنشاء مجمع لغوىّ، حين اقتحمتْ حِمَى العربية لغةٌ عاميةٌ، تؤازِرُها أوشابٌ من كلمات أجنبية دخيلة ، أخذتْ تُزاحِمُ الفصحى فى كل موضع، وموقع، حتى كادتْ تطارِدُها، وتحتلُّ مكانها، ومكانتها، لدى الناس! بل إن بعض الكُتّاب أطلق صيحات تدعو إلى أن يتخذَ كلُّ قُطْرٍ عربىٍّ عاميتّه لغة له، زاعمين أن العامية لغةُ الحياة،والمجتمع، مُتَأسِّين فى ذلك بما حدث للغة اللاتينية واللهجات الدارجة فى البلدان الأوربية، التى شَقَّتْ عصا الطاعةِ على اللاتينية - لغتها الأمّ- واستقلَّتْ عنها؛ فكانت اللغة الإيطالية، واللغة الفرنسية، واللغة الإسبانيةُ، وغيرها .

وكانت أصابعُ المستعمرين تُحَرِّكُ الكثيرين من دُعاة العامية؛ بدعوى أن الفصحى لا تَصْلُحُ لغة علم وحضارة، من هؤلاء " وليم ويلْكُوكْس " الذى قال: " إن العامل الأكبر فى فَقْدِ قوةِ الاختراعِ لدى المصريين هو استخدامُهم اللغة العربية الفصحى فى القراءة والكتابة " !

ومضى هذا الاستعمارىُّ يُرَوِّجُ لدعوته الزائفة الباطلة،باتخاذ العامية لغة رسمية،وحشر ونادَى،فتجمَّع حوله كتّابٌ من أذناب الاستعمار،وآزرَتْه صُحُفٌ مأجورة،ولكن الغُيرَ من كتاب مصرَ.وشعرائها،وعلمائها هَبُّوا فى وجه هذه الدعوة النَّكْراء،من هؤلاء شاعرُ النيل حافظ إبراهيم الذى كتب قصيدةً على لسان لغتنا بعنوان:"اللغة العربية تنعى حظَّها بين أهلها"،جاء فيها:

وسِعْتُ كتاب الله لفظًا وغايةً
وما ضِقْتُ عن آيٍ به وعظاتِ
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتَنْسيق أسماءٍ لمخترعاتِ
أنا البحرُ فى أحشائه الدُّر كامِنٌ
فهل سألوا الغَوّاصَ عن صدفاتى ؟
أيُطْرِبُكم من جانب الغرب ناعبٌ
يُنادِى بوأْدِى فى ربيع حياتى؟
أرَى كلَّ يوم فى الجرائد مَزْلَقًا
من القبر يدْنِينى بغيرأ ناة !
وأسْمَع للكُتاب فى مصر ضَجَّةً
فأعْلَمُ أنَّ الصّائحين نُعاتى !
أيَهْجُرُنى قومى - عفا الله عنهمُ -
إلى لغة لم تَتَّصِلْ برُواة ؟!
سَرَتْ لُوثَةُ الإفْرنْج فيها كما سرى
لُعابُ الأفاعى فى مسيل فُراتِ!
فجاءتْ كثوبٍ ضَمَّ سبعين رُقْعَةً
مشَكَّلَةَ الألوان مختلفاتِ!
إلى مَعْشَرِ الكُتّابِ والجمعُ حافلٌ
بَسَطْتُ رجائى بعدبَسْطِ شكاتى

وتنادَى علماءُ العربية وأدباؤها فى مصر، واستنفر بعضهم بعضًا، لإخماد هذه الفتنة فى مهدها، والنهوض بحركة تحرير، وتطهير، لفصحى من ربقَة العامية، ومايَشُوبُها من أجنبيٍّ دخيل، مبادرين إلى إحياء تراثنا اللغوىِّ والأدبىِّ، والعلمىّ، وإلى استنهاضِ طاقات لغتنا العربية ، وتجديدها، وتطويرها ، لتُلَبِّىَ حاجاتِ العصر، وتُعَبِّرَ عن مستحدثاته، فتستردَّ لغتُنا عافيتها، وقدرتها على العطاء، والازدهار .

ولذلك كلِّه صارت الدعوة إلى إنشاء مجمع لغوىٍّ فى طليعة ما نادى به هؤلاء العلماء والأدباء .

وكان قد أنشئ بالقاهرة أول مجمع لغوىٍّ أهلىّ ؛ وهو"مجمع البكرى"، عامَ اثنين وتسعين وثمانمئة وألف، غير أنه توَقَّفَ بعد سنوات، فبادَرَ نادى دار العلوم فى العام الثامن من هذا القرن إلى عَقْد ندوة تجدِّد الدعوةَ إلى إنشاء المجمع اللغوىِّ المنشود ، ثم أنشئ "مجمع دار الكتب المصرية " عامَ ستة عشر ، ولكنه ما كاد يَيْفَعُ ويَشِبُّ عن الطَّوْق حتى جَرَفَه تيارُ الثورةِ المصرية عام تسعة عشر ،

فتَلَقَّفَتْ" دمشق" الرايةَ المجمعية من شقيقتها القاهرة، وأنشأتْ مجمعها في العام نفسه؛ ليُبادرَ إلى إنقاذ العربية الفصحى، فقد كانت عامية الشام تَزْخَرُ بكلمات تركية، وأجنبية، وكان "التَّتْريكُ اللغوىُّ" قد غزا الدواوين، والمدارس، وفى ذلك يقول الأمير مصطفى الشهابىّ، عضوُ مجمعنا، ورئيس مجمع دمشق:

" أذكر أننى درست سنةً واحدةً فى مدرسة تجهيز الحكومة العثمانية بدمشق ،فكانت جميعُ الدروس تُلْقى بالتركية، وكان اللسانُ العربىُّ يُدَرَّسُ أيضًا باللسان التركى، وكان معلِّمُ العربية رجلاً تركيًا، يتكلم لغة الضاد بلهجةٍ تركية، ولا يُفرِّقُ بين المذكر والمؤنث، ولا يَفْقَهُ شيئًا من أدوات اللغة، إلا مبادئ من الصرف والنحو، مطبوعةً فى كتاب تركىّ "

ويقول الأستاذ محمد كرد علىّ، أول رئيس لمجمع دمشق،فى شأن المدارس غير العربية التى انتشرت فى الشام: "كم رأينا رجالاً ونساءً درسوا فى تلك المدارس فصاروا لاهم عربٌ ولا إفرنج، يتكلمون فى بيوتهم بغير لغتهم... إن المدارس غير العربية فى الشام أشْبَهُ بالسارق الذى يسرقُ الأعْلاقَ ونفائس المتاع، أستغفرُ الله ، بل إنَّ مَنْ يسرقُ فَلَذاتِ الأكباد؛ ليُخْرِجَها على ما أراد، أشَقُّ على النفس وَطْأَةً، وأعْظَمُ فى المَغَبَّة أثَرًا" !

ولهذا خاطب الشاعرُ السورىُّ سليمانُ الفاروقىُّ السلطان العثمانىَّ " محمد رشاد " بقوله .

العُرْبُ- لاشَقِيَتْ فى عهدك العُرْبُ-
سيوفُ مُلْكِكَ والأقلامُ والكُتُبُ

لسانُهم أخْلَقَ الإهمالُ جِدَّتَه
فباتَ يَنْعَى على الكُتَّاب ماكتَبُوا

تَمَشَّتِ اللهجةُ العَجْماءُ فيه إلى
أنْ أنكرتْه بَنُوه الخُلَّصُ النُّجُبُ

وهكذا كانت المهامُّ التى حَمَلَها مجمعُ دمشق جسامًا؛ فقد كان عليه أن ينهض بتعريب الدواوين، والتعليم، ويتصدَّى لطوفانِ العامية، التى عَمَّ بلاؤها وطَمّ، حتى طالَ التعليمَ العالِىَ بدمشقَ وغيرِها من بلاد الشام؛فكانت العامية

لغة التدريس فى بعض مدارسه، ومنها مدرستا الطِّبِّ والحقوق ، وفى ذلك يقول الأستاذ محمد كرد علي :

"ومازالت اللغة العامية شائعةً فى مدرستى الطب والحقوق ، ولا شأن للفصحى فيها إلا قليلاً، ؛ لأن معظم المُدرسين من الطبقة التى تخرَّجتْ فى مدارس التُّرك، وهذه الطبقة لا تُقيم للعربية وزنًا، ولا تكتبُ جملةً مسبوكة، ولا تكاد تلفظ كلمة صحيحة.."!وقد انبرى أعضاء المجمع الدمشقى لمواجهة هذا البلاء ، وفى طليعتهم الشيخ عبد القادر المغربىّ ، عضوُ مجمعنا، ومجمع دمشق، الذِى أخذ يُلْقِى محاضراتٍ عامةً عنوانها "عثرات الأقلام " ومحاضرات أخرى عنوانها" عثراتُ الأفْمام " ، عالَجَ فيها ما شاع من أخطاء الكتابة والنطق !

وفى مصر .. ظلت الدعوة إلى إنشاء المجمع اللغوىّ قائمة على قدمٍ وساق، مُتَّخذةً خيرَ مساق، فى زحام الأحداث السياسية الجسام، التى شغلتْ مصرَ سنواتٍ عقبَ ثورتها عامَ تسعة عَشَرَ، حتى صدر مرسوم ملكىٌّ بإنشاء المجمع اللغوى عام اثنين وثلاثين. وقد وُلد هذا المجمع عالمىَّ الوجهِ، عربىَّ اللسان؛ فكان أعضاؤه العاملون المُؤَسِّسُون من مصر ، وسورية، والعراق، ولبنان، وتُونسَ، ومن بريطانيا، وألمانيا، وفرنسا، وإيطاليا، وهولندا، وكان بين هؤلاء الأعضاء العاملين المُؤسِّسين : شيخُ الأزهر إبراهيم حمروش، والأب أنستاس الكَرْمَلِىّ، والحاخامُ حايم ناحُوم !

ثم أنشئ بعد مجمعنا مجمعُ العراق، ثم مجمعُ الأردنّ، ثم تتابعتْ مجامعُ : السودان، وتُونُس ، وليبيا ، وفِلَسْطين.

وقد أخذ مجمعنا - منذ بدأ نشاطه علمَ أربعة وثلاثين - يعملُ بكل طاقاته، وإمكاناته، لتحقيق ما ورد فى صَدْر قانونه، من المحافظة على سلامة اللغة العربية، وجَعْلها وافيةً بمطالب العلوم، والآداب، والفنون، وملائمةً لحاجات الحياة المتطورة .

وكان على المجمع - للوفاء بأمانة

رسالته المجمعيـة - أن يُبادر إلى قضايا لغوية عديدة، بالبحث والدراسة؛ لينتهى من ذلك إلى قول فَصل فى هذه القضايا يحدِّدُ وسائلَ علاجها، والنهوض بها إلى الغايات المنشودةِ للغتنا الشريفة الخالدة.

وكان فى طليعة هذه القضايا التى تَصدَّى لها مجمعنا منذ دوراته الأولى- قضايا : وضعِ المصطلح العلمىّ ، والأدبىّ، والفنىّ، ولغة العلم، وتيسير تعلم العربية للناشئة، والتأليف المُعجمىِّ قديمًا وحديثًا، واللغة العربية المعاصرة ، ولغة الإعلام بعامة، ولغة الصحافة بخاصة، واللهجات العربية، قديمها وحديثها، والتعريب، والأعلام الجغرافية، والفصحى والعامية، التى نعاود بحثها فى هذا المؤتمر؛ لمعاودةِ العامية اقتحام حِمَى الفصحى، ومُزاحَمتها، بل العدوانَ عليها، وبخاصةٍ فى أجهزة الثقافة والإعلام، وعلى ألسنة كثيرٍ من الخطباء، وأقلام بعض الكتاب !

ومنذ اثْنَىْ عَشَرَ عامًا عَقَدَ المجمع الأردنىُّ الشقيق ندوةً عالجتْ هذا الموضوع ، كان عنوانها : ازدواجية اللغة " قُدِّمتْ فيها بحوثٌ أخذتْ موضوع الفصحى والعامية بالدراسة النظرية والميدانية ، فى كل مجالاته ومستوياته .

وقضية الفصحى والعامية من القضايا التى يُستأنَفُ عَرْضُها، وبَحْثُها، بين الحين والحين، مادامت الازدواجيةُ اللغويةُ قائمة،وهى باقيةٌ ما بقيتْ للعلم والأدب لغتهما الفصحى، وللبيت، والشارع ، والسُّوق، ونحوها، لغةٌ شِفاهيةٌ عامية، ولكنَّ مجالَ القول فى هذه القضية يَتَّسِعُ ما اتَّسَعَت الفجوة بين الفصحى والعامية ، حيث تصولُ فيها الأقلامُ وتجول !

فالعامية فى كل بلدٍ عربىٌّ - على الرغم من خروجها من رَحم الفُصْحَى - ينفلتُ عِقالُها، فتُصبح بالغة الخَطَر والأثر ؛ لخفَّة حركتها، وسُهُولتها، ومُرُونَتِها، وتَغَلْغُلها فى حياة الناس، وتَقَلُّبها فى الأسواق ، والمنتديات ، وانتشارها الأفُقِىِّ لدى طوائف المجتمع، والرَّأسىِّ لدى طبقاته ومستوياته. والعاميات بطَبْعِهن جريئات، سافراتٌ، حاسرات، ولا

يَحْتَشِمْنَ من غريب ، أو أجنبىٍّ دخيل، وقد يَعْتَرِى بعضَ العاميات جُنُوحٌ وجُمُوح، فإذا هُنَّ مارقاتٌ، آبِقاتٌ ، من أمِّهِنَّ الفصحى، فلايُذْ رِكُهُنَّ، ويُمْسِكُ بتلابيبهنَّ، إلاّ أولو العزمِ والحزمِ من علماء اللغةِ والاجتماع.

وما هذه الشكوى التى تتردَّدُ فى أيامنا على ألسنة الغُير من المثقفين، وعلى أقلام الكُتّابِ ورجالِ الصحافة ، ناعيةً على مسارحنا هذه المسرحيات العامية البذيئة، التى تسىء أبلغَ إساءةٍ إلى الفنّ المسرحىّ، وإلى مجتمعنا العربىّ، وإلى قيمنا النبيلة الأصيلة!

كما تَتَردَّدُ الشكوى ممّا أخذَ ينتشرُ بين شبابنا من كلماتٍ هى مَسْخٌ شائن؛ فلا هى عربيةٌ ولا أجنبية ، ولا شرقيةٌ ولا غربية !

وتتعاظم الشكوى من مثقفين ما زالت تكمن فى أعماقهم مايُسمى "عقدةَ الخواجة "التى ظَنَنّاها حلَّتْ ، وتَحررَ منها مجتمعنا، بعد تَحَررنا من الاستعمار، فإذا بها مازالتْ تُعلن عن نفسها - فى غير حياء - بهذه الكلمات الأجنبية - التى تتخلَّلُ أحاديث هؤلاء ، حيث يلُوكُونها فى أشداقهم ، متباهين بالانتماء إلى ثقافة أجنبيةٍ مزعومة، ظانِّينَ ظَنَّ السَّوْءِ أنهم يَسْتَعْلُون بها على الناس !

هذه بعضُ العِلَلِ والأدْواءِ التى أصابتْ لغة الخطاب الشفاهِىّ ، أو العامية، دَفَعَتْ مجمعنا إلى معاودة البحث فى قضية الفصحى والعامية، فى مصر ، وفى غيرها من البلدان العربية ، حيث تَتَضافر بحوثنا ، وبحوث زملائنا العرب الأشقّاء؛ لتَفْحَصَ هذه العِلَل والأدْواء، وتَطبَّ لعلاجها.. فالطِّبُّ اللغوىُّ لا ينهضُ به إلاّ كلُّ نطاسىٍّ من علماء اللغة ، وفى طليعتهم أعضاءُ مجامع الخالدين .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

إبراهيم الترزى

الأمين العام للمجمع



كلمة الأعضاء العرب

للأستاذ الدكتور عبد الله الطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي رئيس المجمع ورئيس اتحاد المجامع :

سادتي الحاضرين الكرام من الزملاء والعلماء وفضلاء أهل الأدب والثقافة:

السلام عليكم .

وأعتذر إليكم إذ لم أعد كلمة لهذا المقام الذى هو لى شرف خصني به سيدي الرئيس أطال الله بقاءه وأغدق عليه آلاءه.

أعتذر إليكم رجاء أن تتجاوزوا عن زلَلٍ أزله، والله أسأل التوفيق والسداد.

وإني لن آلو أحمد لمصر هذا المجمع الشريف - الذي فيه إحياء لعلوم العربية وآدابها، وخدمة كريمة لتراثها ، وفيه من كرم الضيافة وحسن الترحيب وجمال السخاء . ثم هو بعد ذلك يتيح من فرص اللقاء ما هو في ذاته كسب عظيم أن يكون موسمًا تتطلع إليه القلوب والعقول،ويتيح من تجديد المعرفة والود ما يتيح .

سادتي - إن العربية لغة ذات أصل أصيل وهى لسان شعب جد نبيل، أذكر أنى قرأت في كتاب للدكتور أندريه ميكل يؤرخ فيه لحضارة الإسلام، أن العرب كان منهم التسامح في معاملة من فتحوا بلادهم لأنهم كانوا قليلا. وعندي أن هذا باطل. ذلك بأن الإنجليز مثلاً كانوا قليلاً ولكنهم حين انتصروا على الهنود كانوا كثيرى العدد - لم تمنعهم قلتهم أن يطغوا عليهم . ومن قديم العصور كان الغالب يطغى على المغلوب ويقهره بغض النظر عن كثرة عدد المغلوبين إن كان عددهم كثيرا. وقد غلب الروم القدماء فقال قائلهم :

"ويلٌ للمغلوب "

ولم يكن العرب حين فتحوا الفتوح قومًا متأخرين تغلبوا على آخرين أعلى منهم حضارة وثقافة .بل نحن إن تأملنا تبين لنا أنهم كانوا أرقى فكرا وأعلى أدبا من سائر الأمم فى زمانهم.

ولقد انهار أدب الأمم القديمة من يونان ورومان قبل القرن السادس الميلادي . ولعل آخر مفكريهم وأدبائهم كان يوبثيوس الذى قتل سنة ٥٢٠م وذلك الزمان الذي كان فيه بدء الشعر الجاهلي وكان من بعدُ امرؤ القيس والنابغة وزهير والأعشى وشعرهم كان أسمى آداب العالم في زمان لا يساميه أدب الأمم الأخرى ولا يبلغ غايات رفعته.

ولما فتح العرب الفتوح عُرِفوا بصفتين في غاية الأهمية أولاهما التسامح وقد كان منشؤها لا من قلتهم ولكن من أنهم كانوا على مستوى فكرى رفيع أعانه إرث مجيد من المروءة والشهامة وعرف الشمائل الخلقية الرفيعة وأتم رفعته الإسلام آخر رسالات السماء بعث بها خاتم المرسلين عليه الصلاة والسلام .

ومع التسامح كانوا أهل جد - وبجدهم فطنوا إلى ما سبقتهم الأمم القديمة به من شتى المعارف والعلوم - وكان الجمود والخمول العقلي قد ران على كثير منها. فشمروا هم عن ساعد الجد فترجموا علوم الأمم . بدؤوا ذلك منذ أيام الرسول عليه الصلاة والسلام إذ كانت مبادئ الترجمة بأمره صلى الله عليه وسلم ثم سار على ذلك النهج سراة المسلمين وسادتهم من بعد.

ومع الترجمة اهتموا بالتعليم. تعلموا كتاب الله وعلموه . وعلموا الحديث والفقه والأدب. ونظروا في أمر لغتهم فاستنبطوا نحوها وقد قرأت في كتاب الحيوان للجاحظ - أن الخليل بن أحمد وصف تنظيره بأنه صالح لجميع اللغات وإنما هي نظرة في أمر اللغة كلها كأنها لسان واحد يسيطر عليه قانون واحد. ولا يخفى أن اللسانيات الحديثة تنحو هذا المنحى .

ومن المؤسف حقا أن بالعرب الآن تحرشًا محيطًا بهم - والتضييق الذي وقع على العراق وغيرها من بلاد العرب هو من باب هذا التحرش. وهذا موضوع لا أريد أن أخوض فيه الآن، لأنه ليس في هذا الوقت المخصص لافتتاح مؤتمر المجمع

متسع للحديث فى هذا الباب الكبير من أبواب السياسة .ولا يخفى أن الذى يقال من حديث حقوق الإنسان وما إلى ذلك إنما هو كذب معتدين ممارين نسأل الله أن يرد كيدهم فى نحورهم .

هذا وألتفت إلى موضوع هذا المؤتمر وهو الفصحى والعامية. فأقول إنى لا أرى أن بين الفصحى والعامية عداوة. بل هما متممتان كل منهما للأخرى . وما زالت العامية منذ الزمان القديم شقيقة للفصيحة مسايرة لها معايشة لها. وقد روينا مقال الجنود المقاتلين لعبد الله بن الزبير حيث ارتجزوا:

يا بن الزبير طالما عصينكا
وطالما عنيتنا إليكا
لنضربَنْ بسيفنا قفيكا

والحق أن العامية قديمة . وقد تحتوى العامية على عنصر من أصالة البداوة الأولى ، يحفظ على اللغة جزالتها ومتانتها وجذور كينونتها ، وأحسب أنى ذكرت فى بعض ما كتبت أو تحدثت به كلمة للسباعى بيومى رحمه الله ذكر فيها أنه قد يقع من بعض المتكلمين فى بعض أحياء القاهرة من عامة الناس ضروب من البلاغة الرقيقة- من أجل ذلك أرى ألا يتنكر أحد للعامية بل علينا أن نتعهدها بنوع من العناية والتقدير، وقد يحيط بها الآن خطر من ضروب وسائل الإعلام الحديث ، فتخلص إليها هجنات تخالط طبيعة الأصالة التى فيها فتفسدها .

هذا وما أرى أن أنبه عليه فى هذا المجال بلا إطالة أمر التعليم. فالغالب على أساليب تعليمنا أن الرسمى منه يبدأ فى سن السابعة وهذا بالنسبة لتعليم اللغة عمر متأخر. الواجب علينا أن نبدأ بتعليم اللغة فى الرابعة أو دون ذلك لأن أذهان الصغار مهيأة لتعليم اللغة فى تلك الحداثة. وخير ما يفتتح به تعليم اللغة القرآن . وعند غير المسلمين كتب مقدسة بالعربية الفصيحة إن بدؤوا بها كان فى ذلك لهم فائدة كبيرة.

ولا أريد بعد أن أطيل على الحاضرين. مرة أخرى أنتهز هذه الفرصة وأسأل الله أن يطيل بقاء رئيس المجمع ورئيس اتحاد المجامع الدكتور شوقى ضيف وأن يغدق على هذا المجمع نعمه وآلاءه. ونشكر لمصر وهى قلب وادى النيل وقلب العرب ما تغمرنا به من كرم وترحيب ودأب فى خدمة العربية ورفعة شأنها ونحمد الله حمدًا كثيرًا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

عبد الله الطيب

عضو المجمع من السودان

تأملات ذات شجون*

قصيدة للأستاذ حسن عبد الله القرشي

رغم أشْجاني من القلــب ســلامُ   وإخَـــاءٌ أبـــدىٌّ شامـــلٌ

يا أخا الرُّوح وعَتبٌ ، واتِّهــامُ   ليسَ يَعرُوهُ نكُوصٌ أو خصـــامُ

ضَائعٌ أنْــتَ يُغشِّيــكَ الظَّـــلامُ   أصبَح الخُلــفُ شعارًا سائغًــا

وتهُــزُّ الــرُّوحَ آلامٌ جِسَـــامُ   يصطفيه ثمةَ الصَّحبُ الكِــرامُ

وغَريبٌ فـــي دُنــى أزْرى بها   ولــ (إسرائيلَ) في أرباضهم

حالك الحقد وغطَّاهــا السقــامُ   زَأرَةٌ يأسى لها البيتُ الحــرامُ

تَذرعُ القَفــر وحيــدًا والأسى   تُمنــحُ القــوَّة فِعْـــلاً جارمًا

مِلء جفنيــكَ وفي القلــب أُوامُ   ويباريها مــن الغَــربِ دِعَــامُ

كُلُّ أحلامِــك روَّاها الجــوَى   تزعُــم الأمــنَ ولا تَعرفُـــهُ

وأمانيــــكَ تولاَّهـــا قَتَــامُ   تدَّعي السِّلْــم ، وهَل ثَمَّ سَلامُ ؟

وظلالُ الأمــسِ تُدْمــي أعْيُنًا   زعمت في القُدسِ حقًّــا خَسَأتْ

يتحدَّاهَا مِــنَ الحُــزنِ غَمَــامُ   فرُبـــى القُدسِ لهـــا دَاءٌ عُقَــامُ

فبنو العُرْبِ ، وكانــوا عُصبَةً   وبنو الإســـلام فـــي غَفْلَتهــم

ليس يعرُوهَـــا عِــداءٌ أومَـــلامُ   غالَهــم بأسٌ عميــق وانقســام

دَانــتِ الدُّنيـــا لَهُــم أجْمَعها   يَجرعُونَ الــذُّلَّ مُــرًّا عَلْقَمًا

ولَهــم بأسٌ عَريــقٌ ، وذِمــامُ   ويباديهم مــن الخصْــم كــلامُ

قد نَسُــوا أن الــذى يجمعُنـــا   نَحــن كُنَّـــا دَولَـــةً واحِــدَةً

فى حِمـــى الله ، صلاةٌ وصيامُ   ليس فيها (يمَنٌ) ليسَ (شآم)

---

*ألقيت هذه القصيدة فى الجلسة الافتتاحية من مؤتمر الدورة الخامسة والستين يوم الاثنيــن ٢٠ من ذى القعدة سنة ١٤١٩هـ الموافق ٨ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٩م.

أمــةٌ شامخــةٌ تأبـــى الأذى
يغمُر الكُــلَّ اتحــادٌ ، ووِئــامُ
مُثُــلَ النَّجـدةِ كُنّــا إنْ دعــا
للوَغَــى داعٍ ، وإن جَارَطَغامُ
وإذا ماريــع شَعْــبٌ آمِـــنٌ
جاءتِ النُّصـــرةُ يتلوها انتقــامُ
لانبالـــى بجيـــوشٍ للعـــدى
ولنا مِنْ دينِنــا جَيْــشٌ لُهــامُ
كَمْ لجندِ الله عــزَّت صَولَـــةٌ
من شَهيد شعبه ليــس يُضــامُ
سَلْهُ عَن (غَاراتِهِ) (مُعتصمًا)
مانِعَ الحوزَةِ والحربُ التــزامُ
وَ(مُثنَّى الخَيل) عملاقُ الوَغَى
ما لمَـــن يغْشَـــاه بالسيفِ قيامُ
و(الرشيدُ) النَّجْدُ مِصبَاحُ الدُّجَى
مَـــن لنَصــر الله يخشاهُ الحِمامُ
فــإذا الأعــداءُ مَهمَا عَربَــدوا
رِممٌ في سَاحَةِ القَفــرِ حُطَــامُ
ينصُرُ الرَّحْمَنُ من ينْصُرُهُ
والردى يحصُدُهُ القَــوْمُ اللئامُ !

* * *

يابني قومي البَهاليل الأُلى
صَنَعُوا الأمْجادَ ، والكونُ غُلاَمُ
والألَى قد صَفَّــق الدَّهــرُ لَهــم
ولَكَــم دَانَ لَهــم ثَــمَّ مَــرَامُ
أصْدرُوا الرَّايات حُمْــرًا ولَهــم
أبدًا، في ذرْوة الفَجْــرِ وِسَــامُ
قــد تَسَامَــوا هممًــا عُلْويـــةً
كَمْ لهَا في أعيُنِ الغَــدْرِ سهامُ!
نحنُ أُنسينَــا صَــدى آثارِنَــا
بِعَــدوٍ خُبْثُـــهُ ليْــسَ ينــامُ
ومَشَينْــا ثــمَّ خَلْفًــا ومَشَـــى
لأمَــامٍ غيرُنـــا ، لا يُستَضَــامُ
القَناديــلُ تَلاشَـــى ضَوؤهَــا
والمَصَابِيحُ تولاّهَــا انحطــامُ!
لَمْ يَعدْ في مَرفَأ الدُّنيــا لنَــا
لا تُقاء الظُّلم (سَعْدٌ) أو هشامُ !
شَطَّ ذُو الإجرامِ في طاغُوتِهِ
يُضمِرُ الكيدَ ، وللكيدِ احتــدامُ
وتمادى الخَصْمُ في إجرامِهِ
وتناءى عَن رُؤى الشَّــرِّ اللِّئامُ

* * *

يارفاقَ الجرحِ يا أُسْد الشَّرى
والألَى ما راعهم مَــوْتٌ زُؤَامُ
والألَى ما نــام ثــأر أبــدًا
في حِماهــم ، أينما شَبَّ ضِرامُ

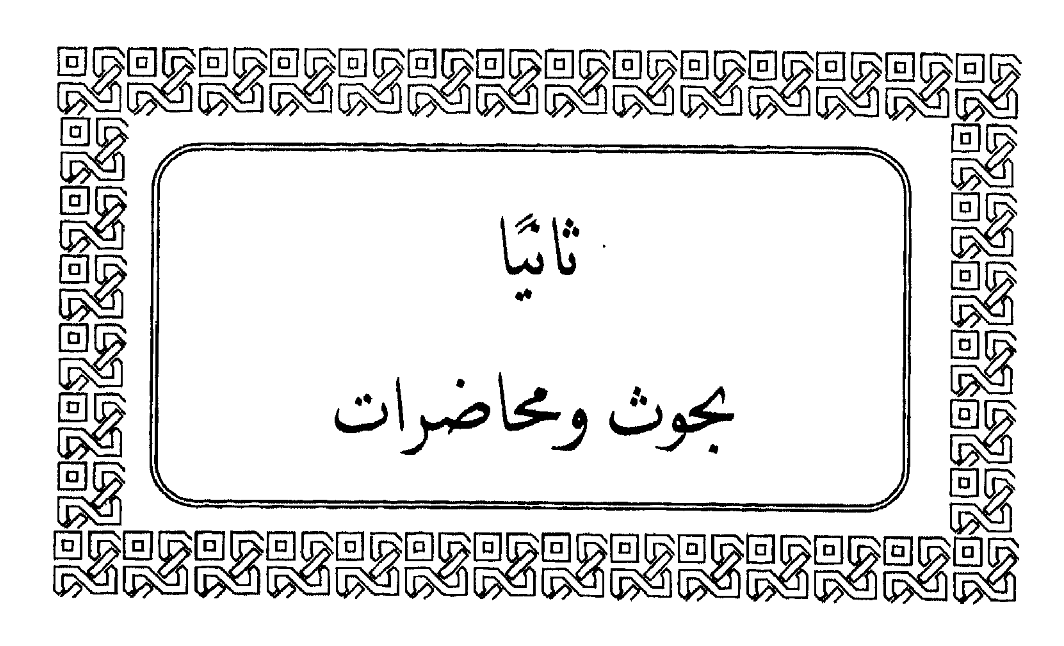
مـــا شَجاهُـــم آفــكٌ مُجتــرمٌ
غـــــادرٌ إلا تـــولاّه الحســـامُ
سَـــوفَ لا يُرْهِبنا مغتصــــبٌ
شعبُه بالأمـــسِ مأفونٌ مضـــامُ
كَمْ مشَيْنـــا قافـــلاتٍ للــــرَّدَى
ولنا رُغْم الوَغَى الدّامى اقتحامُ
فاسألُوا (خالدَ) عن غاراتِنـــا
وصلاَح الدِّين مَا ثَـــار التحـــامُ
سنعيد الأمْس شعـــاعَ السَّنَـــا
ولنــــا فـــي نُصْـــرة اللهِ مقـــامُ

* * *

مجمعَ الضَّادِ تَخطَّاكَ الأسى
أنـــتَ للفُصْحَـــى سياجٌ لايُرامُ!
عَلَمٌ في رأسِهِ النَّـــارُ هُـــدَى
تَملأُ الآفـــاقَ والدُّنيـــا جِهـــامُ
مِنْبَـــرٌ مَـــرَّتْ عليـــه قِمَـــمٌ
مِنْ نُجوم الفَضلِ ، أفذاذٌ عِظامُ
أزْهَـــر التَّاريـــخُ من آياتهم
ورَعَاهُمْ مِنْ حِمى اللهِ اعتصامُ
مِهرجَانُ الْفكر وافَى بالمُنـــى
فَيْضُـــهُ زَهْـــرٌ ، ورَيَّاه ابتسامُ
كُلَّ عَـــام تَزْدهِـــي آمالُنـــا
باجتماعٍ مِلؤُه الصِّـــيدُ الكِـــرامُ
يَنتقـــى الـــدُّرَّ كَـــريمًا نـــادراً
وعليه لبنى الفُصحى التئامُ
فى بِقـــاعٍ لجنَـــى العلـــم بهـــا
صَوْلَةٌ عُظمى ، وعزٌّ وسنامُ
ركِبُوا الجـــوَّ حِصَانًا وأتَـــــوا
موطِنَ الضَّادِ وللشَّوقِ زحامُ
يَبْذرون العِلْـــمَ فـــى أنْسَامِـــهِ
حين تسرى ثَمَّ وردٌ وخُزَامُ
أبرمُـــوا لِلعِلْـــم عَقْـــدًا دائمًـــا
لَيس في عقد الْمرُوءاتِ انفصامُ
ضَوْؤُه مِنْ قَبَـــس الشَّمـــسِ بِـــهِ
جَوهَرٌ فَذُّ الرُّؤى لَيْس يُسَامُ
هُوَ مِن (مصرٍ) وفي مصر العُلى
لبنى الضَّادِ سَلاَمٌ واحتشامُ
حَمَلَـــتْ عِـــبءَ الثَّقافـــاتِ لَهُـــمْ
ورَعَتْهم فهْى للفُصْحَى إمامُ
ذِرْوةَ الآدابِ منهـــــا تُجتلَـــــى
كاجْتِلاءِ البَدْرِ ، والبَدْرُ تَمامُ
فَلَهـــا الشُّكـــر نُضـــاراً والثنـــا
وَهْمـــا بَدْءٌ يُباريه خِتَـــامُ !

حسن عبد الله القرشي
عضو المجمع المراسل
من السعودية




ثانيًا
بحوث ومحاضرات



بين الفصحى والعامية*

محاضرة

للأستاذ الدكتور شوقي ضيف

بسم الله الرحمن الرحيم

الزملاء المجمعيون:

سيداتي - سادتي:

الفصحى لهجة قريش في الجاهلية، ومن الصعب تحديد الزمن الذي اتخذت فيه شكلها النهائي الكامل من الإعراب والتصريف والاشتقاق. ومن المؤكد أنها لم تصل إلى صورتها النهائية في العصر الجاهلي الذي يمتد نحو قرن ونصف قبل الإسلام إلا بعد مراحل زمنية طويلة من النمو والتطور . وكان يعاصرها لهجات عربية جاهلية كثيرة في شمالى الجزيرة العربية وجنوبيها وفي نجد والحجاز غربا وحتى عمان والخليج العربي والفرات شرقا - وكان سكان كل هذه المناطق يتكلمون لهجات مختلفة، وشعروا في عمق بأن الدول الكبرى المحيطة بهم في الجاهلية تحاول فرض سيادتها على أجزاء كبيرة من ديارهم، ففي الجنوب الغربي فرض الأحباش سيادتهم على اليمن ، وفرض الروم سيادتهم على القبائل في الشمال الغربي ،. بينما فرض الفرس سيادتهم على الحيرة والقبائل في الشرق .

وكان لمكة مكانة كبرى في نفوس عرب الجاهلية بسبب أنها كانت حارسة الكعبة بيت أصنامهم وعبادتهم الوثنية،وبسبب اقتصادي:إذ كانت قوافلها التجارية تجوب أنحاء الجزيرة العربية جنوبًا إلى اليمن وشمالاً إلى الشام وشرقًا إلى العراق والخليج العربي.وبسبب سياسي:أنها لم

*ألقيت هذه المحاضرة فى الجلسة الثانية من مؤتمر الدورة الخامسة والستين يوم الاثنين ٢٠من ذى القعدة سنة ١٤١٩هـ الموافق ٨ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٩م .

تدن بالولاء والسيادة لدولة أجنبية . وكان العرب يجتمعون إليها في أعيادها الوثنية وفي أسواقها ، واشتهرت سوق عكاظ باجتماع خطباء العرب وشعرائهم فيها. ومن أجل ذلك كله تجمعت قلوب القبائل في الجزيرة العربية حولها واتخذوها رمز استقلالهم عن الدول الكبرى من حولهم ، وشعروا لها بولاء كبير جعلهم يتخذون لهجتها لغة أدبية لهم ، يخطب بها خطباؤهم في المواسم الكبرى ، وينظم بها شعراؤهم في الجاهلية أشعارهم . وما هذه اللهجة القرشية التي سادت بين الشعراء والخطباء العرب في الجاهلية إلا ما سمي بعدُ باسم الفصحى ، وبها نزل القرآن الكريم . على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأخذ حِفْظُه كما أخذت تلاوته على ألسنة المسلمين يُعمِّمان لغته الفصحى في جميع أقطار الأرض شرقا حتى أسوار الهند والصين، وغربا حتى إسبانيا والمحيط الأطلنطي . وقبل الفتوح الإسلامية كانت بيزنطة تسيطر على الشام ومصر وتونس، وظلت لغتها اليونانية لغة للحكام وإدارة تلك البلاد وثقافتها الرسمية ولم تتغلغل إلى قلوب سكان هذه الأنحاء، فظل سكانها يتكلمون لغاتهم الخاصة على نحو ما كانت مصر تتكلم القبطية. وحكمت روما الشمال الأفريقي وظلت لغتها اللاتينية لغة للحكام وإدارة البلاد وثقافتها الرسمية ولم تتغلغل إلى قلوب سكانها، وظلوا يتكلمون لغتهم البربرية الخاصة. أما الفرس فقد بارحت الفارسية ألسنة أهلها وحلت محلها الفصحى في جميع ديارها، على نحو ما حدث في ديار الشام ومصر والشمال الإفريقي جميعه، فقد أصبحت شعوب كل تلك البلاد من الهند والصين إلى المحيط الأطلنطي شعوبًا عربية تنطق بالفصحى ، وتعبر بها عن ذات نفوسها ووجد أناتها أدباً وذات عقولها علومًا وفلسفة، فضلاً

عن اعتناق الكثرة من السكان لدين الإسلام وتعاليمه الروحية . وانضم إلى تلك الشعوب الإفريقية والآسيوية شطر من إسبانيا في الجنوب الغربي لأوربا، وهو المعروف باسم الأندلس.

وكل ذلك حدث لانتشار الفصحى في الألسنة بين سكان تلك البلدان جميعا دون أن تفرضها الدولة العربية أو الحاكم العربي على أي بلد حكمه . وهو نفسه ما حدث لانتشار الإسلام في كل تلك الأنحاء إذ انتشر سريعا فيها دون أي محاولة من الدولة أو من حاكم لفرضه على السكان، إذ كان المسلمون وحكامهم يتمسكون بحرية العقيدة الدينية عملا بقوله تعالى: (لا إكراه في الدين) فلم يُجْبَرْ وثنى على الدخول في الإسلام فضلا عن شخص من أهل الكتاب، إذ كانوا يدخلون فيه طواعية لحسن تعاليمه ، كما دخلوا في الفصحى لروعتها البيانية التي شغفوا بها، ويصور شغف الإيرانيين وسكان كل البلاد العربية التي هجرت لغاتها واتخذت الفصحى لسانا لها قول البيرونى معبرا عن مدى شغفه بها : لأن أهْجَى بالعربية خير لي وأمْتَعُ من أن أُمدح بالفارسية .

ولم يسبق فى التاريخ الإنساني للغة قديمة كبرى أن اتخذتها مجموعة شعوب كبيرة في قارات آسيا وإفريقيا وأوربا لغة لها : تنطق بها وتعبر عن ذات نفوسها وقلوبها وعقولها كما حدث للفصحى في ديارها وبولاياتها التي استوطنتها ، وهى - بذلك - أصبحت لغة عالمية ذات قوة عظيمة قهرت بها كل ما لقيته من اللغات . ومنذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي تتمثل الفصحى كل ما كان لدى الهنود والفرس واليونان من ثقافة ويصبح لها في القرن الثاني الهجري عالم عالمي في الكيمياء هو جابر بن حيان ، ويصبح لها في النصف الأول من القرن الثالث الهجري عالم عالمي في الرياضيات هو الخوارزمي مبتكر علم الجبر، وكان يعاصره الكندي الفيلسوف الذي ابتكر

هو وخلفاؤه من فلاسفة العرب الفلسفة الإسلامية التي يمزجون فيها بين أفكار فلاسفة اليونان وروحانية الإسلام مزجًا بديعًا، وينهض الطب عند محمد ابن زكريا الرازى بكشف الفروق بين مرض الجدري والحصبة ووضع الأسس للطب النفسي .

وتظل الفصحى قائدة وحاملة للعلوم والفلسفة وحدها من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي إلى القرن الثامن الهجري / الخامس عشر الميلادي ، وهو ما جعل أوربا حين أرادت أن تنهض علميًّا تبث في أبنائها حماسة قوية لتعلم الفصحى لغة الحضارة والعلم، وتعلموها، ومضوا ينقلون ما تحمل من كنوز العلم والمعرفة والحضارة إلى اللغة اللاتينية لغة العلم في ديارهم حينئذ ، وقعدوا من علمائها في قرطبة ومدن الأندلس وصقلية مقعد التلاميذ من أساتذتهم العظام، حتى في علم اللاهوت وكان لكتابات فيلسوف قرطبة ابن رشد فيه أثر عميق في قيام حركة التحرير والإصلاح الديني في النهضة الأوربية.

ويقول المستشرق الإيطالي ألدوميلى : " تُرْجمت كل كتب علماء العرب الكبار إلى اللاتينية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للميلاد". وقد استوعبها الأوربيون وتمثلوها وأسسوا عليها نهضتهم العلمية الحديثة، وشاهد واضح يقوم في عصرنا على تمثل أوربا للعلوم العربية هو الأرقام الحسابية العربية التي اقترضتها أوربا من البلدان المغربية وتداولها سكان البلاد الأوربية ولا يزالون يتداولونها إلى اليوم في البنوك وغير البنوك . ومعنى ذلك كله أن الفصحى أثرت بعلومها وحضارتها تأثيرا عميقا في العالم المسيحي بأوربا ، كما أثرت في العالم الإسلامي شرقًا وغربًا.

وأخذت تعايش الفصحى في جميع الأقطار العربية عامياتٌ كان

السبب في تكونها فقدانها للإعراب الذي تتميز به الفصحى، إذ كان سكان الأقطار العربية وراء الجزيرة العربية لا يعرفونه في لغاتهم القديمة، وأيضا فإن كل قطر احتفظ ببعض ألفاظ كانت تدور في لسانه بلغته القديمة ، كما احتفظ ببعض نغمات في النطق ، وهى تختلف من قطر إلى قطر. وبمرور الزمن أخذت العاميات العربية تتكون على ألسنة السكان في جميع البلدان التي فتحها العرب من إيران شرقا إلى المحيط الأطلنطي . وكانت تَرْمُقُ شعر الفصحى بإعجاب، وتتمنى لو استطاعت محاكاته. وبمرور القرون استطاعت أن تنتج لها شعرا عاميا يُسمَّى الأزجال ، واشتهر في نظمه ابن قزمان الأندلسي ، وحاكته فيه الأقطار العربية جميعا . وبمرور القرون أيضا أخذت العامية تسهم في كتب النوادر ، وهى أقاصيص قصيرة تروِّح عن النفس بالسخرية من قاض مشوَّش الفكر يخطئ في أحكامه،أو حاكم ظالم يجور في أحكامه جوراً شديدا. ومن أطرف ما ساهمت فيه العامية من تلك الكتب كتاب الفاشوش في حكم قراقوش التركي أحد قواد صلاح الدين الأيوبي، وكان أنابه عنه فترة بمصر وفوَّض أمورها في الحكم إليه لغيبته عنها في حروبه بالشام ضد الصليبيين، وهو الذي بنى السور الذي كان محيطا بالقاهرة، كما بنى القلعة التي لا تزال قائمة إلى اليوم. ويبدو أنه قسا قسوة شديدة في تسخير المصريين في بنائهما، فانتقم منه أحد كتاب الدواوين المصرية المسمَّى ابن مماتي فألف كتابًا عاميًّا وضع عليه فيه طائفة من النوادر في أحكامه مصوراً فيها ما ادَّعاه عليه من غفلته وحُمقه ، وهو مطبوع ومنشور .

و نلتقي في مطلع عصر المماليك بمصر بكاتب مبدع من كتاب العامية هو ابن دانيال ، وكان شاعرًا، وكان كحالا، ولا ندرى هل كان طبيب عيون أو كان تاجر كحل يبيعه فقط، وسأله سائل عن

حرفته التي يكتسب منها معاشه ، وأغلب الظن أنه كان طبيب عيون، فقال :

ما حالُ مَنْ درهمُ إنفاقهِ
يأخذه من أعين الناس

والتورية في الشطر الثاني واضحة ، وهى صيغة تدور على ألسنة العامة بمصر إذ يقولون عن الشخص الذي يأخذ حقه من شخص آخر إنه أخذه من عينه أي رغم أنفه ، وهو لا يريد ذلك إنما يريد الإشارة إلى صنعته ٠ وقد ألف بالعامية ثلاث مسرحيات نثرية شعرية كانت تمثل في عهد الظاهر بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦ هـ) على مسرح خيال الظل ، وهو مسرح دمى متحركة متحاورة ، واسم أولاها " طيف الخيال " واسم الثانية عجيب وغريب ، وهى تصور سوقا مصرية ومن فيها من أخلاط الشعوب وقد جمدت ألسنتهم عند لهجات شعوبهم الوطنية بكلام يثير الضحك في النظارة٠ واسم التمثيلية الثالثة " متيم" وهى تعرض طائفة من حِيَل العُشَّاق في صور مضحكة .

والتمثيليات الثلاث عند ابن دانيال مؤلفة بنثر عامى مسجوع محاكاة للنثر في رسائل الفصحى الديوانية منذ عصر ابن العميد، إذ أخذ يعمُّ فيه السجع، وعمَّ في العصر الأيوبى عند العماد الأصبهانى في كتاباته التاريخية كما في كتابه" الفيح القسّى في الفتح القدسى" الذى يصف فيه انتصار صلاح الدين على حملة الصليب وأخذ بيت المقدس من أيديهم بعد تمزيقهم تمزيقًا شديدًا٠ وحقَّق ابن دانيال للعامية محاكاتها في تمثيلياته لأدب الفصحى الذى شاع فيه السجع شيوعًا كبيرًا ٠

ونقف قليلا عند تمثيلية ابن دانيال المسماة "طيف الخيال" وهى تدور حول مشكلة الخاطبة في العصور السابقة وما كان ينشأ عن وصفها للعروسين من أغلاط في تبين حقائقهما، إذ تُقَدِّم العريس على أنه من

أمراء الموصل ومعه كاتبه وحاسبه المزيفان، وحقيقته أنه أحدب فقير لا يملك شَرْوَى نقير، وتقدم العروس على أنها فتاة جميلة، وحقيقتها أنها عجوز قبيحة، ويُزَفَّان، وتكشف عن وجهها في الزفاف، ويصيبه الذهول، وينادى على الخاطبة وتأتيه، ويشكو منها، كما يشكو شكوى مرة من زوجته التى يُزَفُّ إليها. والتمثيلية مليئة بالمواقف المتناقضة المضحكة ، مع تصويرها لجوانب من الحياة المصرية الاجتماعية والسياسية في عهد الظاهر بيبرس.

وتأخذ مصر في تأليف سير شعبية للبطولة العربية بلغتها العامية تحميسا للشعب المصرى في حروبه البطولية ضد الصليبين والمغول أو التتار ، وربما كان أول هذه السير البطولية سيرة عنترة بطل قبيلة عبس في الجاهلية ، ويقال إن أول كتابتها كان في عهد الخليفة الفاطمى العزيز (٣٦٥ - ٣٨٦هـ) كما يقال إن ريبة حدثت في قصره ، وشاع الحديث عنها بين أهل القاهرة ، فأراد أن يصرفهم بسيرة تشغلهم عن الكلام فيها، فكلف بذلك أديبًا يسمى يوسف ابن إسماعيل فألف سيرة عنترة وشغل بها سكان القاهرة. وهذا الخبر - إن صح - إنما يشير إلى أول ما كان من وضع هذه السيرة، إذ أخذت الأجيال تزيد فيها حتى القرن السادس الهجرى وحروب الصليبيين وحتى بلغت اثنين وثلاثين جزءًا، وهى منشورة في أربعة مجلدات ، وألفت تأليفا قصصيًّا جذابًا بحيث يقتطع الكلام في كل جزء عند حادث مهم ، ويشغف القارئ والسامع بمعرفة الجزء الذى يليه . وساحات بطولات عنترة لا تقف عند العصر الجاهلى بل تمتد في الزمان حتى نهاية القرن الخامس الهجرى، كما تمتد في المكان ، فتشمل الحبشة والسودان وإيران والشام وشمال إفريقيا ومصر وجنوب أوربا : وهى ملحمة بديعة مثَّل فيها عنترة البطولة العربية على مر التاريخ حتى نهاية القرن الخامس الهجرى ومثل معها

فضائلها التى أعجب بها الصليبيون ونقلوها إلى ديارهم ، وهى مكتظة بأحلام وأساطير وخوارق كثيرة ٠

ومن سير البطولة التى ألِّفت بمصر في العصور الماضية والتى لا يزال يشغف بها المصريون وخاصة قُراهم سيرة الهلالية ، وكانت قبائل قيسية متعددة من نجد منها بنو هلال وبنو زغبة نزلت بصحراء مصر الشرقية ، وحدث أن خرج على الخليفة الفاطمى المستنصر (٤٢٧- ٤٨٦هـ) المعز بن باديس الصنهاجى حاكم تونس والقيروان سنة ٤٤٣ للهجرة،وغضب لذلك غضبًا شديدًا فأشار عليه وزيره اليازورى أن يسلط على المعز القبائل القيسية النازلة بالصحراء الشرقية ، فاتصل بهم وحبَّب إليهم الهجرة إلى البلاد المغربية ، ووعدهم أن تكون ديار طرابلس وتونس وكل ما تحت يد المعز إقطاعًا لهم وبالمثل كل ما يستولون عليه من البلاد المغربية، ولبَّته جموعهم، وأخذت تنازل حكام تلك البلاد ومَن معهم من الجنود٠ واستولوا على برقة فى سنة ٤٤٣ للهجرة واستولى بنو زغبة على طرابلس ، واتجه بنو هلال مع بطلهم أبى زيد إلى تونس ، وناصرتهم بنو زغبة وبطلها دياب بن غانم ، ونازلهم المعز بن باديس وهزموه ، فترك لهم تونس والقيروان ، واكتفى بالمهدية ، وتحولت إمارة تونس إلى إقطاعات صغيرة يحكمها عرب من بنى هلال وغيرهم ، وبالمثل توزعوا الجزائر وجعل القصاص الذين وضعوها أبا زيد الهلالى ودياب بن غانم بطلين عربيين وجعلوا خصمهما فى قبيلة زناتة المغربية الزناتىخليفة ٠ وهذه الهجرة العربية الكبيرة إلى البلاد المغربية إن كانت ملأتها حروبا فإنها أتمت تعريبها بحيث أصبحت أمة أو أمما عربية كبيرة٠وكانت السيرة-إلى عهد قريب - ينشدها شعراء على الربابة فى مقاهى المدن وفى أعراس

القرى المصرية. وتبدو الوقائع في هذه السيرة وأسماء أبطالها كأنها أضغاث أحلام لبعد القاص المصري عن ساحات أحداثها .

ومن سير البطولة سيرة السلطان المملوكي الظاهر بيبرس هازم التتار في موقعة عين جالوت ومتعقبهم حتى شمال العراق. وأيامه تُعَدّ أزهى أيام مصر زمن المماليك فكان طبيعيا أن توضع لبطولاته قصة تصورها. ولغتها عامية مثل الهلالية، والنثر يغلب فيها بينما يغلب الشعر في الهلالية ، وتَمُدُّ السيرة ساحات بطولاته إلى أوربا ، وتعرض أعماله وإخضاعه في سوريا الفدائيين الحشاشين المعروفين بكثرة اغتيالاتهم منذ زعيمهم الحسن الصباح. ومن أبطال السيرة معروف زوج مريم الزنارية وإبراهيم الحوراني وتصف رحلته إلى روما. ويبدو أن السيرة لم تكتب في زمن قريب من زمن الظاهر، لأن الأحداث التاريخية فيها وأسماء الأبطال يشوبها غير قليل من الخيال ، وتكثر فيها الأعمال الخارقة.

وحرى بي أن أذكر أن كتاب ألف ليلة وليلة صاغته مصر بلغتها العامية وانتشر منذ القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي في العالمين العربي والغربي ، ووضع فيه القصاص المصريون أقاصيص كثيرة بعاميتهم مثل أقصوصة علاء الدين ، والمصباح العجيب، وحكاية الصعيدي وزوجته الإفرنجية، ودليلة المحتالة، وعلى الزيبق، وزينب النصابة، ومعروف الإسكافي .

وإنما ذكرت كل هذه الأعمال لأدل على ضخامة تراث الأدب العامي في العصور الوسطى ، وكل سير البطولة لم تدرس ، ووراء ما ذكرت منها سير مثلها لم تدرس مثل سيرة سيف بن ذي يزن التي تصور الصراع بين العرب والحبش في أواخر العصر الجاهلي. وعلى رفوف دار الكتب المصرية مالا يكاد يحصى من قصص عامية شعبية كتبت في العصور الوسطى ، وهي في حاجة إلى أن

تحقق وتنشر ٠

وأخذ الأدب فى الفصحى يتطور فى القرن التاسع عشر من لغة رفاعة الطهطاوى التى تعتمد على السجع ومحسنات البديع إلى لغة متحررة منهما تعتمد على التعبير المرسل الحر الطليق٠ ولا نتقدم بعد منتصف القرن الماضى طويلا حتى تتكاثر عندنا الصحف ، وحتى تنشأ معها لغة ثالثة وسطى بين الفصحى والعامية ، لغة فصيحة مبسطة ، لا تتنزل إلى مستوى الابتذال العامى ، ولا تعلو على العامة بحيث يفهمونها دون أى عُسْرٍ أو مشقة ، لغة بسيطة سهلة يخاطبون بها طبقات الأمة ، ولا تميز بين طبقة وطبقة ، بل ربما كان اهتمامها بالطبقات الدنيا يزيد على اهتمامها بالطبقات العليا فى الشعب ، إذ تريد أن تنتشر بين جماهيره٠ وقد هجرت موضوعات أدبنا القديمة من تهنئة وتعزية إلى غير ذلك، فإنها لا تكتب للأفراد، وإنما تكتب للأمة، وتعرض ما يهمها من شؤونها السياسية، وتنادى بالإصلاح فى الأداة الحكومية، وتتناول كل ما تريد الأمة من موضوعات سياسية ودينية واجتماعية٠ وبينما الأدب فى الفصحى بالقرن الماضى يتطور فى موضوعاته وفى لغته عن طريق الصحافة إذا بجماعة من الإنجليز والمستشرقين في أواخر القرن الماضى تثور على الفصحى ثورة عنيفة منادية فى محاضرات وكتابات بأن واجب المصريين أن يتحرروا ويتخلصوا فى أدبهم من الفصحى ويتمسكوا فيه باللغة العامية٠ وكانت هذه أول خصومة عنيفة تحدث فى مصر بين الفصحى والعامية٠

وشعر الشعب المصرى وأدباؤه بما فى هذه الدعوة من خطر يريده الإنجليز ، حتى تنسى الأمة المصرية ماضيها العربى والإسلامى، وحتى تنسى عروبتها المقدسة وارتباطها بالفصحى لغة القرآن الكريم والحديث

الشريف، وحتى تنسى صلاتها بشعوب الأمة العربية، وحتى تنسى هويتها وشخصيتها العربية الإسلامية والتاريخية • ولهذه الأسباب مجتمعة أخفقت في أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحاضر هذه الدعوة المغرضة ، ولم يهتم بها أى اهتمام أصحاب الأدب العامى عندنا ، ومضوا ينشطون في نظم الأزجال ونشر الصحف الفكاهية، ثم فيما بعد في تأليف القصص العامى•

ومضى أدبنا المصرى في الفصحى يتطور في القرن العشرين تطوراً خصبًا، محاولا أن يستوعب ثلاثة فنون كانت شائعة في الأدب الغربى، وهى المقالة والقصة الطويلة والمسرحية - والمقالة فن نثرى صحفى قلما يتجاوز نهرًا أو نهرين في الصحيفة ، وقد أنشأتها عند الغربيين - كما أنشأتها عندنا - ضرورات الحياة الصحفية، وما يريد الصحفيون أن يتحدثوا فيه إلى جماهير الأمة من شؤون المجتمع والسياسة•

وينبغ في هذا الفن بالربع الأول من القرن الحاضر غير كاتب ويتقدم كتابها مصطفى لطفى المنفلوطى الذى اشتهر بمقالاته الاجتماعية وما بثّ فيها من معانى الرحمة والفضيلة والعطف على البؤساء• وتنشط المقالة السياسية عند مصطفى كامل وما يريد للأمة المصرية من انتزاع حقوقها المسلوبة من أيدى الإنجليز الغاصبين• وتزدهر المقالة السياسية بعد نشوء الأحزاب في العقد الثالث من القرن• وتصطفى الأحزاب لصحفها اليومية كُتّابا ممتازين ، وتلحق بصحفها مجلات أدبية أسبوعية، وتتألق أسماء أربعة من الكتاب هم محمد حسين هيكل ، وعباس محمود العقاد، وطه حسين، وإبراهيم عبد القادر المازنى، ويكتبون مقالات طريفة عن الآداب الغربية في المجلات الأسبوعية والشهرية وتظل للأربعة زعامة نهضتنا الأدبية، حتى قيام ثورتنا الحاضرة•

ولا يزال أدباؤنا الصحفيون والناشئون يرددون أسماءهم وأعمالهم الأدبية - مع التجلة - إلى اليوم.

وفي أدب الفصحى الماضى قصص كثير عن أيام العرب وحروبهم ، وعن الأنبياء ومن أرسلوا إليهم ، وعن الحب والمحبين. ودخل الفصحى في العصر العباسى لونان من القصص، وهما القصص عن الحيوان والطير كما في كتاب كليلة ودمنة، والقصص عن الإنسان كما في كتاب ألف ليلة وليلة، غير أن كل ذلك يختلف عن القصة الغربية الطويلة المعروفة عند الغربيين بشخوصها وتقاليدها الأدبية . وحاول الأدباء المصريون في القرن الماضى ترجمة بعض فرائدها وآثروا تمصيرها حتى تقترب من ذوق القراء ، وظل هذا التمصير حتى زمن المنفلوطى وشارك فيه كما نعرف عن القصتين : ماجدولين والفضيلة . وأخذ شباب المصريين - من حينئذ - يعنى بتأليف القصة الطويلة على النمط الأوربى، على نحو ما ألف محمد حسين هيكل قصته الطويلة: زينب.

ويتعدد بعد الحرب الأولى في القرن من يكتبون القصة الطويلة على النمط الأوربى وفي مقدمتهم إبراهيم عبد القادر المازنى وعباس محمود العقاد وطه حسين. ويُعْنَى المازنى بالجانب النفسى في شخصيات قصصه، مع تحليل واسع لما يضطربون فيه من مشاعر وأحاسيس. وللعقاد قصة طويلة سماها " سارة" وهو فيها يعنى بالتحليل النفسى مثل المازنى ويضيف إليه تحليلاً عقليًا واسعًا. أما طه حسين فقصصه اجتماعية ويعنى في أكثرها بتصوير الحياة في المجتمع المصرى. وانضمَّ إلى هذه الكوكبة محمود تيمور، وكان يكتب قصصا بالعامية، فرأى أن يعيد كتابتها بالفصحى، وفي ذلك دليل ساطع على أن الفصحى ظل لها التفوق والسيطرة على الحياة

الأدبية المصرية حتى القرن العشرين، وكان يعنى في قصصه الاجتماعي بتصوير عيوب المجتمع المصرى.

ونمضي في النصف الثانى من القرن مع ثورتنا المصرية، وينضم إلى هذه الكوكبة المبدعة يحيى حقى بقصصه الفصيح الرائع ويتكاثر مَنْ يكتبون القصة الطويلة بالعامية لأنها أكثر طواعية لهم. ومن حين إلى حين يندد بالفصحى بعض من لا يحبونها ويقولون : دعونا نتخذ العامية لغة لأدبنا ، وكأنهم لا يعرفون شيئا عن تاريخ الفصحى المجيد وكيف أنها ظلت لغة عالمية منتشرة قرونًا طويلة من أواسط آسيا إلى المحيط الأطلنطى وكيف أنها انتصرت بقرآنها وبيانه الرائع على كل ما صادفها من لغات، فقد ظفرت بالفارسية في عقر دارها وبالسريانية واليونانية واللاتينية والديموتيقية والبربرية والرومانثية الإسبانية ، وأكبت عليها شعوب قارات ثلاث تتعلمها وأضاءت لأوربا مسالكها إلى حضارتها الحديثة، وأنها لا تزال في هذا العصر تضم الفم إلى الفم في الديار العربية والروح إلى الروح والفكر إلى الفكر جاعلة من عرب مصر والعرب في كل مكان أمة واحدة مترابطة ، لا تنفصم عروة الترابط بينها وبين شعب من شعوبها أبدا. وإذا كانت القصة الطويلة حظيت في النصف الأول من القرن الحاضر بخمسة من كتاب مصر الكبار هم : المازنى والعقاد ومحمد حسين هيكل وطه حسين ومحمود تيمور، فإنها حظيت في النصف الثانى من القرن بيحيى حقى وبكاتب مصرى كبير هو نجيب محفوظ الذى خطا بالقصة الطويلة خطوات كبرى جعلتها تضارع مثيلتها الأوربية، ولا أبالغ إذا قلت إنه كتب بالفصحى أروع قصص طويلة نشرت بمصر في القرن العشرين ، وإنّ ظفرَ الفصحى عنده بجائزة نوبل كان حريًّا أن يلفت دعاة العامية إلى خطئهم في تقدير بيانها وقيمها الجمالية الخالدة.

ومنذ أنشأ الخديوى إسماعيل في

القرن الماضى دار الأوبرا أخذت مصر تعرف فكرة المسرح والمسارح، وخاصة أن يعقوب صنوع أنشأ في القاهرة مسرحًا كانت تمثل عليه بالعامية مسرحيات فرنسية مترجمة ممصرة. وأقبلت على مصر فرق تمثيلية سورية ولبنانية كانت تمثل في الإسكندرية والقاهرة مسرحيات فرنسية أيضا باللغة العامية مترجمة وممصرة، وتكونت في التمثيل مع هذه الفرق فرق مصرية، وكوّن بعض الهواة المصريين في العقد الثانى من القرن الحاضر جمعية لتأليف الروايات المسرحية، واشتهر من بين أعضائها إبراهيم رمزى وفرح أنطون بما ألَّفا من مسرحيات فصيحة، وينشط في العقد الثالث من القرن التمثيل الهزلى والغنائى.وفي أوائل الثلاثينيات من القرن في العقد الثالث ينشطُ التمثيل الهزلى والغنائى. وفي أوائل الثلاثينيات من القرن الحاضر ينهض التأليف المسرحي في الشعر عند شوقي بمسرحياته السبع المشهورة ، وكانت العامية تطغى على المسرح المصرى، فمُثِّلت عليه مسرحيات شوقي الشعرية الفصيحة ولقيت نجاحًا منقطع النظير ، وتبعه عزيز أباظة بمسرحياته الشعرية المكتوبة بالفصحى، وبذلك توطّد المسرح الشعرى الفصيح، وإن كان لم يخلفهما فى النصف الثانى من القرن شاعر فصيح من نفس الطراز.

وفى الثلاثينيات من القرن أيضا أهدت الفصحى إلى مصر كاتبًا مسرحيًا مبدعًا، هو توفيق الحكيم الذى تعرَّف فى فرنسا - بدقة - على أصول التمثيل وتقاليده عند الإغريق والفرنسيين. وفجأ المصريين بمسرحيته" أهل الكهف " وهم سبعة ماتوا فى كهف وظلوا فيه نحو ثلاثمئة سنة ، وبعثوا ، وجعل لهم الحكيم مغامرات بناها على صراع عنيف بين الإنسان والزمان . ولم يلبث أن تلاها بمسرحيته " شهرزاد " ومثَّل فى بطلها

" شهريار " الصراع بين الإنسان والمكان . وتتوالى مسرحياته مستمدة من الأساطير الإغريقية تارة ، ومصورة مشاكلنا الاجتماعية والسياسية تارة ثانية ، وله في مسرحياته فلسفة يستمدها من الشرق وروحه وسيطرة القضاء والقوى الغيبية • وبمسرحياته وفلسفته فيها أوجد لمصر مسرحًا مصريًّا متميزًا بالقياس إلى المسارح الغربية القديمة والحديثة •وبذلك وظَّف توفيق الحكيم فن التمثيل فى الفصحى وجعله فنًّا مصريًّا كما وظَّف نجيب محفوظ فيها فن القصة الطويلة وجعله فنًّا مصريًّا •

ولابد أن نعرف أن الفصحى لغة أدبنا الرفيع على مر العصور،وأن العامية بأزجالها وقصصها إنما هى فى جمهور ألفاظها فصحى محرفة، والعامية- لذلك- فى حاجة إلى أن تعنى المجامع اللغوية فى البلاد العربية بدراسة ما داخل ألفاظها من تحريفات وردها إلى أصولها الفصيحة على نحو ما يصنع المجمع اللغوي القاهري • وبذلك تقترب العامية من الفصحى تدريجا فى جميع ديارنا العربية، وكلنا نعرف أن الفصحى لغة العلم الذى تتعلمه الناشئة والشباب فى المدارس فى الكليات الجامعية ، ولغة كل ما نقلناه عن الغرب من الآداب والفكر والعلوم الإنسانية والعلوم العلمية الخالصة والقانون والفلسفة، ولغة الصحف التى تقرؤها الملايين منا يوميًّا، وللفصحى عباقرة من الأدباء والعلماء على مر تاريخها الطويل يفوقون العدَّ والحصر، ولها شعراء وكتَّاب مصريون عظام فى القرن العشرين أتاحوا لمصر الزعامة الأدبية بين الشعوب العربية.والفصحى لغة القرآن الكريم الخالدة بخلوده،وهى اللغة القومية التى تربط بين مصر والبلاد العربية بحيث يمكن أن يحدث تكتل عربى سياسي أمام تكتلات الأمم الأوربية السياسية .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شوقي ضيف

رئيس المجمع



العربية فى السودان *

للأستاذ الدكتور عبد الله الطيب

هذا عنوان كتاب قيم ألفه أحد السابقين إلى ربط السودان بهذا المجمع الكريم. بل قل أحد اثنين هما فاتحة من كرم بعضوية هذا المجمع من أبناء السودان. وذانك الشيخ العلامة الفقيه محمد نور الحسن وكيل الجامع الأزهر سابقا والشيخ العلامة عبد الله عبد الرحمن الضرير أستاذ العربية بكلية غوردون سابقا، وقد تشرفت بزمالته حينًا قصيرا من الدهر ولكن عرفته قبل ذلك ومن بعد، رحمهما الله رحمة واسعة. وأحسن المرحوم الوزير يحيى الفضلي رحمه الله إذ أعاد طبع العربية في السودان. وأحسن جماعة من أقارب المرحوم الشيخ محمد نور الحسن إذ أعادوا طبع تفسير "سورة النجم" ومؤلفات أخرى .

هذا وما أريد فى هذه الكلمة أن أتحدث عن هذين العالمين الجليلين ولا عن كتابيهما . ولكنى أردت أنه لا يدخلني تجاوز عن بعض الحديث عنهما في طائلة عتاب جرير حيث قال:

تمرون الديار ولم تعوجوا
كلامكمو علىّ إذن حرام

الذى أريد أن أتناوله هنا هو إثارة موضوع دخول العربية في بلاد السودان متى دخلت ؟ وكيف دخلت؟ وقد قرأت بعض ما كتب حول هذا المجال لا فيه نفسه- من بعض علمائنا ومؤرخينا في السودان، مثل: الأستاذ محمد عبد الرحيم صاحب نفثات اليراع، وأستاذنا الجليل مكى شبيكة، وتلميذه النابه الأستاذ يوسف فضل، والشيخ الدكتور الريح العايد الروس

---

*ألقى هذا البحث فى الجلسة الرابعة من مؤتمر الدورة الخامسة والستين يوم الأربعاء ٢٢ من ذى القعدة سنة ١٤١٩ هـ الموافق ١٠ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٩ م.

وما كتبه فضلاء العلماء المصريين ومنهم من ألمَّ بالسودان أو عمل فيه، على رأس هؤلاء الدكتور محمد عوض محمد، ثم الدكتور محمد عبد العزيز أمين عبد المجيد، والدكتور عبد المجيد عابدين رحمهم الله جميعًا.

وقد كتب عن العربية واللغة في السودان غير هؤلاء على رأسهم الأستاذ نعيم شقير صاحب تأريخ السودان، والأستاذ عبد الحليم اليازجي صاحب الحركة الأدبية في السودان، والسير هرولد ماكما يكل صاحب القبائل العربية فى السودان والأستاذ هايلسون صاحب اللغة العربية في السودان بالإنجليزية، والدكتور عون الشريف صاحب موسوعة القبائل السودانية واللغة الدارجة في السودان- هؤلاء من تحضرني أسماؤهم وغيرهم كثير ممن عسى أن أكون قرأت لهم ثم ندت عنهم الذاكرة ومن غيرهم، ومن الجيل الذى تلا زماننا عدد كبير.

وقد وجدت فى الروض الأنف الذى هو شرح لسيرة ابن هشام وهو معروف متداول، أنه زعم أن العربية كانت معروفة في بلاد الحبشة قبل الإسلام. وقصة سيف بن ذى يزن تدل على شيء من ذلك. كذلك خبر قراءة سيدنا جعفر لسورة مريم عند النجاشى من غير تراجمة يُفْهِمُون معناها وفي الحديث أن التراجمة مما يكونون حضورا عند ملوك الأعاجم كخبر أبي سفيان مع هرقل ملك الروم الذى فى البخارى .

وفى كتاب للأستاذ يوسف فضل بعنوان تأريخ السودان وأفريقيا فى الجزء الثاني منه : " إن العربية قد وصلت إلى بلدنا السودان قبل الإسلام وأن العرب أنفسهم قد كان منهم بالسودان عدد قبل الإسلام. غير أن العدد الأكبر قدم من طريق مصر بسبب المعادن من ذهب وزمرّد، ثم في زمان المماليك قد وقع ضغط وظلم على عرب صعيد مصر فرحلوا إلى السودان" . وقد عجبت من ذهاب

الأستاذ بروفسور يوسف فضل هذا المذهب في أمر المماليك مع سماعي من المرحوم الدكتور حسن فتحي رحمه الله في بعض أحاديثه أيام عيد القاهرة الألفي سنة ١٩٦٩م حديث ثناء طيب على عصر المماليك. وقد سمعت من بعد ومن قبل غيره يذهبون هذا المذهب. وأنا خاصة لا أنسى في نفسي للمماليك أنهم أصحاب موقعة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ وأنهم كانوا حماة الأزهر، وأن بردة المديح وهمزيته وما تلا ذلك من تخميس وتسبيع وتتسيع لهاتين الدرّتين فى مدح نبينا المحبوب صلى الله عليه وسلم قد كان أكثره في زمانهم فرحمهم الله وعفا عنهم أن يك بعض ما زعمه البروفسور يوسف فضل صحيحًا .

على أن البروفسور يوسف فضل بتفصيله وبحثه الدقيق يذكر أن عربا كثيرين استوطنوا بلاد المريس من أرض النوبة واستعجموا لما كثرت مصاهرتهم لهم . وشرح البروفسور يوسف فضل اسم المريس بأنه هو الذى أطلقه العرب على إقليم النوبة بين أسوان إلى دنقلة أو دونها شيئا، ولم يشرح ما أسماه المريس أهو من المرس أى الحبل إذ كان البحارة يضطرون إلى جر المراكب بالحبال في هذا الإقليم، أم هو من المريسة؟ وهى شراب ضعيف الإسكار يصنع من الذرة ويُمْرَس بالأيدى مثل أن يجعل في آنية الشراب، وكلمة سيرقوسا التى تطلق على الجعّة في أرض إسبانيا لعلها خلط من كلمتى "شربات" وينحى بالألف نحو الواو مثل الموصوف في النحو بأنه ألف التضخيم في لسان أهل الحجاز ومريسة - من مرست شيئا في الماء إذا وضعته فيه لينقع. عندى أن اشتقاقه من حبل جرّ المراكب أقوى وأشبه، لأنهم كانوا يجرون المراكب في زمن التحاريق في أرض الجنادل- والمرس بالتحريك الحبل وهى في

عاميتنا فصيحة. وأهل النوبة ذوو تجربة قديمة في الملاحة والعمل البحرى. وفي كتاب تأريخ العفر أى الدناكل للدكتور هاشم الشاميّ (أصله من الشام ولكنه أثيوبي معاصر) أن أول أساطيل البحار صنعها المصريون وكان أولها إبحارا على عهد سحر رع في حوالى سنة ٢٣٠٠ ق.م، وكان بحارته نوبيين من جزيرة الفيلة بأسوان، وهم الذين دلوه على معرفتهم البحرَ وأغْروه أن يمكنهم من أسطول يسيرون به إلى أرض بنط .

والحديث عن أرض بنط هذه وأصلها قد يطول ولعلّ مزيجا من العاملين باللسانيات والآثار والحفريات والتأريخ أن يكونوا أدرى من كاتب هذه الأسطر بالنظر فى أمرها . وإنما أكتفي فى هذا المجال المختصر الحدس أن أشير إلى جواز وجود صلة بينها وبين فنج وكفنجة اسم قبيلتين بالسودان الشمالي وكنج كوش الذى يقال إنه سبق سيدنا إبراهيم الخليل إلى معرفة التوحيد ويدعى الفرس أنه سبق زرادشت وكان فيهم وزعم الأزرقى أن الفرس كانوا يحجون إلى البيت الحرام قبل الإسلام بزمان يضعف دعواهم سبق كنج كوشهم لإبراهيم الخليل وكلمة زنج ليست ببعيدة الجرس من كلمة ماقزوا التى تطلق على المجوس فى بلاد هوسا وزعم أحد فضلاء الباحثين عندنا بالسودان أن كلمة فونج ليست بعيدة من كلمة فينيقيا وهذا باب واسع .

وفي كتاب تأريخ أفريقية والسودان الذى أشرت إليه آنفا أن بعض العرب سكنوا بلاد المريس وصاهروا فيها واستعجموا. وفي كتاب سبائك الذهب فى أنساب العرب أن قبيلة يقال لها الحدربة (أحسبها من الحضارمة) سكنوا مع البجاة واستعجموا .

وقد يرى بعض الباحثين أن بلاد البجاة وبلاد النوبة غربلت العرب إلى داخل السودان بدليل الذى شهده ابن

بطوطة في القرن الرابع عشر الميلادي من وجود بعض الكواهلة مع إبلهم أو ماشيتهم بمراعي سواكن وقد صار الكواهلة من بعد إلى أرض كردفان والنيل الأبيض. وقد قدم الرشايدة في القرن التاسع عشر الميلادى من المشرق من طريق البحر الأحمر فأقاموا بشرق السودان ثم تسربوا إلى داخليته وهم يتكلمون عربية مشرقية اللهجة كأنها من شرقي نجد أو العراق. مع هذا عندى أن تمكن العربية من وسط السودان دون أطرافه مع عجمة هذه الأطراف وتمكن العجمة منها حتى لقد تؤثر على الوافدين العرب حين يؤثرون الإقامة فيها، كأنه منبئ أنه ينبغي أن يكون للعربية أصل قديم أصيل في الوسط. ويقوى هذا الحدث أن العربية التي في وسط السودان، على وجود تشابه مابينها وبين عربية الحجاز والأردن وصعيد مصر وبعض اليمن الشمالي، مختلفة في جوهرها، كثيرة المادة، لاتزال تحتفظ بصيغة المبني للمجهول ونون النسوة وضروب من التكسير والمصادر مثل فِعّال وتِفِعَّال،الأول : نحو كِضّاب بإمالة الألف وقلب الذال ضادا كما يحدث كثيرا في لهجة السودان وهى كِذّاب التى في سورة "عم" وتِفِرِق بكسر التاء وكسر الراء المشدّدة صيغة من التفراق التي نسبها المعرّى إلى تأبط شرًّا في طيف ابنة الحر، إذ كنا نواصلها ثَمَّ .

واتباع نون النسوة الفعل الماضي بدون تسكين آخره ذكره سيبويه فى إلحاقها بنحو ردّ في قولهم ردّن - وهو مطرد عام عن كل فعل ماض عندنا نقول ردَّنْ وقالَنْ .

ومن صيغ المبنى للمجهول فِعِل كقِتِل وضِرِب، وأما الموسوعة اللغوية فواسعة وفيها الاستعمال النادر.

وذكر غير واحد من مؤرخى اليونان أن العرب كانوا بشرق النيل من عند مصر إلى أرض علوة وذلك شرقى الخرطوم.من هؤلاء استرابو،

وذكر هيرودوتس مشاركتهم لدارا الأول في حرب ماراثون ، والراجح أن غرب النيل كان يحكمه النوبة أو الكوشيون الذين يقال لهم العنج عندنا بالسودان ويسميهم التأريخ بمروى القديمة. وقد خبرني المرحوم الدكتور أمير مصطفى عالم الآثار المصرى أن عنج معناها حاكم. وهل عنخ تحريف عنج؟ وهل فنج بعيد من ذلك أو قريب ؟ الله أعلم .

والغالب على الظن أن العرب استوطنوا أرض شرق النيل بدليل وجود آبار بها غاية فى العمق - ففى ناحية شرق شندى في منطقة المصورات بئر نحو ستين باعا منحوتة من رأسها إلى مكان الماء فى الحجر وهى وحدها موضع الماء ذى المدد وكل ماحولها حتى ما احتفره الإنجليز وركبوا عليه الطلمبات لايستمر سحب الماء منه طويلا. وفى ناحية الثميد بالبطانة إلى جهة الشرق نحو نهر أتبرا بئر مبدؤها نحو من ثلاثين باعًا، ثم الحفر اتجاهًا أفقيًّا نحو باعين أو ثلاثة، ثم ينحدر عموديًّا حتى يصل الماء بعد نحو سبعين أو ثمانين باعًا - أكثر من مئة متر. هذا الحفر للآبار عربيّ النسخ. وما يزال الأعراب أهل البادية إلى يومنا هذا هم أعرف الناس بحفرها وهم القنّاؤون مثل هدهد سيدنا سليمان عليه السلام .

وسمعت من أهل الأخبار الموثوق بهم عندنا أن إحدى القبائل طغت على قبيلة أخرى بأرض البطانة وكادت تستأصلها. وكان لهذه القبيلة المغلوبة علم عند كبيرها فخبر زعيم القبيلة الغالبة بأمر مرض يعروه كان يكتمه يقال إنه كان نوعا من الصرع الموسمي. وأعلمه أنه يقدر على مداواته كما قد قدر على حدسه من غير أن يخبره به أحد. ولما داواه، وكان اشترط عليه إذا داواه أن يكافئه بما يطلبه منه، سأله أن يسمح له أن يحتفر بئرا حيث يقف به حماره. فاحتفر بئرا وجاءت شراذم من بقايا

قبيلته فالتفوا حولها، وجاءت القبيلة الغالبة تبغى منعهم فشكاهم إلى رئيسهم، فقال لهم رئيسهم: إنى أذنت له أن يحتفر بئرا حتى في يافوخ رؤوسكم، قالوا وجعل الشيخ البصير اللبيب بين حين وآخر على بعد زمن بين كل حينين يحتفر بئرا حيث يقف به حماره ، ياله من حمار فطين، وما مر جيل حتى كاثرت القبيلة التي كادت تستأصل حتى صارت هى أكثر القبائل عدًّا ومددا بأرض البطانة .

هذا ويقال إن سبب غلبة العرب على الوسط آخر الأمر نشأت من المصاهرة. وعرف من كانوا هم أهل الدولة بغرب النيل من جعل وراثة السلطة والمِلك لأولاد البنات. خلافا للعرب الذين كانوا عند كثير منهم الأخذ بقول القائل :

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا

بنوهن أبناء الرجال الأباعد

ولله الحمد أوّلاً وأخيرًا .

وله العلم كله وهو القائل في كتابه العزيز: " وفوق كل ذى علم عليم ".

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

عبد الله الطيب

عضو المجمع من السودان



بين الفصحى والعامية بالمغرب*

للأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي

اهتم المغاربة اهتمامًا كبيرًا بالبحث حول أصول الكلمات العامية في اللغة العربية، ولابد لي هنا أن أحيل على البحث الذي خصصته لمجمعنا الموقر في دورته السادسة والخمسين سنة ١٩٩٠م والذي فصَّلتُ فيه الموضوع عندما قدمتُ أمام المجمع تأليفًا مغربيا للشيخ أحمد الصبيحي - رحمه الله - يحمل عنوان : "إرجاع بعض الدارج بالمغرب إلى حظيرة أصله العربي"، ذلك التقديم الذي أرجو أن يضاف إلى أعمال مؤتمر المجمع لهذه الدورة الخامسة والستين..

والآن وبعد مضي تسع سنوات على الموضوع نلاحظ أن اهتمام المثقفين بالمغرب يتزايد بالموضوع حيث تطالعنا الصحف من يوم لآخر بالبحث عن هذا التعبير أو ذاك، ومن الطريف في هذا الصدد أن نسجل أنهم جميعًا يشاركون في هذا الحوار محاولين بكل ما استطاعوا أن يبحثوا عن حضور الدَّارج في المعجمات العربية .

وأذكر هنا للفائدة أن الأستاذ الشاعر المعروف محمد الحلوي أخذ على عاتقه الكتابة حول موضوع الفصحى في العامية المغربية ، ومن هنا كان معجمه الذي أصدرتْه عام ١٩٨٨م شركةُ النشر والتوزيع بالدار البيضاء تحت عنوان" معجم الفصحى من العامية المغربية"... ولم يقف الأستاذ الحلوي عند هذا الحد ولكنه عودنا على أن نقرأ له مقالاتٍ متتابعةً على صفحات (العلم) التي توزع على

---

* ألقى هذا البحث فى الجلسة الرابعة من مؤتمر الدورة الخامسة والستين يوم الأربعاء ٢٢ من ذى القعدة سنة ١٤١٩هـ الموافق ١٠ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٩م.

نطاق واسع داخل المغرب وخارجه...

ويتتبع الأستاذ الحلوي بعنايةٍ طائفةً من العبارات والألفاظ الدارجة التي تجري على ألسنة المغاربة . والمهم في الموضوع أن تعليقاته لا تبقى بدون تعقيب حيث نشهد عددًا كبيرًا من الأساتذة يتعقبون أقواله تارة بالتزكية والتأييد ، وتارة أخرى بالمعلومات التي يضيفونها إلى ما يقوله مستدلين محتجين بهذا الأثر أو ذاك .

ولعلَّ من المفيد أن نعرف أن هذا الموضوع لم يبق مقتصرًا على العامية المغربية، ولكنه تعداه أيضًا إلى العامية المصرية والسورية ! لماذا ؟ لأن المسلسلاتِ والأفلامَ الشرقية عندما دخلت بيوت المغرب تسربت معها كذلك لهجات القاهرة ودمشق ... وأخذ عامتنا بدورهم يستعملون تلك الألفاظ وكأنها من دارجتهم ... !

وهكذا أمسى المغاربة اليوم يهتمون أيضًا بدارج المصريين ودارج السوريين على نحو ما كان بالأمس من اهتمام أحمد تيمور باشا بلهجة ديار مصر واهتمام إسكندر معلوف بلهجة الشام .

وقد أشاد الأستاذ الحلوي وقبله زميلنا الراحل الشيخ عبد الله كنون بأصالة السليقة العربية عند المغاربة وتمكُّنهم من قواعد اللغة العربية ، وأن من المغاربة من كان لا يتكلم إلا بكلام معرَّب حتى في الأحوال العادية(*).

وقد ألقت بعضُ الحالات في العامية المغربية الضوءَ على الموضوع ومكَّنت من عدة ملاحظات:

أولاً : أن اللسان الدارج الذي كان إفرازًا أفرزتْه الفصحى لم يُفقد – في أغلب الحالات – الكلمة العربية بِنْيتَها وطبيعتَها رغم ما تَداولها من ألسن لم تكن العربية لغتها .

ثانيًا : أن توظيف العامة للكلمات واستعمالهم لها لم يكن عفويًا .. ففي كثيرٍ من الحالات نُفاجأ بأمثال وتشبيهات وصور تنم عن تذوقٍ

(*)معجم الفصحى ص ٩.

للمعاني وإحساس بالجمال .

ثالثاً : أن استعمال العامي لم يُبعد الكلمةَ الفصيحة عن مدلولها العربي السليم، كذلك فهو لم يشوِّهْها بما يُبعدها عن جَرْسها وإيقاعها، والتغييرُ الذي يلحقها يكاد ينحصر في تغيير حركاتها أو قلْب بعض حروفها: .

رابعًا : أن صدر عاميتنا لم يضق عن احتضان الدخيل الذي استعملته إلى جانب اللفظ العربي للهجتها المحلية . وهكذا فإلى جانب " الفصيح المُدرَج " نجد كلماتٍ مولدةً تركية وفارسية ويونانية وأمازيغية كذلك، وتعاملت معها كما تعاملت مع اللغة العربية(*).

ومن المهم أن نذكر هنا أن الأستاذ الحلوي قبل أن يقوم بجرد المفردات والتعابير بلغ إلى ثمانية وعشرين وسبعمئة مفرد ضمَّنها زهاء أربعةً وستين مثلاً زادت في توضيح المقصود، قبل ذلك أتى بما سماه (نحويات لابد منها) حيث أكد أن العامية المغربية كغيرها من اللَّهجات فيها ما يمكن اعتباره ضوابط يلتزم بها العامي وهو يتكلم .. وعَى تلك الضوابط من والديه في المنزل أو أقرانه في الشارع .

ويذكر الحلوي نماذج من هذه النَّحويات التي نشاطره الرأي فيها . فمثلاً تلتزم العامة الحرف (تا) أو(كا) في كل مضارعٍ يدل على الحاضر، فهم يقولون : فلان تيتعلَّم أو كيتعلم إلخ ويستعلمون الحرف (أش) كأداة للاستفهام بمعنى : كيف، كقولهم : أش خبرك ؟ أش حالك ؟ وبمعنى ماذا أيضا في مثل: أش عملت ؟ أش قضيت ؟ ويستعملون كلمة (باش) ومعناها بأي شيء؟ في مثل قولنا باش طبع كتابه ؟

ويستعملون كلمة (مناش) بمعنى من أي شئ ؟ كقولهم مناش ربحت ؟ ويستعملون (فوقاش) بمعنى متى ؟ فوقاش سافر ؟

(*) المصدر السابق ص ١٢

ويستعملون كلمة (ماشي) في محل السّين الداخلة على المضارع مثلا ماشي نسافر غدًا أي سأسافر غدًا .

ويستعملون كلمة (ياك لاباس) بمعنى ماذا حصل ؟

ويستعملون كلمة (ناشْ) من كل الأفعال المنفية يختمون بها الفعل : قولهم ما عملْناش ما شارَ كْناش !

ومن المفيد أن نعرف أن طريقة المبني للمجهول في الدارجة تختلف عن ما نعرفه في العربية، وهكذا نستعمل للدلالة على المجهول حرفين (أت) بتاء مشددة فنقول في فلان ضُرِب : فلان اتضرَب، وفي قُطِع الثوب : الثوب اتقطّع !

ومن الملاحظ كذلك أنه لا توجد نون للنسوة عندنا في الدراجة ، هكذا فإن واو الجمع وحدها هي التي تستعمل للذكور والإناث، فنقول الرجال خرجوا والنساء خرجوا كما نستعمل مثل ذلك للمثنى مذكرًا ومؤنثًا .

نقول مثلا : فاطمة وزينب خرجوا !

ولَكَمْ كان زملاؤنا الأساتذة المصريون الذين وردوا على المغرب للتعليم في المعاهد المغربية، يلاحظون مخاطبتَنا للمذكر بتاء التأنيث ، يُسمع أحدُنا وهو يخاطب أخَاه أو ابنه : علاش تأخرتِ؟ علاش تكلمتِ ؟

هذا إلى أنَّ دارجتنا تبتدئ بالساكن : شْرَب الولد .. خْرَج الأستاذ ومن المفيد كذلك أن نعرف أن الدارجة بالمغرب لا يوجد بها "همزة " للمتكلم، وأن حرف النون وحده هو الذي يستعمل للجمع وللمتكلم الواحد فيقال أنا غَدًّ نْسافر ! وتقول حاكيًا لوفدٍ أو جماعة " حْنا غدًّا نسافرو ! .

ولا يكتفى في الدارجة بالنون في الدلالة على الجمع في المضارع لكننا نلحق،إلى جانب النون في البداية، واو الجمع في الآخر فنقول:نتعلمُوا نسافروا وينكر الاسم المفرد بذكر لفظة(واحد)قبل الاسم المقصود تنكيره، وهكذا نقول واحد الرجل!واحد المرأة!

وتقلب العامة هاء الغائب واواً وتنقل الضمة إلى ما قبلها في مثل : عوَض قَالَ، نقول قالْ لُو ، وعَمِل له : عمل لُّو، ومن كلامهم : الغايب مالو شوار ، فالواو عوض الهاء ..

وكان مما يلاحظ في هذا الصدد قلب الحروف، وهي ظاهرة متفشية في عاميتنا وهي لا تخضع لضوابط ثابتةٍ، ولكنها وليدة الحس اللغوي الذي تتوفر عليه العامية، وهناك عدة أمثلة لما نقول :

الهمزة مثلا قد تقلب قافا عكس ما يحصل عند إخواننا المصريين عندما يقلبون القاف همزة في غير كلمة (القرآن) وكلمة (القاهرة) !

وقلب الجيم دالا فعوض جاز يقال داز، وعوض جسارة دسَّارة ، وقلب الدال طاءً عربد : عربط، وقلب الشين جيمًا : المشحاح المجحاح .

وقلب الكاف همزة (كما أرسلنا فيكم رسولا) (أما أرسلنا فيئم رسولاً) !

وكان من العبارات العامية التي أوردها الحلوي قولنا : وقعت السرقة مثلا في النهار (كهار) جعل الحلوي كلمة كهار مأخوذةً من كهر النهار ارتفع واشتدت حرارته، لكن الأستاذ صالح البكار وهو سفير تونس في المغرب يرى أن كلمة (كهار) أصلها (جهار) ونحن نعلم قولهم :" كلّ ما يكمكم يُجمجم أو يقمقم " ، ويعلق الحلوي علىَّ مَا ورد لي في تفسير كلمة السنداس التي جاءت في رحلة ابن بطوطة فيقول : إن السنداس كلمة عامية تعني الثقب والمجرى الذي يكون في بناية المرحاض .

ويأتي بكلماتٍ جديدةٍ نحو(المكفط) بمعنى المشمّر ، والمشاوشة لنوعٍ من الصراع يعتمد على الأرجل، والمصاقرة التي تعتمد على السيف والعصا .

وقد كان من جديد ما قرأنا حول موضوع الألوان عند العامة ، أنها أي العامة وظَّفت الطبيعة بأشكالها في تشخيص الألوان وتحديدها، وقد ظهر

حبهم وافتتانهم بها في مظاهر شتى من حياتهم في الاحتفاء بالربيع والمهاداة بالزهور،وغرسها في البيوت وتكريم الموتى بها في المقابر، ونظمها قلائد تزين بها الأعناق وأكاليلَ تُتوج بها الرؤوس، فمن السماء وزرقتها جاء اللونُ السماوي وضوء الصباح، ومن الأرض جاء اللون الحجري والرمادي، ومن الزهور جاء اللون الوردي والقرنفلي واللون القيقلاني .

ومن الفواكه والمشروبات جاء النعت بالخُوخي والبنَاني والقُوقي والقرعي والخياري واللوزي والرماني والفلي والقزبري والخمْري والقهوي و(طاب ما طاب) هذا إلى اللون الزيتي والسمني والليموني والبرقوقي. ومن الطيور أخذوا النعت باللون الكناري والحمامي والفاختي، ومن الحيوان اللون الجملي لأنه يشبه وبَر الجمال، ومما يندرج في أخذ النعوت من الطبيعة نعتهم الثوب مثلا بالخابوري بمعنى الأصفر الفاقع اللون، وهو في الأصل شجر له نور أصفر ... .

وقد كنت آثرت في الثمانينيات الحديث عن كلمة تُستعمل بكثرة في المغرب تنعت بها السيدةُ المنحدرة من الرسول عليه الصلاة والسلام، أو أية سيدة تتميز بخلالٍ رفيعةٍ نبيلة ... هذه الكلمة هي (لالّة) التي قلت عنها في أحد تآليفي[1] اعتماداً على بعض المصادر التركية[2]: قلت إنها من أصل تركي، لكن الأستاذ السفير صالح البكري سالف الذكر نشر رسالةً مفتوحةً في جريدة (العلم)في عددها بتاريخ٢٣ يوليه ١٩٩٧م يتساءل عن حقيقة الكلمة ، واستطرد بإثارة عدد من المواضيع التي استحقت من القراء جملةً من التدخلات والاستفسارات

(١) د.التازي:التاريخ الدبلوماسي للمغرب المجلد الأول ص٨٣ رقم إيداع قانوني٢٥/١٩٨٦م.

(٢) محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجيل ، بيروت ١٣٧٩هـ= ١٩٧٧م، ص١٠٦.

والإضافات المفيدة جدًّا للذين يهتمون بصلة العامية مع الفصحى .

وهكذا قرأنا للزميل الدكتور عباس الصوري تعليقًا مليئا بالفوائد التي كنا في حاجة إليها مثل صلة الكلمة بلغة الولوف السينيغالية ...

كما قرأنا للسيد محمد كمال الخمليشي تعليقًا رجع فيه إلى كتاب الشيخ الصبيحي سالف الذكر .

وتبعه تعليق لأحدهم بتوقيع الأستاذ ع.ب.

ثم كان تعليق السيد محمد الصبار الذي جعل عنوان كلمته هكذا : " لالّة أصلها لالا الأمازيغية ، ثم كان تدخل السيد عبد السلام الشفيرة الذي أثار أيضًا نقاطًا فى غاية الأهمية مؤكدًا أن لغتنا العامية لغة البساطة والسهولة والوضوح فيها ما هو منحرفُ عن أصله الفصيح إما بالنقصان أو بالحذف والإضافة أو بالتغيير أو بالنحت أو بالدخيل أو بالولادة ، وينقل عن ابن الأعرابى : الأسماء كلها لعلة، خصت العرب ما خصت منها ، من العلل ما نعلمه ومنها ما نجهله فالإنسان سمي إنسانا لنسيانه، والبهيمة سميت بهيمة لأنها أبهمت عن العقل والتمييز .

وقد ختم هذا الحوار السيد علي العراقي بالميل إلى أن لفظ (لالا) ربما كان دخيلا على اللغة العامية من أصل تركي .

لقد تعمدت ذكر كلٍّ هذه الأسماء لأبرز أن الحوار على أشده في الأوساط المغربية عبر الصحافة حول الفصيح " المدرج " أو رجوع الدارج إلى الفصحى، وقد تبع هذا الحوار نقاش جاد وحاد حول كلمة (المبرّز) وهل أن صوابها بكسر الراء أو فتحها؟ ثم تبع هذا تعليق حول كلمة : خرج إلى التقاعد، أو أحيل على المعاش،أو استراحة المحارب تعريبا للتعبير الفرنسي(Le repos du guerrier).

وقد كان مما أثار الانتباه حقا ما ردده الأستاذ صالح البكاري في

معلومة له جديدة بعنوان " (كيف : أداة تشبيه فاتت اللغويين) .

ونظرًا لأهمية هذه المعلومة وصلتها بأحد الأعضاء الراحلين في المجمع وهو أخونا محمد عبد السلام هارون محقق البيان والتبيين والحيوان للجاحظ،الذي جرد عشرات الألفاظ العربية مما لم يرد ذكره في المعاجم العربية التي بين أيدينا .. أقول لأهمية تلك المعلومة فإني أورد ملخصها هنا، قال الأستاذ البكاري :

ومن اللهجة التونسية أداة التشبيه (كيف) يقابلها في اللهجة المغربية (بحال) والناظر إلى هاتين الصيغيتن يدرك ما بينهما من تقاربٍ في دلالتهما على الكيفية والحالة ... وإذا قلت فلان كيف فلان؛ فإن المعنى أنهما "زي بعض " ، كما يقولون في مصر، وهكذا يتبين أن (كيف) الموسومة عند اللغويين بأنها أداة استفهام هي أيضا أداة تشبيه ، ولكن لا أثر لوظيفتها هذه في كتب اللغة والمعاجم...

ويقول الأستاذ البكارى : إن هذا الرأي تعزز عنده بما وجده في شعر دُرَيد بن الصِّمة حين يقول في وصف جري فرسه بصيغة المؤنث :

لها حَضَر كيف الحريقُ ، وعقبها
كجسم الخَسِيف بعد معمعة الورد

وهو يشبه الفرس في عدوه بالنار كما قال العسكري في ديوان المعاني . ولا أدري – يقول البكاري – على أي أساس ورد لفظ الحريق بالرفع إذ إنّ أدوات التشبيه كلها تجر بالإضافة.

ويضيف الأستاذ البكاري إلى كلمة كيف كلمة (تقول) التي تستعمل في بلاد المغرب على أنها أداة تشبيه وعلى نحو ما ورد فى ديوان دريد :

تقول هلالٌ خارجٌ من غمامة
إذا جاء يجرى في شَلِيل وقَوْنَس

ومن اليسير استبدال كلمة (تقول) بكلمة (كأنه) ، وفي دارجتنا المغربية تعبير : (سُلَيمان تقول أباه يونس) يعني كأنه أبوه! وهكذا

احتفظت كلمة (تقول) أيضا باستعمالٍ وظيفي فات اللغويين .

السادة الزملاء الأعزاء :

ذلك حديثي الموجز عن اهتمام المغاربة بقضية الفصيح والعامِّي ببلادنا ... وأرجو أن أنبه – لكي أكون أمينًا في بحثي – إلى أن هناك اهتمامات تجلت فيما كتبه المستشرقون على شكل معاجم أو مقالات تعتمد على الاستقراء والتتبع، وهي لا تخلو من فائدة لمن يهتم بإرجاع العام إلى الفصيح، علاوة على أن أولئك المستعربين قد يهتمون أيضا بقضية رجوع اللهجة البربرية أو بعضها إلى الأصول العربية وهذا أعدكم بتناوله بتفصيل إن شاء الله في مرحلة مقبلة .

عبد الهادي التازي

عضو المجمع من المغرب



العامية الليبية
من فصحى تدرّجت إلى دارجة تفصّحت *

للأستاذ الدكتور علي فهمي خشيم

يروي العبدري [١] في (رحلته) عند مروره بالإقليم الشرقي من ليبيا : (وعرب برقة اليوم من أفصح عرب رأيناهم، وعرب الحجاز أيضًا فصحاء، ولكن عرب برقة لم يكثر ورود الناس عليهم فلم يختلط كلامهم بغيره، وهم الآن على عربيتهم، لم يفسد من كلامهم إلا القليل، ولا يخلون من الإعراب إلا ما لا قدر له بالإضافة إلى مايعربون) .

ويذكر ما حدث له :

(سألت بدويًا لقيته يسقي إبله بالحصوى[٢]عن ماء يقال له أبو شمال هل نمر عليه -وذكرته بالواو في موضع الخفض على عادة أهل الغرب (المغرب) فقال لي : نعم .. تطؤون أبا شمال . وأثبت النون في الفعل ونصب المفعول، وليس في الغرب "المغرب" عربي "أعرابي" ولا حضري يفعل ذلك).

ويضيف :

"مررنا بأطفال منهم يلعبون فقال لنا واحد منهم: ياحجّاج ! معكم شيء تبيعونه؟ وأثبت النون وسكّن الهاء للوقف"..

وأيضًا :

---

*ألقى هذا البحث فى الجلسة الرابعة من مؤتمر الدورة الخامسة والستين يوم الأربعاء ٢٢ من ذى القعدة سنة ١٤١٩هـ الموافق ١٠من مارس (آذار) سنة ١٩٩٩م.

(١) محمد العبدري البلنسي . قام برحلته حاجًّا من حاحة بالمغرب الأقصى سنة ٦٨٨هـ . طبع قسم منها في الجزائر بتحقيق الأستاذ أحمد بن حدّو- دون تاريخ. والمرجع هنا: ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات، إعداد وتصنيف: د.محمد يوسف نجم ود. إحسان عباس. دار ليبيا للنشر والتوزيع بنغازي ١٩٦٨م ص ١١ - ١١٢.

(٢) اسم موقع .

(ورأيت أعرابيًّا منهم قد ألحت عليه امرأة تسأله من طعام معه، فقال لها : والله ما تذوقينه ! فأتى بضمير المخاطبة على وجهه، وأثبت النون وسكّن الهاء)..هذا عن الإعراب عند الأعراب في برقة. أما عن الألفاظ فيحكي العبدري:

(سمعت شخصًا ينشد في الركب مكتري رحالة (راحلة ؟): من يكري زاملة؟ فسمعه بدوي فقال له : أعندك الزاملة ؟ فقال :نعم . قال : فلا تقل؛ من يكري . وقل ؛ من يستكري) .

ويقول :

(وأما نادر ألفاظ اللغة وماجرت عادة أهل الغرب بتفسيره فهم حتى الآن يتحاورون به على سجيتهم . فمن ذلك أن شخصًا منهم وقف عليَّ بموضع نزولي من محل الركب، وكانت الترعة منه بعيدة، فقال لي: يا سيدي! تدعني أظهر؟ يعني: أخرج. وسألت شخصًا منهم عن الطريق فقال لي:إذا ظهرتم من الغابة فخذوا صوب كذا -يعني : إذا خرجتم منها[(١)] ...

وسمعت صبيًّا منهم ينادي في الركب: ياحجاج! من يشتري الصفيف؟ فلم يفهم منه أكثر الناس، فقلت له: اللحم معك ؟ فقال: نعم. وأبرز لحم ظبي مقدد[(٢)] ...

وسألت شخصًا عن ماء؛ هل هو معين؟ فقال لي: هو غدق[(٣)] هذا اللفظ فسره أبو عبيد في (غريبه)...وسمعت آخر، وقد ازدحم الناس في مضيق، وهو يقول : تنحوا عن الدرب)...

(١) يعلق:"هذا اللفظ قد أكثر فيه أهل المغرب في تفسير قول عروة بن الزبير(رضى الله عنه): لقد حدثتني عائشة (رضى الله عنها) زوج الرسول(صلى الله عليه وسلم) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يصلي العصر والشمس في حجرتها قبل أن تظهر، وأتوا عليه بشواهد وأمثال ".

(٢) يعلق على كلمة (الصفيف):"وهذا اللفظ قد ذكره مالك [ابن أنس]رضى الله عنه في (الموطأ) فقال بإثر الحديث: قال مالك (رضى الله عنه)؛ والصفيف القديم".

(٣) ويعلق :" هذا اللفظ فسره أبو عبيد في (غريبه)".

وفي (اللسان): المعين؛الماء الظاهر الجاري من عين أو منبع. والغَدَق ماء المطر الكثير العام.

ويختم بتعليقه :

(وما يتكلمون به من الغريب أكثر من أن يحصى) ..

كانت هذه الملاحظات التي أبداها العبدري أواخر القرن السابع الهجري. غير أن بدو برقة اليوم، مثلهم مثل سائر البدو في ليبيا، لم يعودوا يعربون ولا يثبتون نون المخاطب الجمع أو المؤنث في الأفعال [(١)]. وما نظن أحدًا منهم يعرف الصفيف أو الغدق أو المعين، وإن كانت (ظهر) بمعنى (خرج) و(صوب) بمعنى (جهة ، ناحية) لا تزالان مستعملتين.[(٢)]

ولا ريب في أن(فصاحة) أعراب برقة يومذاك قياسًا بـ(عامية) المغرب راجعة ، كما لاحظ الرحالة ذاته ، إلى أنه (لم يكثر ورود الناس عليهم ، فلم يختلط كلامهم بغيره) ، فقد كانوا يحيون في عزلة شبه كاملة تكتنفهم الصحراء من شرق وغرب وجنوب

(١)نلاحظ أن هذه النون موجودة الآن في لهجة عرب الخليج، بالإضافة إليها عند الإسناد إلى جمع المذكر الغائب. أما إسنادها إلى جمع المؤنث في الفعل فلا تزال في ليبيا (مصراته وما شرقها) في حين أن هذا الجمع يعامل معاملة جمع المذكر في طرابلس وما حولها، كما هو الحال في مصر .

(٢) بقية من غريب اللفظ موجودة حتى اليوم لدى بدو منطقة الجبل الأخضر وطبرق .
إذ يقول البدوي لصاحبه يدعوه إلى الجلوس :" طنن ع الديسة يارا " أي : اجلس على الحصيرة يا رجل ! وفي مادة "طنا " في (اللسان): أطنى إذا مال إلى الطنى وهو البساط فنام عليه كسلاً. والأرجح أن فعل الأمر عند البدو [طنن] أصله " اطنِ) أما "الديسة" بمعنى الحصيرة فإن تسميتها راجعة إلى أنها تعمل من نبات ينمو على أطراف المستنقعات يدعى "الديس " وأما " يارا" بمعنى " يارجل " فمن القطع المعروف عند بعض قبائل العرب .
وفي صبا الكاتب كان يسمع أحيانًا ألفاظا فصيحة جدًا تجرى على ألسنة العامة، والنسوة بصورة خاصة، في بلدته مصراته (٢٠٠ كليو متر شرقي طرابلس العاصمة)من مثل القول: عيت (عائلة) فلان جو (جاءوا)بقضهم وقضيضهم . وتنطق القاف هنا معقودة، أو القول : وقعد (أي :ظل)هذا ديدانه (ديدنه -أي دأبه). غير أن هذه المفردات وأمثالها اختفت؛ أو كادت أن تختفي من الاستعمال الآن؛ إذ يستعمل تعبير "كلهم" بدلاً من "قضهم وقضيضهم " وكلمة مدادم بدلاً من ديدنه .. (ديدانة في النطق اللهجي بمد الدال الثانية).=

والبحر من شمال. وهكذا ظلوا (على عربيتهم، لم يفسد من كلامهم إلا القليل، ولايخلون من الإعراب إلا ما لاقدر له بالإضافة إلى مايعربون).

هذا الواقع من فصاحة البدو الأميين بسبب العزلة تقابله عامية الحضر حتى عند المتعلمين منهم، بل عند خاصة المتعلمين ، في المدن التي تعرضت لاختلاط أهلها بالأجانب بسبب الغزو والاحتلال أو عن طريق المعاملات التجارية ، وإذا لم يكن بين أيدينا مصادر تتحدث في هذا المجال في العصر الذي كتب فيه العبدري للمقارنة، فإن لنا مثلاً في (يوميات) حسن الفقيه حسن(*) الذي كان يسجل (يومياته)مدة أربعين عامًا في عهد حاكم طرابلس يوسف باشا القرمانلي منذ نحو مئتى عام، ويعتبر من خلصاء الحاكم وصفوة المتعلمين يومذاك. فقد كانت لغته خليطًا من الدارجة الممعنة في عاميتها، وكثير جدًا من الألفاظ الأعجمية ، كلها أو جلها ، في حاجة إلى شرح للقارئ اليوم، بل للقارئ الليبي وإن كان طرابلسيًّا قحًّا ، إذ

= مع هذا تظل ألفاظ فصيحة تبدو عند الوهلة الأولى غريبة على السمع فلا تفهم إلا بإرجاعها إلى أصلها الفصيح . مثال ذلك الفعل "يستغابط" بمعنى : يسارع إلى . وهي ذاتها الفصيحة "يستبق" أبدلت القاف غينًا وقلبت قلبا مكانيًا بإسباق الغين (القاف)الباء ومدت، وزيدت الطاء.
ونسمع تعبيرًا مثل : (أمحيش) بإمالة الياء وأصله فى العربية (من حيث)
وكذلك " اشحنه" وعربيته " حيث إن" وهناك "شنو/اشنوه" (أي شيء هو) ، و " علاش / عليش" (على أي شيء)،" ليش " (لأى شيء) وغيرها،هذا كثير مما له نظائر في اللهجات العربية الأخرى .
وهكذا تمكن متابعة الفصيح الذى ظل فصيحًا أوأصابه اللحن أو جرت عليه قوانين الإبدال والقلب المكاني .. إلخ .

(*) نشر مركز الجهاد للدراسات التاريخية الجزء الأول منها باسم (الحوليات الليبية) تحقيق محمد الأسطى وعمار جحيدر ١٩٨٤م وحسن الفقيه حسن (١٧٨٠ - ١٨٦٦) هو الجد الثاني للأستاذ علي الفقيه حسن الذي كان عضو مجمعي اللغة العربية في القاهرة ودمشق وتوفى سنة ١٩٨٠ م .

يستعصى عليه فهم الكثير من الألفاظ والجمل إلا ببيان دلالتها في ذلك الزمان [١] .

من المؤكد أن جملة أسباب أدت إلى انحدار الدارجة الليبية إلى العامية وكثرة الدخيل فيها، من بينها توالى غزو البلاد من قبل القوى الأجنبية واحتلالها مرات كثيرة وتنوع هذا الاحتلال مما ترك الأثر الكبير في تنوع الدخيل، ثم فقر البلاد الذى ساعد على رسوخه القتال الضاري بين أهلها والغازين أو فيما بينهم أنفسهم مما أدى إلى إهمال مصادر الحياة المستقرة من زراعة وصناعة، وكانت النتيجة إهمال التعليم وانتشار الأمية والجهل حتى أصبح القارئون قلة يعدون على أصابع اليد في البلدة الواحدة أحيانًا. ويقدم لنا الرحالة المغاربة بالذات الذين كانوا يسجلون ملاحظاتهم في رحلاتهم صورًا قاتمة عن مدى التخلف الذي مرت به البلاد على مدى قرون من الزمان ، وعن المستوى العلمي والثقافي ، وتبعًا لذلك المستوى اللغوي[٢]. ويذكر العياشي[٣] أنه زار زاوية الشيخ أحمد زروق[٤] في بلدة مصراته (وصلينا الجمعة بالمسجد

(١) لنقرأ هذا المقطع على سبيل المثال : " خرجوا فسيانات انقليز من المراكب المذكورين أعلاه إلى المنشية دخلوا الشوارع على قولهم منهم واحد طاح به واحد عربي جلد عليه بنيار عطاه عدد٥دورو وطلقه ولن يعرفوه" ص ٥٩٧.

أو هذا المقطع : " بعتوا إلى حوشنا أربع متارد حلاوات وحولي صادة وحولي بالفضة سماوي وكردية وسوابيت حنة" ص ٦٤٠. وقد احتاج المحققان إلى إحدى وأربعين صفحة لوضع معجم للألفاظ التي يعسر فهمها في هذه (اليوميات) إضافة إلى الشروح المسهبة على المتن ذاته .

(٢) انظر في هذا :

كتاب (ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات) للدكتور محمد يوسف نجم والدكتور إحسان عباس.

(٣) عبد الله بن محمد أبو سالم العياشي(توفي١٠٩٠ هـ)الرحلة العياشية. المصدر السابق، ص٢٠٧.

(٤) عن هذا الشيخ الصوفي العالم وعن حياته وآثاره العلمية وطريقته الصوفية انظر للكاتب: أحمد زروق والزروقية .

الجامع وهو الذي كان الشيخ يصلي فيه، وخطب إمام المسجد من ورقة، وليته أحسن القراءة منها، فإنه كان يتوقف حتى في آيات من القرآن العظيم، وأسفت لذلك المكان مع شرفه بجوار الشيخ وكونه واسطة البلد كيف يسند الأمر فيه إلى غير أهله ويوضع في غير محله، ولله الأمر من قبل ومن بعد). وإذا كان هذا الخطيب لا يحسن القراءة حتى في آيات القرآن العظيم فكيف الحال عند عامة الناس ؟

لقد كانت الأمية ضاربة أطنابها بشكل مفجع، وطبيعي أن تنحدر الدارجة تبعًا لذلك. وحتى عهد قريب كانت الأمية سمة المجتمع الليبي ، ويذكر الكاتب أنه لم يكن في ليبيا كلها يوم أعلن استقلالها سنة ١٩٥١م سوى عدد أصابع اليد الواحدة من خريجي الجامعات (من مصر وإيطاليا) ولم تكن ثمة مدرسة ثانوية سوى واحدة في طرابلس، ولا مدرسة ابتدائية في منطقة مصراته (يقدر اليوم عدد سكانها بحوالي نصف مليون نسمة) إلا واحدة. والكاتب نفسه كان في الدفعة الأولى التي حصلت على الشهادة الإعدادية، ثم الثانوية العامة، اللتين أنشئتا أول مرة في جيله (*).

هذا كله أدى إلى (تدرُّج) العامية الليبية، أي أن تصبح دارجة ففسدت الألسنة حيث تكثر فيها الألفاظ الأجنبية بشكل ملحوظ وتحرف الألفاظ العربية الفصيحة حتى لاتبين نطقًا ودلالة، مما جعل هذه اللهجة تبدو غير مفهومة كأنها) (رطانة) .

في الصفحات التالية بعض أمثلة من الدخيل الذى صار جزءًا لاتستبين

(*) يختلف الوضع اليوم تمامًا بعد مرور نصف قرن إذ تبلغ طاقة استيعاب من هم في سن الدراسة١٠٠% ولاتخلو قرية من مدرسة، وعدد المدارس الإعدادية والثانوية لايقع تحت حصر. ويكفي القول إن في ليبيا اليوم ١٤ (أربع عشرة)جامعة بكلياتها المتعددة في شتى مجالات التخصص. ويبلغ الطلاب المسجلون في الجامعات لسنة ١٩٩٨-١٩٩٩م نحو ١٦٥,٠٠٠ طالب-عدا الآلاف الذين تخرجوا منذ إنشاء نواة (الجامعة الليبية) سنة ١٩٥٤م في بنغازي (كلية الآداب والتربية ، ثم كلية الاقتصاد والتجارة) .=

عجمته في هذه اللهجة ولايدري أغلب أهلها أنه دخيل، بحيث صار يجري على الألسنة مألوفًا ولايفكر الناس في تعريبه إلا إذا حسبوه من العاميّ الدارج وأرادوا الحديث بالفصحى. أما الدخيل الواضح فأمر آخر صار أهل ليبيا يتجنبونه ويبحثون عن لفظ عربي يستبدلونه به، وهو مايخص شأن التعريب العام.

الدخيل :

تحوي الدارجة الليبية نوعين من الدخيل:قديم وحديث.وبعض هذا الدخيل صار من صلب اللهجة، ولا يفطن إليه إلا بالتمعن الطويل ، وهذا هو الذى يعنينا هنا، وبعضه يسهل التعرف عليه بيسر لوضوح عجمته(*)

الدخيل القديم :

من الدخيل القديم ما يرجع إلى عهود اليونان والرومان، وبعضه جاء من لهجات عروبية غير العربية العدنانية. من أمثلة ذلك :

من اليونانية:

(جادور)-(حصان ، فرس). يونانيته gaidour (os) بمعنى(حمار) .

(كوتي)-(صندوق)[1]يونانيته(Kivoto (s.

(قلعاوي) -(البطيخ الأصفر، يدعى في بعض البلدان العربية : شمام) [2] هو

=ولايكاد يوجد أمي واحد في من هم تحت سن الثلاثين، كما أن نسبة تعليم المرأة تعتبر نسبة عالية جدًا مقارنة بمجتمعات أخرى .

(*) يرى الكاتب أن عددًا كبيرًا مما يسمى"الدخيل" هو في أصله البعيد عربي الأثلة استعجم حين "اقترضه" الآخرون فاليونانية gaidouros نجدها في مادة (حضر) العربية بدلالة الحصان. Konido,. في مادة(قنط) ومنها: القنوط = اليأس التام.وهكذا. ولكن هذا موضوع آخر يعكس الآية إذ يجعل "الدخيل"عربيًا دخيلاً في اللغات الأخرى، عاد إلى العربية محرفًا !

(١) كلمة (صندوق ذاتها يونانية وهي ذات صلة بـ sandalon(خشب / شجر الصندل)ويقال إن اسم " الكويت " تصغير لـ " كوتي " التي صار معناها " قارب " وفي اليونانية Kivotos tou nou noe (سفينة نوح). ويقال إن "قارب" هي الأخرى يونانية" Karabi" لأن أهل الكويت كانوا معروفين باستعمال المراكب في الصيد، والتقاط اللؤلؤ خاصة !

(٢) "الشمام" في ليبيا بطيخ أصفر صغير الحجم يشبه الحنظل، إلا إنه حلو. ولا صلة للقلعاوي بالقلعة . هذا يشبه ما في الجزيرة" خربز " نجده في اليونانية " Karbouzi ".

في اليونانية: Kolokufi

(قنط)-(ربط بقوة) في اليونانية Konido (ربط، حاك، شبك) قارن الإنجليزية Knot .

من اللاتينية :

(بيثر) (الياء ممالة، وتنطق الثاء تاء مثناة في بعض المناطق. ضرب معين من التين)،هو من اللاتينية bifer (الذي يطرح ثمره مرتين في السنة، كما هو المعروف عن هذا النوع من التين حرفيًّا: يجلب، يحضر، يحمل، مرتين).

(إيقس)(القاف معقودة. تقال للحصان كي يقف، وفي البربرية: حصان) . في اللاتينية equs (حصان).

(ارميكي)(الياء ممالة =يتكلم بلغة غير مفهومة) في اللاتينية(Aramicu(s= آرامي، لاتفهم لغته .

(سنّاري) (في بعض النطق: اسفِنّاري، سفراني)-(نبات الجزر) في اللاتينية (syna-ro (s .

من الدخيل العبري :

(خنّاب)-(لص[1] ،سارق.والمصدر: خنبة، والفعل: يخنب) [2] في العبرية: "خنب". (مزّال)(حظ، سعد. يقال: طاح مزّاله، أي : كان سيء الحظ) في العبرية: مزّال[3] = حظ .

(بنيم)-(حجارة،أحجار.والمفرد: بنيمة) في العبرية : بنيم [4] (صيغة الجمع)= أحجار .

(١) يذهب بعض الباحثين إلى أن العربية "لص" معربة عن اليونانية" (les (tos" .

(٢) يبدو أن العبرية"خنب" تكافيء العربية "خلب"أو"كلب" قارن الإنجليزية Klephty وهي من اليونانية. وقد سرى لفظ" كلفتي" في الدارجة الليبية بمعنى"سارق" في الأربعينيات نتيجة وجود عساكر الاحتلال البريطاني وقواعده. لكنه انقرض الآن وبطل استعماله .

(٣) تقابل العربية"منزل" وذلك لأن الحظ مرتبط في التصور التقليدي القديم بمنزل (برج، أو نجم) الإنسان يوم ولادته. ومن هنا جاء التعبير العربي" الطالع" (حسن الطالع /سوء الطالع) أي طلوع النجم يوم ولادة المرء .

(٤) في العروبية العتيقة يؤدي الجذر" ب ن" معنى الحجرية. في المصرية القديمة"ب ن" (حجر) وتضاعف"بن بن"(مسلة حجرية/رمز عبادة الشمس) قارن : بنية إبراهيم(اسم للكعبة=

من الدخيل البربري:

كثير جدًا من المفردات في الدارجة الليبية جاءها من البربرية، مثال ذلك:

(بازين)-(أكلة تشبه العصيدة، قبيبة من العجين المطبوخ حولها المرق).

(تفونة) - (سمينة، في البربرية) (تافوناست) =(بقرة)على التشبيه .

(ساقم)-(مغرفة للطبيخ) .

(سبسي)-(لفافة تبغ،دخينة،"سيجارة").

(سورية) - (قميص).

(فكرونة) - (سلحفاة) .

(ترفاس) - (كمأ) .

من الدخيل السرياني :

نلاحظ تأثير السريانية في التعريف (اللواحق بصفة خاصة)أكثر منه في المفردات.

في الدارجة الليبية تزاد الواو والنون للتصغير، فيقال :" صغيرون"(صغير)، "كليبون"(كليب-تصغير المصغر)، عفريتون (عفريت) وحتى كبيِّرون (تصغير "كبير") ظرفونة(وعاء صغير من سعف النخل، ظرف مؤنث "ظرفون").

وتحفون(من "تحف" ،بمعنى" تحفة"، طرفة)،زعبون (مبدلة الجيم زايًا من "جعبون"مقلوب"عجبون"-من العجب)[١]

وتزاد السين في آخر بعض الكلمات من مثل :

(كرموس)-(كرم،وتعني شجرة التين)[٢]

(فرطاس)- (أقرع) [٣]

=المشرفة)ومنها كذلك " بن (ابن) بمعنى "ولد" كأن الوالد يبنى ولده وتبدل النون راء"ب ر " في عدد من اللغات العروبية ونرى أن أحد الأسماء الحسنى (البارى / البارئ) بمعنى الخالق من هذا المأتي، ومنه (البرية) (الخلق / المخلوقون)...إلخ .

(١) قارن الدارجة المصرية: يتعاجب /معجباني .

(٢) نفس التسمية في تونس، وفيها، كما في ليبيا وبقية أقطار المغرب العربي الكبير، يدعى شجر التين" كرم" وثمرته" كرموس" فى حين أن الكرمة شجرة العنب في الفصحى. ويبدو أن التسمية جاءت من أن الشجرتين كلتيهما فيهما ورق كثير يُظل (يكرم)ماتحته، فاشتركتا في التسمية. أما السين في كرموس فمزيدة ربما من السريانية للتصغير .

(٣) لكن قارن مادة" فرطس" في (اللسان) : فرطيسة الخنزير وفرطوسته: أنفه. وأنف فرطاس: عريض. ربما كان للشبه في زوال الشعر مابين رأس الأقرع والأنف.

(قطّوس)[*] (قط ، هرة، تطلق على المذكر والمؤنث وتؤنث أحيانًا : قطوسة،والجمع: قطاطيس وقطاطس).

ملاحظة :

من الغريب أن يلاحظ المرء أن عددًا كبيرًا من ألفاظ مايدعى (اللغة السرية)أو (اللغة الخفية) أعني لغة التعبير عن الأعضاء التناسلية والعورة، يرجع إلى لغات مندثرة كالأكادية والسومرية، وهي ظلت ألفاظاً مطمورة متداولة متوارثة، جيلاً بعد جيل، ولعل عدم تقييدها هو الذي حافظ على وجودها بدلاً من أن تتعرض للاندثار، وهذه ، في حد ذاتها، مسألة في حاجة إلى درس وبحث، إذ ما الذي جاء بهذه المفردات الخاصة جدًّا من أقصى المشرق إلى أرض المغرب لتظل بقية من تلك اللغات المنقرضة مستعملة حتى اليوم؟

كما توجد مفردات عروبية قديمة، من مثل:(زقطي) - (حاذق، ذكي)، وهي في الأكادية (زقاتو) وكلمة (تُكاميَّة) (عقدة " الجرد " اللباس الوطني الليبي، على الكتف اليسرى).

في الكنعانية (ث ك م)–كتف.

الدخيل الحديث :

جاء في أغلبه جراء الغزو والاحتلال اللذين تعرضت لهما ليبيا من القوى الاستعمارية المختلفة، فقد احتلت البلاد من قبل الأتراك العثمانيين مرتين لمدة طويلة، كذلك احتل الأسبان طرابلس نحو عشرين عامًا، ثم فرسان القديس يوحنا، واستعمرها الإيطاليون من أوائل القرن العشرين حتى أواسطه، واحتل الفرنسيون جنوبها بعد الحرب العالمية الثانية، أما البريطانيون فكانوا في إقليمها الشرقي، كما كانوا يشاركون الأمريكان احتلال إقليمها الغربي .

هذه أمثلة مما دخل اللهجة الليبية

(*) من هذا تكون دخيلة من اللاتينية "gattus" (هر /هـرة) قارن الإيطالية "gatto" والفرنسية "chatte" والإنجليزية " cat" .

الدارجة وصار جزءًا منها :

الدخيل التركي :

نلاحظه في مجالين أساسيين: الطعام والمطبخ وأدواتهما، ثم الثياب وما يتصل بهما، مع بعض المفردات القليلة في ما يتعلق بأثاث المنزل(١)

في الطعام والمطبخ :

كيما، ضولمة، براك، بوريك، طباهج، كفتة (كلها أسماء أصناف من الطعام).طاجين، طاوة، بكرج، سزوة، كاشيك، كوريك، كوهان، فنجال (أدوات مطبخ).

في الثياب: ترليك (حذاء نسائي)، تستمال (عصابة رأس)،كردان (حلية من الذهب)، شخشير (جورب- فارسية)، كندرة (حذاء رجالي)، كادار (حذاء عسكري)كلباك (غطاء للرأس).

مفردات أخرى في الحياة العامة:

شيشمة(حنفية، صنبور)، كشلة (معسكر، قلعة)،مندار(فراش للجلوس. في الدارجة المصرية : شلتة) ، شيشة (قنينة)، شيش (زجاج)،رقيلة (نارجيلة) بظله (نتن ، سافل) .

من الدخيل الإسباني :

الغريب أن تأثير الإسبانية يكاد أن يقتصر على تسميات أوراق اللعب (تدعى في الدارجة الليبية: كارطة، والفعل: يكرِّط=يلعب الورق)من مثل:

رَيْ (الملك/في الدارجة المصرية: الشايب) Re .

كاوان(الولد) في الإسبانية cabalero (فارس)(٢) .

موجيرة(البنت)في الإسبانيةmujera .

والأعداد :

لاص (الأول، واحد) .

(١) نلاحظ أن لهجات أخرى مختلفة تشارك اللهجة الليبية هذه الأسماء، لاشتراك الأقطار العربية في وقوعها تحت السيطرة التركية. وما أقدمه هنا مجرد أمثلة فقط .

(٢) لأن الصورة القديمة على هذه الورقة كانت صورة فارس يمتطي حصاناً .

دوس (اثنان) .

تريس (ممالة. ثلاثة).

وهكذا :كواترو، شِنْكوِي، شيش(ممالة) لكن السبعة تظل (سبعة). ثم الألـوان ديناري، اصباطة، بصطـون، كُبّـي. وأسماء الألعـاب: رونـدا، بازقـة، اشْكُبَّه..إلخ .

ونظرًا لقرب الإسبانية والإيطالية فإن بعض المفردات هنـا مشـتركة بيـن اللغتين اللاتينيتى الأصل .

من الدخيل الفرنسي:

رغم أن الفرنسيين لم يحتلوا سـوى الإقليم الجنوبي من ليبيا (فزان) ولفترة قصيرة نسبيًا(١٩٤٥-١٩٥٦)وظلـوا معسكرين في عاصمته(سبها)فإن عددًا من الألفاظ الفرنسية دخل اللهجة الليبية ربما عن طريـق اختـلاط الليبيين والتونسيين. من ذلك :

زوفري (سوقي) (١)

إمريقَل (الياء ممالة والقاف معقـودة) "مستريح. هـانيء. دون مشـاكل"(٢)

Reglaire يقاجي (القـاف معقـودة. "يراهن" /يخاطر) gager.

يدّمدر (ينام) dormir (وفي الإيطاليـة dormire).

كرفي (سخرة) corvee.

نلاحظ هنا أيضًا أن هـذه المفـردات موجودة في الإيطاليـة، لقربـها مـن الفرنسية .

من الدخيل الإنجليزي :

عرفت الإنجليزية بعد الحرب العالمية الثانية بانتهاء الاحتلال الإيطالي وبداية

---

(١) هناك تعبيران آخران:" سفتول" -والفعل: يسفتل. وهو ذو صلة بينة بالعربيـة(سـفل): سافل، سفلة. و" عسكر سوسة" ويجمع: عساكر سوسة و"سوسة" هذه مدينة في تونس كما أنـها بلدة في الجبل الأخضر في ليبيا. وليس من المعروف إلى أي"السوستين" ينسب هـذا العسـكر (العسكري) العابث. أما " زوفري" فأصلها Zouave Quvrier (عمل زواوة) وزواوة قبيلة فـي الجزائر كان بعض أفرادها في الجيش الفرنسي.

(٢) هناك تعبيرات أخرى من مثل" امبحيح" (متبحبح)، امربّخ (من العربية" ربخ = استرخى) "زابط" (قارن الدارجة المصرية" مزأطط") ،"امفَرشك".ويقال : فرشكو، والاسم :تفرشيك. ربما من الإيطالية fresco قارن الإنجليزية fresh .

تعليم تلك اللغة في المدارس. ومنذ ذلك الحين دخلت مفردات إنجليزية في صلب اللهجة الليبية وصارت تتداول على ألسنة العامة، منها على سبيل المثال:

كنصل (قاطع، امتنع عن الحديث أو اللقاء مع غيره).

وتفعّل : يكنصل. في الإنجليزية CANCEL .

المنقيط(بقاف معقودة. بمعنى: البوابة الرئيسية) من الإنجليزية MAIN GATE (بوابة قاعدة جوية على مشارف طرابلس الشرقية) .

يبلف(يكذب، يبالغ في ما يروي). الإنجليزية pluff .

ورشة (محل العمل الصناعي أو الصيانة) WORKSHOP .

كلفتي (لص) KLEPHTY .

الدخيل الإيطالي :

بدأ الاحتلال الإيطالي في ليبيا سنة ١٩١١ وانتهى سنة ١٩٤٣م ورغم أن سيطرة الاستعمار الإيطالي لم تكتمل، بسبب المقاومة العنيفة المستمرة التي جابه بها الليبيون الغزو الاستعماري، إلا في سنة ١٩٣١م بإعدام شيخ الشهداء عمر المختار ، فإن تأثير اللغة الإيطالية في اللهجة الليبية كان شديدًا لعاملين : أولهما- أن الإيطاليين فرضوا استعمال لغتهم بالقوة في جميع مناحي الحياة إبان حكمهم ومنعوا التعليم بالعربية إلا في "الكتاتيب" الأهلية التي كان عملها يقتصر على تحفيظ القرآن الكريم . وثانيهما - أن جالية إيطالية كبيرة ظلت في البلاد تسيطر على جوانب كبيرة من الحياة العامة في التجارة والصناعة والمصارف والمستشفيات حتى سنة ١٩٧٠م يوم طردوا جماعيًّا بفعل قيام الثورة، وقد كان من النادر جدًّا - في جيل الكاتب - من لايمكنه التفاهم، ولو بأقل مستوى، بالإيطالية، وبذا دخلت مفردات إيطالية كثيرة اللهجة الليبية وصارت جزءًا منها تستعمل دون الانتباه إلى أصلها حتى اليوم -

رغم مرور ثلاثة عقود من التعريب المتواصل، مع ملاحظة أن عدداً هائلاً من المفردات الإيطالية بطل استعماله بفضل التعريب ولكن عدداً آخر ظل مستعملاً مفعلاً ومصرفا..دون حرج .

من ذلك مثلاً:

يفلتش (يستعمل إحدى إشارتي الدوران الجانبيتين في السيارة).

يدّرس (يوقف السيارة في مكان ما، الدارجة المصرية" يركن ") .

(يسمن الخروف ونحوه).

يمشكي(يخلط أوراق اللعب، وتستعمل مجازاً كذلك) .

يكورب (ينعطف في الطريق وتستعمل مجازاً) .

يزبندي (ينحرف عن الطريق).

يبردي (لهواء إطار السيارة. الدارجة المصرية " ينفس ") .

يتعفلق (يغضب كدراً. الدارجة المصرية: يتحمق، يتحمئ) .

زقرلّو (صرصار).

ازنيلّو (شاب رخو)

قاقابوندو (أفّاق).

طاولة (منضدة).

ستوفًّا (موقد).

بريزه (قابس النور الكهربائي في الجدار. الدارجة المصرية " كوبس ").

سبينه (" وصلة" النور القابسة)

آنتينًّا(هوائي البث الإذاعي واللاسلكي).

بومبا (مضخة).

الدارجة تتفصح :

يبدو للدارس أن ثمة تطوراً مذهلاً في الدارجة الليبية خلال العقود الثلاثة أو الأربعة الأخيرة من هذا القرن الذي شارف على نهايته، في اتجاهين؛ التخلص من الدخيل واستعمال الفصيح بدلاً من الحوشي أو الغريب. وكان هذا بفضل جملة عوامل منها:

١-انتشار التعليم بالعربية بدءاً من سنة ١٩٤٣ (انتهاء السيطرة الاستعمارية الإيطالية) .

٢-اختلاط عرب ليبيا بإخوتهم العرب الآخرين، وبخاصة عرب مصر، عن طريق سفرهم إلى مصر

(وكانوا محرومين منه أيام الاحتلال) ومجيء أعداد وافرة من المدرسين المصريين للتعليم في المدارس الليبية، إلى جانب ورود الصحف والمجلات وسماعهم الإذاعات، ورؤيتهم أشرطة الخيالة (السينما) التي كانت تستعمل اللهجة المصرية بمفردات عربية الأصل فوجد فيها الليبيون عوضًا عن الإيطالية.

٣-كراهية الليبيين للاستعمار الإيطالي الذي فرض عليهم لغة غير لغتهم ونكل بهم وقتل نصفهم وشرد ربع سكان البلاد فصاروا لاجئين في الأقطار المجاورة .

٤-وهذا هو العامل الأهم : قيام الثورة ١٩٦٩م المؤمنة قيادتها إيمانًا مطلقًا بضرورة سيادة العربية على المستويين العام والخاص .

التعريب العام :

بدأت عملية التعريب العام منذ الشهر الأول لقيام الثورة الليبية. ففي جريدة (الثورة) بدأت تظهر على الصفحة الأولى منها تعليمات محددة بأنه يمنع استعمال المفردات الأجنبية في الأوراق الرسمية منعًا باتًا وأن من يخالف ذلك سيتعرض للعقاب. كما صدر الأمر الفوري بمحو أية كتابة على اللافتات والإعلانات بغير العربية، واستبدال التسميات العربية بالتسميات الأجنبية للمحلات والمتاجر والمقاهي والصيدليات وما إليها بسبيل. وفي الصفحة الأولى من جريدة (الثورة) التي صدرت بُعيْد تفجر ثورة الفاتح كانت تنشر جداول بـ"قل"و"لاتقل" : قل (مصرف) ولاتقل (بنك) . قل (هاتف) ولاتقل (تليفون). قل (بريد) ولاتقل (بوسطة).قل (رصيف) ولاتقل(مرشبيدي). قل (مطلبة) ولا تقل (فاتورة). قل (خيالة) ولاتقل(سينما) قل (دراجة) ولا تقل (بشكليط) قل (صيدلية) ولاتقل (فرماشيا) . قل (مستشفى)ولاتقل (سبيتار).قل (قلم) ولاتقل (بينا) .. إلخ وكان عدد قليل من الليبيين يعرفون

صاحب هذه "التعريبات " .

وقد استمر تيار التعريب سنوات طويلة حتى بات الأمر مألوفًا في يومنا هذا فلا تجد في طول البلاد وعرضها مظهرًا واحدًا من مظاهر اللغات الأجنبية على الإطلاق، وبلغ أمر التعريب العام مداه بإبطال استعمال أي حرف أعجمي في الأوراق الرسمية حتى تلك الموجهة إلى السفارات والشركات الأجنبية ذات الصلة بليبيا، وكذلك في جوازات السفر الليبية التي كانت مكتوبة بالعربية فقط، وطلب من أي أجنبي يبغي دخول البلاد أن يكون جواز سفره مكتوبًا بالعربية إلى جانب لغة بلاده، ثم سهل الأمر بقبول ملصق بالجواز رسمي يحمل" ترجمة" عربية لما يحويه من معلومات وبيانات.

هذه السياسة الحازمة يسندها قرار ثوري حاسم أثمرت بصورة تبعث على الإعجاب؛ فقد صار من المخجل أن ينطق الليبي اليوم لفظًا أجنبيًا يدري أنه أجنبي، سوى ما تسرب إلى اللهجة وصار جزءًا منها دون أن يفطن إلى مصدره. فلا أحد يقول (تليفزيون) مثلاً إلا ويشعر بالحرج لأنه نسي أن يقول(الإذاعة المرئية) أو (المرئية)، أو يقول (ميكروفون) بدلاً من (ناقل الصوت) أو (مكبر الصوت) حسب الحال . بل إن التعريب بلغ الفلاحين الذين يقولون الآن (مضخة) الماء بعد أن كانوا يقولون (بومبا). وتسمع بائع الفاكهة يسمي نوعًا من البرتقال (الحسناء) بعد أن كان يدعوها (بيلادونا) وهي الإيطالية bella donna (حرفيًا : السيدة الجميلة = الحسناء) ولم يعد تلميذ واحد يستعمل (متيتا) أو (قوما)بل(ممحاة) أو باللهجة (محاية)، أو (بادجيلا) فيقول (صحيفة.) وبعد أن كان يسمى المدرس (مايسترو) صار يدعوه (الأستاذ) . وفي المستشفى (الممرضة) وليست (السوريلا)و(الإبرة) وليس (الشرنقة) و(الشاش) وليس (الفاشا)،و(المرهم) وليس (البوماطا) . وليس من أحد

اليوم يقول (اتريك) وإنما (الكهرباء) ولا تسمع (سيقاريا) أو (لفندريا) أو (كافتريا) ونحوها، وإنما هي (محل نجارة)و(مغسلة).و(مقهى) .. وهلم جرا .. وإن ظلت بعض المفردات مستعملة مثل (لامبا) التي لم تجر (مصباح) بدلاً منها على الألسنة .

الملاحظة الغريبة فعلاً تتضح في مجالين: المجال الرياضي، حيث يبدو التعريب العام شاملاً، فقد انتفت تمامًا تسميات، فى لعبة كرة القدم مثلاً، كانت بالإيطالية ثم بالإنجليزية لتتعرب تعربًا كاملاً، كذلك الأمر فى تسميات الألعاب الأخرى. ولعل السبب يعود إلى أن هذه التسميات والمصطلحات الرياضية منتشرة على صفحات الصحف وفي الإذاعات، فكانت هذه الوسائل الإعلامية أداة لنشر تعريبها بشكل واف بين الشباب. أما المجال الثاني فهو ما يتعلق بالسيارات وتسميات أجهزتها المختلفة حيث أخفق التعريب هنا إخفاقًا تامًّا، رغم أن كتيبات التعليمات الخاصة بالسيارات المختلفة، وهي مستوردة كلها، مكتوبة بالعربية بقرار، ولعل السبب هنا راجع إلى ضيق نطاق استعمال هذه المصطلحات والتسميات في محلات صيانة السيارات. لكن كيف نفسر أن المفردات الأجنبية (إيطالية في الغالب) لاتزال على الألسنة؟ فلا أحد – إلا النادر – يقول (العادم) بل(مرميتا)، ولا(الكابح) بل (فرينو) ولا (مبدال) بل (مارشا) ولا (مقود)بل (دومان)لا (إشارة جانبية) بل(فليتشا)، ولا(إشارة توقف) بل (صطوب) ولا (كابح يدوي) بل (فرينو مانو) ولا (تأخر) بل (مارشا انديترو،كسكسة في اللهجة المصرية). صحيح أن الليبيين يسمون المصابيح (فنارات) ويقولون (مساحات) مثلاً لماسحات الماء عن زجاج السيارة الأمامي، لكن مفردات أجزائها الداخلية من مثل (بونتيني)و(راديatori)

هي المستعملة وإن كانوا استعملوا "الشمعة"تسمية لشعلة الاحتراق ويجمعونها على (شماعي) بدلاً من شموع أو شمعات.

ولايمكن تفسير هذه الظاهرة إلا بكون الإيطاليين – قبل طردهم سنة ١٩٧٠م – كانوا هم أصحاب محلات صيانة السيارات وإصلاحها قبل أن يحل الليبيون محلهم، فظل ما يتعلق بها إيطاليًّا قحًّا، أو محرفًا، ربما لضيق نطاق استعمال مصطلحاته فنيًّا وعدم تناول وسائل الإعلام المؤثرة في الناس لها على وجه العموم.

إذا كان التعريب قد جرى بهذه القوة والسرعة لما هو معروفة عجمته فإن الرغبة الشديدة في تفصيح اللهجة عند الليبيين أدت إلى إحلال مفردات يرون أنها الأفصح بدلاً من مفردات أخرى كانت دارجة ترجع أصلاً إلى لغات أوربية أو التركية أو إلى اللهجة البربرية أو هي عربية قديمة أهملت لحسبانها غير فصيحة . وهذا تطور ملاحظ محمود نتيجته اقتراب الدارجة الليبية من أخواتها – في المشرق خاصة – وقلة" الغريب" على الأسماع فيها. في الجدول التالي بعض الأمثلة:

المفردة المهملة	البديل الغالب اليوم
حُكة(عربية قديمة : حُقّ)	علبة
فوشيكة(تركية: فشك)	رصاصة
غدرية(من "غدر" العربية)	مسدس
متريوز(إيطالية)	رشاش
كشلة (تركية : قشلاق)	ثكنة
بالاص (إيطالية : بالاسو)	عمارة
شياتة (تركية)	فرشاة(تنطق:فرشة)
صباط (إسبانية)	حذاء
دلمنت (تحريف: ديناميت)	لغم
ترمفي(اسم علامة تجارية)	دراجة نارية

المفردة المهملة	البديل الغالب اليوم
كامبو (إيطالية)	معسكر/مخيم
أسانسير(فرنسية)	مصعد
حسّان(عربية من "حسن")	حلاق
زنفليقة(تركية)	جماعة/مجموعة
يملعق(من" لعق" = لحس)	يليّس (شامية)
بطمة (إنجليزية bottom)	زر
كباسة (مدفن الفضلات)	محل القمامة
نوالة (بربرية: تانوالت)	مطبخ
مفرطة (بربرية: تافراطت)	مكنسة
أروال(بربرية: أروال)	مخزن
مغازة(فرنسية)	متجر
كريولة/براندة (تركية/إيطالية)	سرير
شاطار(تركية)	مشجب

المفردة المهملة	البديل الغالب اليوم
قجر(إسبانية)	درج
زينقو (إيطالية)	صفيح
قداحة(عربية)	ولاّعة
صابون امسَّك (مُمَسَّك)	صابون وجه
كازوزة	مشروب
يسَّحِّم(يستحم) في البحر مثلاً	يسبح / يعوم
يطوّق(يختال) / طوّاق	يغتر/مغرور
الفقي (الفقيه)	الشيخ/الإمام
قصّ(عملية جراحية)	عملية
طبّاخ(المقصود محل الطعام)	مطعم
بطناجي (بطنجي)	أكول
مرايات (للنظر)	نظارات
شبّاحة (مرآة)	مراية
سترة / بسطران	كبّوط /بالطو
سدرية (صدرية)	فرملة

المفردة المهملة	البديل الغالب اليوم
يطوّر/ يحسّن (شعر الرأس)	يحلق
خفية(شرطة سرية)	أمن سري
يسبِّس	يدخن
السلطان	العريس
عساس	حارس
شيشيد (تركية)	مخبز
حمالة (عربية)	شاحنة
كرهبة (كهرباء)	سيارة
بابور (الأصل = بخار) سفينة	باخرة
جردينا (إيطالية)	حديقة
يازيلو (إيطالية)	روضة (أطفال)
برقز (إيطالية)	تقاعد
رومي (عربية نسبة إلى روما)	أوربي
صاقاط (عربية من "سقط")	معوق/معاق
سبسي (بربرية)	سيقارة
روشن (تركية/ فارسية)	نافذة / شباك
بُرّط (بورت)	ميناء

ملاحظة لافتة للنظر:

كثير من المفردات الدارجة، دون اعتبار لأصلها، بطل استعمالها لسبب بسيط هو أن مسمياتها لم تعد مستعملة في الحياة اليومية في ليبيا لتطور الحياة، عامها وخاصها، والجيل الجديد لم يعد يعرفها لأنه لم يعد يسمعها أصلاً، وكثيرًا مايتعمد الكاتب ذكر مفردات كان يستعملها جيله أمام أبنائه (أكبرهم جاوز الثلاثين من عمره) وأمام شبان من الجنسين، بعضهم حضري وبعضهم ريفي، فكانوا يندهشون لسماعها ويسألون عن معناها وقد لايفهمون المعنى لأنهم لايعرفون المسمي. من ذلك مثلاً :

وريتة (حبل قديم متآكل يوقد طرفه فيظل مشتعلاً مدة طويلة لتقبس منه النار).الآن يستعمل الثقاب(يسمى في ليبيا:الوقيد) وصار يدعى، الكبريت - بتأثير اللهجة المصرية أو الولاعة (القداحة) بدلاً من الوريتة (عربيتها: الأريثة التي تؤرث النار).

السقّاطة:(رتاج خشبي للباب من أعلاه، يقفل به من الداخل) حلت محله الأقفال الحديثة المتطورة.

عين الزرزور: (شباك كان على الشرفات به ثقوب يرى من بداخل الشرفة غيره ولا يُرى) لم يعد مستعملاً بسبب تحرر المرأة من قيود البيت/السجن وخروجها إلى العمل والشارع . وفي ميدان الزراعة خاصة أهملت مفردات كثيرة لبطلان استعمال مسمياتها من مثل :

كجرّ (حيث تجرُّ الدابة الحبل من البئر وإليها).

دلو(مايُدلى في البئر لاستخراج الماء).

كُرِّيّه (بكرة الحبل الكبيرة).

ستوكة (بكرة الحبل الصغيرة).

ميدة(جابية صغيرة تستقبل الماء من الدلو).

جناح السانية (أحد جدارين مدرجين يبنيان على جانبي البئر تثبت فيهما خشبة في وسطها البكرة).

ساروت (مجرى الماء من "الجابية" إلى المزروعات).

ورغم أن أغلب هذه المفردات عربي الأصل فقد انقرض، أو كاد، لتغير وسائل الزراعة والري. وهذا مجرد مثال ينطبق على مجالات أخرى من الحياة في ليبيا التي تطورت بصورة واضحة، وتبدلت لغتها اليومية بحكم هذا التطور اجتماعيًّا واقتصاديًّا .

مما يمكن الحديث عنه لتفسير تفصح الدارجة الليبية أمر قد يبدو بعيدًا عن أذهان غير العرب الليبيين، وهو تجربة ناجحة جدًّا في هذا المجال؛ فقد دأبت الإذاعات المسموعة والمرئية على نقل جلسات (المؤتمرات الشعبية) التي تكوِّن أساس نظام الحكم في ليبيا وكذلك جلسات(مؤتمر الشعب العام)نقلاً مباشرًا في مختلف المناطق. وقد تستمر هذه الجلسات، المذاعة " على الهواء" أسابيع عديدة، وكان المتحدثون، باختلاف مستوياتهم من التعليم والثقافة ومن الجنسين، يعلمون أن كلامهم يسمع مباشرة و"يقيم" من قبل الآخرين، من حيث المضمون واللغة على حد سواء .

ومن هنا كان حرص المتحدث على استعمال الفصحى بقدر ما أمكنه، يدفعه إلى هذا إحساسه بضرورة أن يكون حديثه"أفصح" ما أمكن، إلى جانب التيار العام الذي يستهجن استعمال الدخيل أو الدارج مما يمثل ضغطًا اجتماعيًّا قويًّا، والسياسة الرسميه التي "تمنع" استعمال الدخيل منعاً باتًّا في الإدارات العامة وتعاقب مستعمله، وتسعى إلى وضع البديل العربي مكانه.

هذه السياسة الإذاعية- إن جاز التعبير-استمرت منذ نحو ربع قرن من الزمان.وعن سبيلها يلاحظ تطور كبير في الدارجة الليبية نحو الفصحى على ألسنة عامة الناس. كما يلاحظ كذلك أن المتحدثين في الندوات الإذاعية يحرصون على الكلام الفصيح..وإن لم يعربوا أو خانهم التوفيق في الإعراب والنطق الصحيح، بل إن" المتدخلين" في بعض البرامج المباشرة عن طريق الهاتف، وقد لايكونون على درجة عالية من التعليم، يحاولون دائمًا التعبير بالفصحى.

والحقيقة أن عرب ليبيا يتأذون كثيرًا من سماع بعض نشرات الأخبار في إذاعات عربية أخرى تذاع بالدارجة المحلية، كما يجرحهم حرص إذاعات معينة على تقديم برامجها بها. وهم يزادون غيظًا من سماع" المناقشات" العلمية والثقافية والسياسية تجرى بدارجة قطر من الأقطار، ويرون أن ثمة "سياسة" وراء هذا الأمر تنحو نحو تغليب هذه اللهجة أو تلك مما يدخل في باب (صراع اللهجات) وهو أمر بالغ الخطر لعل الأنظار تلتفت إليه ولعله يناقش باستفاضة وجدية في المؤتمرات والندوات (*) .

(*)نلاحظ أن تجربة الديمقراطية الشعبية المباشرة، في ليبيا أفرزت مصطلحات سياسية جديدة خاصة بها مثل: الدفع (الترشيح)، التصعيد(الانتخاب)، أمانة اللجنة الشعبية العامة لكذا (وزارة كذا) ، الأمين (رئيس اللجنة أو المؤتمر الشعبي أو الوزير)، الفعاليات الشعبية(المؤثرين اجتماعيًا - وتدعى كذلك: القيادات الشعبية)أمانة الاتصال الخارجي(وزارة الخارجية) إلى جانب الاسم الرسمى لليبيا (الجماهيرية - نسبة إلى الجماهير) .. إلخ

هناك ظاهرة أخرى في مجال تفصح الدارجة الليبية جديرة بالنظر والاهتمام، بل المتابعة واستخلاص النتائج، أعني لغة الأطفال خصوصًا. فالملاحظ أن هذه اللغة أميل إلى الفصحى. وأدرك شخصيًا أن لغة أولادي تختلف كثيرًا عن لغتي يوم كنت في سنهم وهي أفصح من لغة الكبار بصورة ملحوظة، وإذا كان للتعليم أثره الذي لاينكر فإن السنوات العشر وبخاصة الأخيرة منها كانت ذات أثر أعمق وأوسع جاء من طريق عجيب، أعني مسلسلات مايدعى في ليبيا "الرسوم المتحركة" (في أقطار أخرى: أفلام الكرتون - وهما كلمتان أعجميتان).

هذه الرسوم المتحركة تنطق شخصياتها المحبوبة جدًّا بالعربية الفصيحة في حوارها كما أن التعليق المصاحب لها فصيح كذلك. وقد كان لهذا الاتجاه المبارك تأثيره المحمود في تعويد الأطفال المتابعين لهذه الرسوم بشغف زائد النطق بالفصحى ترديدًا لما يسمعون. وكثيرًا جدًّا ما أسمع الأطفال يتحاورون - وهم يلعبون- بلغة هذه الشخصيات يقلدونها تقليدًا محكمًا جميلاً. لذا فإن ترجمة بعض قنوات التلفزة العربية حوار هذه الرسوم إلى لهجة دارجة في قطر من الأقطار تدعو للأسف وتجب محاربتها والوقوف في وجهها، ذلك لأنها تغلب لهجة ذاك القطر، أو تحاول أن تفعل، من جهة ، وهي الخاسرة لأن هذه اللهجة قد تكون غير مفهومة في قطر آخر وقد تؤدي إلى تشبث أقطار أخرى بلهجاتها من جهة أخرى، إلى جانب كونها دعوة إلى " تلهيج" اللغة المشتركة مما يؤدي إلى أذى كبير يبعد الفصحى ويغلب اللهجات. والجميع يدركون خطر هذا الاتجاه كما يدركون الأثر الكبير الذي تتركه هذه الرسوم المتحركة في لغة الأطفال.

ليس هذا فحسب، بل إن ثمة ظاهرة أخرى محمودة كذلك يثنى على أصحابها الثناء كله وهى تقديم ما

يعرف بـ" المسلسلات المكسيكية" بالعربية الفصحى، بصرف النظر عن محتواها ومضمونها .

فهي لاريب أدت إلى تغليب الفصحى على الدارجة وكان لها أثر واضح. فهل يمكن أن ننتبه إلى هذا الأمر ؟

هل يمكن أن نسمع ونرى المسلسلات الإذاعية العربية تقدم لنا بلغتنا المشتركة بدلاً من هذه اللهجات المحلية التي يمعن البعض في اختيار أكثر الألفاظ والتعابير غرابةً عند غير أهلها فلا تكاد تفهم؟ ألا ينبغي العمل ، وبقوة، في سبيل (توحيد اللهجات) وتقريبها بعضها من بعض باستعمال (اللغة المشتركة) ميسَّرة بقدر الإمكان إن كنا عاجزين عن (توحيد الأمة) سياسيًّا واقتصاديًّا على الأقل ؟

هذه مهمة العلماء وقضية المؤمنين، وهي أمانة عظيمة لايحملها إلا من أخلص لأمته وصدق في خدمتها حتى تتبوأ مكانتها اللائقة بها تحت الشمس وبين أمم الأرض .

على فهمى خشيم
عضو المجمع المراسل
من ليبيا

التعبير عن معانى بوادئ الدرجة العليا والدرجة الدنيا فى اللغة العربية *

للأستاذ الدكتور نيقولا دوبريشان

هناك عدد من البوادئ التى تعبر عن التدرج فى مختلف اللغات الأوربية، وهى تدخل فى مجموعتين من الأضداد :

١-تتضمن المجموعة الأولى بوادئ الدرجة العليا وأهمها , - ultra , - sur extra - ,hyper - , super-,supra-

٢- تتضمن المجموعة الثانية بوادئ الدرجة الدنيا وأهمها :-

sub- , hypo- , infra- , sous- .

١- بوادىء الدرجة العليا :

١-١-البادئة – ultra انتقلت من المعجم السياسى إلى اللغة العامة وإلى مختلف ميادين المصطلحات العلمية .

١-١-وقد تم التعبير عن دلالات هذه البادئة من الصفات على النحو التالى:

أ-بمساعدة الظرف" فوق" الذى يسبق نسبة أو لفظا مشتقا آخر يستخدم كصفة، مثل : الأشعة فوق البنفسجية engl.ultraviolet radiation

فوق العصرى : engl.ultramodern

وسجلت المعاجم صيغا اختصرت فيها كلمة "فوق" فأصبحت " فو" واتصلت عن طريق النحت بالصفة المسبوقة ، مثل: فوبنفسجى(**) engl. ultraviolet وقد أصبح بذلك بادئة حقيقة حرف صغير لكنّ عدد هذه الصيغ محدود جدًّا، وهى لم تنتقل إلى اللغة العامة .

ب- بمساعدة الفاعل "مغرق فى" الذى يسبق اسما . ونجد مثل هذه الصيغ على الأخص فى لغة الصحف.

مغرق فى الرجعية

engl. ultrareactionary

جـ - بمساعدة الفاعل " مسرف فى":

مسرف فىالعصرية

engl. ultramodern

---

* ألقي هذا البحث فى الجلسة الرابعة من مؤتمر الدورة الخامسة والستين يوم الأربعاء ٢٢ من ذي القعدة سنة ١٤١٩هـ الموافق ١٠ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٩م.

(**) المورد ص ١٠٠٥.

مسرف فى المحافظة

engl. ultraconservative

د- بمساعدة الفاعل " مغال فى " :

مغال فى العصرية

engl. ultramodern

مغال فى المحافظة

engl. ultraconservative

هـ-بمساعدة الفاعل "مفرط فى " :

المفرط فى الديمقراطية

engl. ultrademocrastic.

و – عن طريق صيغ الإضافة التى جاءت فيها صفة مضافة :

شديد القصر engl. ultrashort

شديد الصغر

engl. ultramicroscopic

١-١-٢- أما البادئة "ultra " من الصيغ الاسمية فقد تم التعبير عنها بالطرق التالية :

أ- المصدر " مغالاة فى " :

المغالاة فى القومية .

engl.ultranationalism

ب – بمساعدة النسبة " فوقى "

صوت فوقى fr . ultrason

فيروس فوقى engl. ultravirus

ج-بمساعدة الفاعل " متطرف " :

ملكى متطرف

engl .ultramonarshist

د-بمساعدة التركيب الذى يستخدم فيها الاسم " غاية " :

سرى للغاية fr.ultrasecret

١-١-٣ أما المعنى المكانى للبادئة " ultra " فقد تم التعبير عنه بمساعدة الظرف "وراء":

وراء الجبال engl. ultramontane

وراء البحر engl . ultramarine

١-١-٤ ويدلل استخدام أكثر من طريقة واحدة للتعبير عن معنى البادئة "-ultra " فيما يدلل على الإمكانيات المتوافرة للغة العربية للتعبير عن معانيها من جهة، وعلى عدم تفضيل أسلوب معين على سائر الأساليب من جهة أخرى . لكن يبدو أن استخدام الظرف " فوق " للتعبير عن معانى بوادئ أخرى من هذه المجموعة أصبح أسلوبا منتشرا عاديا معترفا به.

١-٢-١ البادئة " extra "تعبير عن معانى التفوق والاستبعاد وتنافى عادة بوادئ أخرى للدرجة العليا فى بعض استخداماتها.

وتظهر هذه البادئة فى صيغ النعت فقط، وتم التعبير عن معانيها فى اللغة العربية بالأساليب التالية :

أ-الظرف "فوق" الذى يسبق اسم "عادة"، مثل :

فوق العادة engl. extraordinary

ب - الاسم " غير " المضاف إلى نسبة أو اسم فاعل :

غير عادى engl. extraordinary

غير مألوف fr . extraordinaire

ج - اسم الفاعل " مخالف لـ " الذى يسبق اسما :

مخالف للصواب fr. extravagant

د- النسبة " استثنائى" واسم الفاعل "طارئ" .

دورة استثنائية / طارئة

fr.session extraordinaire

١-٢-١ كما تعبر هذه البادئة عن معنى الوقوع خارج شيء آخر :

خارج الأرض engl. extraterrestrial

خارج الرحم engl . extrauterine

١-٣ البادئة "- hyper " بمعنى "فوق" أو "بإفراط" تظهر بالأخص فى المصطلحات الخاصة بميادين الطب والبيولوجيا والكيمياء وعلم النفس .

١-٣-١ وقد تم التعبير عن معانى هذه البادئة من الصيغ الاسمية بالطرق التالية :

أ - الاسم " فرط " مضاف إلى اسم آخر :

فرط الحساسية

engl. hypersensitity

فرط ضغط الدم engl.hypertension

فرط الحموضة engl. hyperacidity

ب- المصدر "طول " والمصدر "ارتفاع " المضافان إلى اسم آخر :

طول البصر engl. hypermetropia

ارتفاع الضغط fr.hypertension

١-٣-٢- وتم التعبير عن معانى هذه البادئة من الصيغ النعتية بالطرق التالية :

أ-اسم الفاعل "مفرط"مضاف إلى اسم:

مفرط الحساسية.

engl . hypersensitive

مفرط الحموضة engl. hyperacid

ب-الظرف " فوق" مختصرًا أحيانــــا فى"فو" ومتصـــلا بــالنعت المســبوق "فوهندسى" [1]

engl. hypergeometric

ج- النعت" طويل " المضاف إلى اسم:

طويل البصر engl. hyperopic

د-الاسم " فرط" مختصرًا أحيانًا فـــى "فر " ومتصلا بالنعت :

فرصوتى[2] engl . hypersonic

١-٤ البادئة"-super" و " sur" (اللغة الفرنسية) بمعنى "فوق " تعبر كذلك عن الدرجة العليا (وضدها " sub")

١-٤-١-وقد تم التعبير عن معـــانى هذه البادئة من الصيغ الاســمية عــن طريق المصـــدر "فــرط" والمصـــدر "إفراط " (فى) :

فرط الاحترار engl . superheat

فرط الإنتاج fr. Superproduction

فرط التشبيع engl . supersaturation

إفراط التقدير fr. Surestimation

كما تم التعبير عن معنى هذه البادئــة بمساعدة الظرف"فوق" المختصر أحيانا فى "فو" :

فوواقعية fr. Surréalism

فوتوتر fr . surtension

١-٤-٢ أما التعبير عن معانى هـــذه البادئة من الصيغ النعتيـــة فقـــد تـــم بالطرق التالية :

أ- اسم الفاعل "مفرط"المضاف إلـــى اسم آخر :

مفرط الحساسية

engl.supersensitive

أو فى تركيب نعتى :

وفرة مفرطة engl.superabundance

ب-الظرف "فوق " المختصر أحيانًــا فى "فو" والمتصل بالنسـبة المسـبوقة "فوطبيعى[3] engl .supernatural

(١) المورد ص ٤٤٢ .

(٢) المورد ص ٤٤٢.

(٣) المورد ص ٩٣٠.

فوبشرى [1] engl. superhuman

فوصوتى، فوسمعى [2]

engl. supersonic

ج- النسبة "فوقى" (فوقانى) فى تركيب نعتى :

بناء فوقى engl. superstructure

بنية فوقية fr. superstructure

٤-وقد تمت كذلك محاولات للتعبير عن معانى البادئة"super" من الأفعال. ومن أجل ذلك تم اللجوء إلى عدة أفعال بمعنى "التشديد" أو " التجاوز " قبل المصدر ، ومثال ذلك :

أ- الفعل " أفرط فى " :

أفرط فى الإنتاج engl. superproduce

أفرط فى التبريد engl. supercool

ب- الفعل " جاوز " .

جاوز التقدير fr. surestimer

ج-الفعل " شدّد " :

شدد الأكسدة fr. suroxider

د-كما تم التعبير عن معنى هذه البادئة بمساعدة المصدر " إفراط " ، كما في :

غذّى بإفراط fr. surnourrir

١-٥ كما تعبر البادئة " super" عن معنى الدرجة العليا وبوصفها دليلا على التشديد يبدو أن هذه البادئة تركت المعنى المكانى للبادئة" supra" لكنهما تولدان أحيانا صيغا مترادفة :

١-٥-١-تم التعبيرعن معانى البادئة " supra" من الصيغ النعتية بالطرق التالية :

أ- الظرف "فوق" الذى يسبق ويجر نسبة أو نعتا أو اسم مفعول :

فوق الجزيئى .

engl . supramolecular

ويمكن اختصار " فوق " فى " فو " واتصاله بالنعت المسبوق :

فوجزيئى engl. supramolecular

فوقومى engl. supranational

فوكلي engl. suprarenal

٢-بوادئ الدرجة الدنيا :

٢-أما بادئة الدرجة الدنيا الأكثر استعمالا فهى "sub" (-sous باللغة

(١) المورد ص ٩٣٠.

(٢) المورد ص ٩٣١ .

الفرنسية) وهى ضد " supra "

٢-١-١- وتم التعبير عن معانى البادئة " sub " بطرق مختلفة :

أ- تم التعبير عن معناها فى أكثر الأحايين بمساعدة الظرف " تحت " المختصر أحيانًا فى " تح " والمتصل بالنعت المسبوق أو شبيهه. وقد تم بهذا الأسلوب ترجمة العديد من الصيغ من مختلف ميادين العلوم:

تحت المماس engl. Subtangent

تحت الحاد engl. Subacute

تحلسانى[١] engl . sublingual

تحجدلى[٢] engl . subcutaneous

تحبحرى[٣] engl . submarine

تحشعورى[٤] engl. Subconscious

ب-ما تم التعبير عن معناها بمساعدة الظرف "دون" المختصر أحيانا فى "دو" والذى يسبق نسبة أو اسم فاعل أو اسم مفعول.

دون الوعى engl . subconscious

دون الذرى / دو ذرى[٥] engl. subatomic

دون المعتدل/دو معتدل engl.subtemperate

دون المتوسط engl. subavreage

دو بشرى engl . Subhuman

ج- أو بمساعدة الاسم " شبه " المضاف إلى نسبة أو اسم فاعل أو اسم مفعول أو المختصر فى " شب " والمتصل : شبه مشبع. engl. subsaturated

شبه البالغ engl.subadult

شبه مائى/ شبمائى[٦] engl.subaquatic

شبه مدارى fr. Sous-tropical

د-أو بمساعدة الاسم " نصف " المضاف إلى اسم فاعل :

(١) المورد ص ٩٢٣.

(٢) المورد ص ٩٢٢.

(٣،٤) المورد ص٬٩٢٣.

(٥) المورد ص ٩٢١.

(٦) المورد ص ٩٢١ .

نصف ناضج engl. subdone

هـ- بمساعدة الاسم " غير " :

غير ناضج engl. subdone

و- بمساعدة اسم الفاعل " مجاور لـ" الذى يسبق اسما :

مجاور للهامش engl . submarginal

ز-بمساعدة النعت"قليل" المضاف إلى اسم:

قليل السكان fr. sous-populé

ح_ بمساعدة الاسم" جزء " المختصر أحيانا فى " جز " :

جزأ ساسى[1] engl subessential

ط- بمساعدة اسم الفاعل "ناقص" المضاف إلى اسم :

ناقص النمو fr. sous-développé

شبه حاد engl. subacute

ى- بمساعدة الحرف " لا " :

لا شعورى engl. subconscious

٢-١-٢-أما معنى البادئة "-sub " من الصيغ الاسمية ، فقد تم التعبير عنه بالطرق التالية :

أ -الظرف" تحت " المختصر أحيانا فى " تح " والمتصل بالاسم المسبوق .

تحت الأكسيد engl . suboxide

تحت الشعور fr. subconscience

تحتربة[2] engl. subsoil

ب-الاسم"شبه"المضاف إلى اسم آخر:

شبه القارة engl . subcontinent

ج- المصدر " قلة "أو المصدر" نقص "أو الاسم"سوء"المضاف إلى اسم آخر:

قلة الإنتاج fr. sous-production

نقص الإنتاج fr. sous-production

د- بعض النسب وأسماء الفاعل والعدد الترتيبى"ثان"فى تراكيب نعتية :

لجنة فرعية engl . subcommittee

عنوان فرعى engl . subtitl

قطاع فرعى engl. subsector

وحدة فرعية engl. subunity

وكيل ثان engl. subagent

ثانوى:إنتاج ثانوى fr. sous-production

(١) المورد ص ٩٢٢.

(٢) المورد ص ٩٢٤.

مادة ثانوية fr. sous – produit

مساعد – سكرتير مساعد

fr. sous-secrétaire

رئيس مساعد engl. subhead

ثان – سكرتير ثان

fr. sous-secrétaire

ملازم ثان engl. sublieutenant

–وكيل ووكالة فى تراكيب الإضافة :

وكيل الوالى fr. Sous-préfet

وكالة الوزارة fr.sous-secrétariat

نائب : نائب المدير

fr. sous-directeur

–من الباطن : مقاولة من الباطن

enlg. subcontractor

٢–١–٣ كما تمت محاولات للتعبير عن معنى هذه البادئة من الأفعال بالطرق التالية :

أ– بمساعدة العدد الترتيبى المؤنث المنصوب " ثانية " :

قَسَّمَ ثانية engl. subdivide

ب– بمساعدة العبارة " من الباطن " :

أَجَّرَ من الباطن engl. subcontract

٢–٢– البادئة " -hypo" :

٢–٢–١– تم التعبير عن معنى هذه البادئة من النعوت بمساعدة الظرف "تحت " الذى يضاف إلى اسم آخر:

تحت البشرة engl. hypo-dermal

تحت الأرض fr.hypogé

كما طرح اختصار هذا الحرف فى "تحت " واتصاله بنسبة وبخاصة للتعبير عن مصطلحات من ميادين علم التشريح والطب :

تحجلدى engl. hypodermic

تحلسانى engl. hypoglosal

٢–٢–٢ أما معنى هذه البادئة من الأسماء[1] وبخاصة في ميدان الطب فقد تم التعبير عنه بالمصدر " نقص " .

نقص النمو engl. hypoplasia

نقص السكر engl. hupoglycemia

نقص التوتر engl. hypotension

كما تم التعبير عن معنى البادئة"hypo" من الأسماء عن طريق النسبة "تحتانى" :

مركز تحتانى engl. hypocenter

جلد تحتانى engl. Hypodermic

٢–٢–٣–تمت محاولة التعبير عن

البادئة " hypo" من الأفعال بمساعدة الفعل" أضعف " كما في : أضْعَف الحساسية engl-hyposesnitize

٢-٣ كما نذكر من بوادئ الدرجة الدنيا " infra" بمعنى " تحت " أو "وراء ".

٢-٣-١ وقد استخدمت هذه البادئة في اللغات الأوربية على الأخص فى الصيغ النعتية وتم التعبير عن معناها فى اللغة العربية بالظرف (تحت) الذى يضاف إلى نعت، كما في :

تحت الأحمر engl. infrared

كما تم التعبير عن معناها بمساعدة الظرف"دون" الذى يضاف إلى نعت :

دون الأحمر engl . infrared

ويمكن اختصار الظرف " دون " في "دو" واتصاله بنعت أو بنسبة كما فى:

دو أحمر[١] engl. infrared

دو سمعى[٢] engl. Infrasonic

دونوعى[٣] engl. infraspecific

٢-٣-٢- كما يجوز للظرف "تحت " أن يسبق اسما ويعبر فى هذه الحالة عن معنى البادئة "infra"من الأسماء:

تحت السمع fr. Infrason

٢-٣-٣- أما التعبير عن معنى البادئة "infra" من التراكيب النعتية فيتم بمساعدة النسبة "تحت" :

بناء تحتى engl. infrastructure

٢-٤- يمكننا أن نستخلص مما سبق أن الظرف " فوق" يعتبر الطريقة الرئيسية للتعبير عن معانى بوادئ الدرجة العليا وأن الظرف "تحت"والظرف" دون" يعتبران الوسيلتين الأساسيتين للتعبير عن معانى بوادئ الدرجة الدنيا .

وقد لاحظنا أن أصحاب المعاجم استخدموا هذه الظروف الثلاثة مختصرة كذلك مما يدل على محاولة تحويلها إلى بودائ حقيقية حيث إنها تتصل فى هذه الحالة بالمفردات المسبوقة .

(١) المورد ص ٤٦٦.
(٢) المورد ص ٤٦٦.
(٣) المورد ص ٤٦٦.

وبالإضافة إلى هذه الحروف ذكرنا العديد من الطرق الأخرى المستخدمة للتعبير عن معانى هذه البوادئ إما فى تراكيب نعتية أو فى تراكيب الإضافة ويدلل تعدد هذه الطرق فيما يدلل على الفوضى القائمة فى محاولات التعبير عن معانى هذه البوادئ. وفى اعتقادي أن الكلمات المذكورة ستصبح الوسيلة الأساسية المستخدمة للتعبير عن معانى هذه البوادئ فى المستقبل.

وليس مستبعدا أن يتسع استخدامها بالصيغ المختصرة مما سيفرض استخدامها كبوادئ حقيقية .

وقد أصبحت البوادئ التى استعرضناها فى هذا البحث ذات استخدام دولى ، والدليل على ذلك استخدامها فى العديد من اللغات الأوربية . ولكننا وجدنا أن اللغة العربية نفسها استعارت بعض المفردات الأجنبية دون ترجمة هذه البوادئ ، ونذكر منها على سبيل المثال : سوبرمان ، وسوبر ماركت وسوبرفوسفات ، وسريالية ، واكسترا وبرلمانى ... إلخ

وانتقل كثير من هذه البوادئ من معاجم المصطلحات إلى اللغة العادية وكلها تعبر أو على الأقل عبرت أصلا عن معنى المبالغة إما باتجاه الدرجة العليا أو باتجاه الدرجة الدنيا.

نيقولا دوبريشان

عضو المجمع المراسل

من رومانيا

ومضة في موكب الرسول ﷺ *

قصيدة للأستاذ حسن عبد الله القرشي

مجمع الضّادِ ، منهـل القُصّـــادِ
والذي فضلُه سَرى في البـلادِ
ذُخْرنا في اجتماعنا كـلَّ عَـامٍ
نتهـادى لديك أكـرمَ زَادِ
التّحايا إليك مصدرها الـرو
ح بمـا قـدْ رَفَعتْ من أمجادِ
جئتُ أُهدِي إليك ملحمة اليـو
مِ وثوبي مجـلّلٌ بـالسَّـوادِ
صغتُها في الرسولِ شكوى إلى اللَّـ
ـهِ ، وقـد هالني أذى الأوغادِ
المرابُون والأُلـى الـدّم حُـرًّا
واصفو الشّعبِ لعبـةَ الأصفادِ
أهدروا من كرامةِ(القُدس)جَهْـرًا
وسُيُـوفي مازِلْنَ فـي الأغمادِ
كلَّ يـوم قوافـلُ تَجْـرعُ المَـوْ
تَ ، وتَهْوِي بالصّاعق الرعّادِ
وانهدامٌ لـدُور أهـلي جُـزافًا
ونسـاءٌ ألِفْـنَ ثَـوبَ الحِدادِ
لا يريدونَ دولةً لـ (فلسطيـ
ـنَ) عُتُوًّا ، ورغبةً في الكيادِ
فتقبّل ياسيّدَ الرسـلِ منّـي
هَتْفَـةَ الحُبِّ من صميم فؤادي
واسألِ الله نُصرةً لـ (فلسطيـ
ـنَ) ، تفيـد الشفـاءَ للأكبادِ !

* * *

الرّسولُ الرّسُولُ فَخـرُ البـلادِ
والعـليُّ الذُّرى ، الرفيعُ العِمَادِ
والذي للسماءِ أسْـرى به اللَّـ
ـهُ فأضحـى مُمـيَّزَ الأرْفادِ
فَرأى فَوْقَ ما يَـرى بَشَرٌ كَـوْ
نًا ، وجَابَ الـرؤى بلاتَعْـدادِ
سَيّدُ الأنبياءِ فـي المَلأ الأعْـ
لَى وزَادُ الجَوعَى ورِيُّ الصَّوادِي
خَالدٌ ، خالـدٌ يُرطِّـب ذكـرا
هُ لسَـانَ الكـرام والأجْـوادِ
صَاغه اللّهُ جَوهَرَ الخلـق الأسْـ
ـمى ، وزَكّـاهُ بالسَّنـا والرّشادِ

---

*ألقيت هذه القصيدة فى الجلسة الرابعة من الدورة الخامسة والستين يوم الأربعاء ٢٢مـن ذى القعدة سنة ١٤١٩هـ الموافق ١٠ من مارس (آذار) ١٩٩٩م.

وَدَعَـاه (مُحمـدًا) واجتبـاه

فهو يُرْجَى لِردّ أقْسَى العَوادي

السَّـلامُ النَّبيـلُ يُهـدَى ضيـاءً

حَيـثُ تُهـدَى نفائسُ الأعْيادِ

للمفدَّى مـن جَـاء بالقِمـةِ المثـ

ـلى تَراءَتْ سَماء خير اعتقادِ

النَّبيُّ الذي في اقترابِهِ قُربةُ اللـ

ـهِ،ومِن حقله الجَنَى في ازديادِ

درَّةُ المشرقيـن ذخـر الرِّسـالا

ت ، عـريق الآبـاء والأجدادِ

لاذَ بالغَـارِ لاجِئًـا لِحمـاهُ

في اعتكـافِ الـزُّهّادِ والعُبَّادِ

مبْعدًا عن تَطَفُّـلِ غيـرِ مُجْـدِ

فـي انقيـادٍ لِلـه أيّ انقيـادِ

وعَلَى حِين فَجأة جَـاء(جبريـ

ـلُ) رَسولُ الإلهِ في ميعـادِ

جَاءهُ داعيًا أنِ (اقرأ) مُهـابًا

مُستنيرًا بقـولِ ربّ العبـادِ

فتَلاَها من بعـد لأيٍ وكانـتْ

بَلْسَمًا للقُلُـوبِ والأكبـادِ

نَابهُ الخَلْق كلِّهم عاطِـرُ الذكـ

ـرِ هُداه ملء الربـى والوهَـادِ

ياحَبيبَ الإلهِ يا واحـد الكـو

نِ ومن شَـعَّ دينُه في البـلادِ

كُلَّما هَلَّ موسمُ الضَّـادِ ضَـاءَتْ

ذكـرَياتٌ لِهمَّـةٍ ، وجهـادِ

لِرسُولِ الهدى المبشَّـرِ بالكُـو

ثـرِ كنـزِ العُلُـومِ والأمجـادِ

عَلَـمٌ فـوقَ مَفْـرِقِ الشمْـسِ

يتَمـلَّى جلالَـه كـلُّ نـادى

سَاطِعٌ من هُداهُ نُوركتَـابِ اللـ

ـه فـوقَ الأمْـداءِ والأبعـادِ

وبِذكـرِ الإلـه تُجلَـى كُـروبٌ

فاذكـرِ الله تَحـظَ بالإسْعـادِ

أُوذِي المصطَفَـى بكـلّ بَـلاءٍ

من بني قَومِـهِ الغلاظ الشِّـدادِ

لَم يُراعُـوا قرابـةً منـه تَعلـوُ

أويُجلُّـوا خلاصـة العُبَّـادِ

قَد أتاهُمْ بالهَدْيِ من مُوجِـد الهَـدْ

يِ وأولاهُمو سبيـلَ الرَّشـادِ

غير أنَّ الضَّـلالَ أعْمَـى قُلُوبًـا

جُبِلَـتْ مـن قسـاوةٍ وعِنـادِ

وهَـدَى الله فـي المدينـةِ رهْطًا

هُرِعُـوا نحـوهُ بكـلّ وِدَادِ

بايَعـوهُ بكـلّ صِـدْقٍ ونُبْـلٍ

ورَعوهُ في العين رَعيَ السَّوادِ

فَسَرَى نَحوهُـمْ مُهَاجِـرَ دِيـنٍ

فتلقَّـوهُ فـي نـدًى واعتدادِ

ليس إلا (محمدٌ) مَشْرَع الْحَقِّ (م)
ومِرآتُـــه يـــوم التَّنـــادي

والـــذي تُستَشَـــفُّ منـــه العَـــدالا
تُ لِدُنْيا حواضِـــرٍ ، وبَـــوادي

مَن نُصلِّـــى عليه فـــي كلِّ فرضٍ
ونناجيـــه ياعَتَـــادَ العَتَـــادِ

إنَّـــه الشّافـــعُ المشفَّـــعُ فينـــا
والَّذي يُرتَجـــى ليـــوم المَعَـــادِ

يا رَسولَ الأنامِ يا فَلَـــقَ الإصـــ
ـــباح، يافجرنا المشعَّ الهَـــادي

خُذْ من القلبِ جُرْعَةً أنا مَنْ عشْـــ
ـــتُ حَليفَ (النَّبيِ) بالإنشـــادِ

* * *

مِشْعلَ النُّـــورِ يا رِكَـــازًا نُحيِّـــ
ـــه ، ومَا في عَطائهِ من نَفَادِ

كُلَّ حيـــنٍ تهفـــو إليـــك الملاييـــ
نُ ، ويُسْعَـــى إليكَ أسْمى مَعَادِ

صَاعِـــدٌ في سُمُـــوِّه أنـــت دَوْمًا
وبَشِيـــرٌ بحكمَـــةِ القُـــوَّادِ

عَبْرَ كُلِّ الصُّـــوَى وعَبْرَ المدارا
تِ فأكْـــرِم بمشـــرعِ القُصَّادِ !

* * *

يالُبابَ اللُّباب مِـــنْ دَوْلَـــةِ (القُر
آن) ، مَرْحَى للكوكَبِ الـــوَقَّادِ

أنْتَ صَرْحُ الإعجازِ في قمةِ الدّهـــ
ـــرِ، وطَـــوْدٌ يَسمُو عَلَى الآبَـــادِ

قُبَّـــةٌ مِـــن مَكـــارمٍ تَتَسامَـــى
بالعتيـــد المرْجُـــوِّ في الميلادِ

كـــلُّ يـــومٍ لـــه ائتـــلاقٌ جَديـــدٌ
كائتلاقِ الرَّبيعِ يَـــومَ الحصـــادِ

فَضْلُه يشرَحُ الصُّـــدُورَ ويُهْـــدي
لبني العَصْـــرِ حِلْيَـــةَ الأجْيَـــادِ

ورجَالاتُـــه الأَمَاجِـــدُ حشْـــدٌ
مِنْ رؤوسِ الفصْحَىالعِظامِ الشِّدادِ

طوَّعُوا الصَّعبَ بالجُهُودِ العوالي
فإذا الصَّعْبُ عَادَ سَهـــلَ القِيادِ

كَيْفَ لاَ ؟ وهْوَ للعُلُـــومِ منـــارا
تٌ ومـــا زال كَعبَـــةَ الـــرُّوَّادِ!

* * *

يَا جَمالَ الوُجُودِ يا ذُخرعمـــري
والمباهي بالصَّافنـــات الجِيـــادِ

مَـــنْ إذا مَا دَعـــا الإلـــه لفعـــلٍ
يَتَوافَى فـــي عُـــدَّةٍ، واحتشـــادِ

عَلَّمتنـــيَ الأيَّـــام أن أتَصـــدَّى
للَّـــذي قَـــدْ ينوشُنـــى بـــزنادِ

يَتَلظَّـــى بـــيَ الأسَـــى لمـــداهُ
ويُغَطِّـــي تجارتـــي بالكسَـــادِ

قَدْ مُنينا ياسيِّــد الرُّسْــل بالقَهـْـ
ــرِ، ومنكَ انتصارنا في الجهادِ

عجبًــا بعــدَ أي جيــل مديـــدٍ
لَم نَـــزَلْ رَهْــنَ كَبْوةٍ ورُقَــادِ

نَحنُ عُدْنا وليمةً لقُوى الشّرِّ (م)
وعَـــادَ العَــدُوُّ بِالمِرْصـــــادِ

الخِلاف العميــقُ مــازَالَ فينــا
مُوغــلاً في تــأرُّثٍ وعنــــادِ

تَتَحدَّى الأيـــامُ مَسْــرَى خُطَانَــا
حَيـــثُ يَبــدو صُمُودُنا كالرَّمادِ

وإذا ماسَأَلْـــــتَ مـــاذَا يرجّـــى
لانتكاسِ نيرانُـــه كالأعـــادي؟

يصطلى كالجَحيــم في جمرةِ القيْــ
ــظِ ليغدو الحميــمُ ثأرَكيــادِ

ليس إلا الرُّجُوعُ للخالقِ الأعْـ
ــلى فمـــولاكَ قمَّـــة الإنْجـــادِ

مَا أرَى الخصب جَفَّ عبْر حُقُولٍ
هـــي بالأمْـــسِ مَـــوْرِدُ الإمدادِ

لاخَيـــالٌ بنا ومستوطــنُ الرُّشْــ
ـــد مَلـــيٌّ الـــوفاضِ بالأزْوادِ

والأُسُودُ الأبطالُ مـــازال منهـــم
زُمَـــرٌ تَستهيـــــنُ بالأَطْـــوادِ!

ربِّ وفِّقْ خطى الجميـــع لنِصْرٍ
وأعِـــدْ نَارَنَـــا لِوَهْـــجِ اتِّقَـــادِ

وأعدنا لعَهْدٍ مَـــا كانـــت الدُّنْــ
يا انطـــلاقًا لحِكمـــةٍ وسَـــدَادِ

عَهْدِ مـــا كانتِ الرِّجَـــالُ لُيُوثًا
لَيسَ عهد الإرْغـــاء والإزبـــادِ

وابعثْ العَزم في جُنُودكَ صُلْبًا
وأجِرنا مِنْ رِبقَـــةِ الاضْطهـــادِ

حسن عبد الله القرشي

عضو المجمع المراسل من السعودية

عميد الاستشراق التشيكي إيفان هربك وعطاؤه للمكتبة الإسلامية والعربية والأفريقية *

محاضرة

للأستاذ الدكتور عبد الهادى التازى

على نحو ما تحدثنا من هذا المنبر عن المستشرق البريطاني هاميلتون كيب، ثم عن المستشرق الفرنسي جاك بيرك، نرى من باب الاعتراف بالجميل أن نقوم اليوم بتحية البروفيسور إيفان هربك بمناسبة مرور ست سنوات على رحيله .

وقد كان في صدر ما دفع بنا للحديث عن هذا العلامة الكبير أنه ظلّ خاملَ الذكر بالرغم من عطاءاته الغزيرة للمكتبة الإسلامية والعربية والإفريقية .

وإذا ما حاولنا أن نعرف الأسباب بل السبب الرئيسي لذلك الخمول فإننا سنجده يتمثل في قضية اللغة الوطنية التي كان يكتب بها معظم بحوثه ودراساته ...

وكم من علماء أعلام غُمرت أسماؤهم وطويت أخبارهم؛ لأن آثارهم لم تترجم إلى اللغات الأوربية السائدة التي تتعامل بها المجموعة الدولية،وهذه حقيقة يجب أن يعرفها علماؤنا في هذا المجمع الموقر إذا كانوا يريدون لعلمهم أن يروج !

وإني لأغتنم هذه الفرصة هنا لأقترح على رئاسة المجمع وعلى أعضاء المجمع أن ينشئوا ضمن جهاز المجمع هيئةً للترجمة تعنى بإبلاغ العالم الآخر ما يقوم به المجمع من جهد في شتى الميادين والحقول حتى نعرف بأنفسنا وخاصة ونحن نعيش اليوم عصر الإنترنت الذي يفتح المجال للتعريف بما تقوم به المؤسسات الأكاديمية إنْ في الغرب أو الشرق ...

*ألقيت هذه المحاضرة في الجلسة الخامسة من مؤتمر الدورة الخامسة والستين يوم الأربعاء ٢٢من ذي القعدة سنة ١٤١٩هـ الموافق ١٠ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٩م.

هذا الرجل الكبير هربك إنما كتب له الذكر بسبب ما يترجم له من بحوث عن اللغة التشيكية إلى اللغات الحية : الإنجليزية والفرنسية والألمانية... إلخ، ولولا ذلك لاقتصرت فائدته على مجتمعه فقط...

وهكذا فمن خلال ما كان يظهر للرجل من بحوث مترجمة في المجلات والدوريات، في مختلف الحقول، وعلى شتى الصُّعُد والمستويات عرفنا من هو إذن إيفان هربك.

ويلاحظ أن بعض إنتاجه نظرًا لأهمية فائدته وعظيم نفعه كان ينشر في عدد من المجلات في مختلف الجهات .

وقد استطاع الرجل بكفاءته العلمية وعزيمته التي لا تلين،أن يفرض اسمه على المهتمين بالدراسات وكذا بالقضايا العربية والقارة الإفريقية بالرغم من المصاعب التي كان يتعرض لها أحيانًا: مصاعب من كل نوع ومن كل حجم وربما كان فيها ما تحدث به بعض المستشرقين في أوروبا الشرقية عندما حضر أحد المؤتمرات عندنا في مدينة تطوان قبل سنوات خلت .

لقد سمعت سيدةً مستشرقة تنحى باللائمة على أحد المتدخلين المغاربة ضد الاستشراق، سمعتها تقول له : أنت لا تتصور مدى المتاعب التي نتعرض لها في بلادنا ومن بعض مواطنينا الذين يتهموننا بأننا تركنا لغتنا الأصلية لنتعب أنفسنا بالبحث عن حضارات أخرى... ثم إننا عندما نقدم إنتاجنا أمامكم تحاولون تحريفه على غير ما تقتضيه الأمانة العلمية .

وكانت السيدة بذلك تشير إلى ما يمكن أن نسميه "اضطهاداً" من بعض الفئات ضد الذين يولون عنايتهم بالثقافة العربية وما يتصل بها ...

ومع كل ذلك فقد ظهرت في أوربا الشرقية وجوه لامعة أغنت المكتبةَ العربية منذ التاريخ القديم، وهكذا سجلنا طائفة من مجالس الحوار بين المسيحيين والمسلمين ؛ الأمر الذي

تبعته ترجمة بعض الآيات من القرآن الكريم مما جعل التشيكيين يعرفون عن الإسلام ما لا يعرفه آخرون .

وقد وصلت أصداء العالم العربي والإسلامي إلى شرق أوربا ووقفنا نحن في إفريقيا على أصداء عن بلادنا في تلك الجهات مما كان يظهر بأقلامٍ تشيكية محايدة إن لم تكن متسمة بالتعاطف مع قضايانا الأساسية. ومن الملاحظ أن المدرسة التشيكية الاستشراقية تأثرت على العموم بالمدرسة الألمانية في موضوعيتها وإيجابيتها ونزاهتها، وبذلك فإنها أي المدرسة التشيكية لم تخضع لعاملٍ استعماري أو ديني أو سياسي على نحو ما لاحظناه على بعض الاتجاهات في الاستشراق داخل بعض دول أوربا الغربية...

لقد أهملنا الاستشراق في أوربا الشرقية واتجهنا بكليتنا إلى ما يُصدر لنا في الجهات الأخرى ممن تتكلم باللغات السائرة مهملين إنتاج زملائنا في جهاتٍ أخرى تتكلم التشيكية أو السويدية أو البرتغالية !

وأريد التأكيد هنا على أن من اشتهر أو من عرفت أعماله من المستشرقين فى هذه الفضاءات التي لا تتكلم الفرنسية أو الإنجليزية، إنما عرفوا عبر ما سجل من أعمالهم بلغات أوربا المتداولة، ونستثني من هذه القاعدة بعض ما كتب باللغة الروسية اعتبارًا لأسباب لا تخفى على أحد، في صدرها المركز الدولي الذي كان للمعسكر السوفيتي بالأمس، والمطامح الإيديولوجية التي كانت تخامر القادة السياسيين آنذاك .

أريد القول : إن علينا أن نلتفت إلى زملائنا في شرق أوربا ليس فقط لأنهم قاموا بتقديم الفكر العربي إلى تلك الجهة فكانوا خير رسول لنا للتعريف بثقافتنا وحضارتنا، ولكن أيضًا، وهذا مهم، لأنهم كانوا يتسمون بالإيجابية والموضوعية في معظم ما قدموه وما أنتجوه ...

وهذا ما حفزني منذ أعوام إلى الاهتمام بهذا الجانب وخاصةً بعد أن تعرفت عن كثب، على أعمال زميلنا الراحل إيفان هربك .

لقد كان الرجل في صدر المنصفين الذين عالجوا قضايا العروبة والإسلام، وفي صدر الذين كتبوا عن تاريخ إفريقيا بروحٍ من الرغبة في تنوير الطريق، وقد أمكنني التعرف عليه من خلال منظمة اليونسكو عندما كانت هذه المنظمة منكبة على إنجاز موسوعتها الكبرى حول تاريخ أفريقيا. تلك الموسوعة التي ما كان لها أن ترى النور لولا المدير العام لليونسكو آنذاك زميلنا العزيز السيد أحمد مختار مبو .. هناك تعرفتُ على إيفان هربك الذي كان يسعى لاستيعاب جميع ما كتب عن بلاد السودان باللغة العربية، وبإيعازه هو عقدت ندوة دولية في مبنى وزارة الخارجية المغربية. ثم عقدت ندوة لاحقة بمبنى جامعة محمد الخامس(*).

الرجل من مواليد مدينة براغ عام ١٩٢٣م، وقد عمل بعد إنهاء دراسته أستاذًا بمعهد الدراسات الشرقية وهنا ارتبط هربك بعالم الإسلام؛ حيث لازم دراسة تاريخ المسلمين شرقًا وغربًا، وتعرف على حضارتهم ، وظل على صلةٍ بما يتصل بالأدب العربي.

ومن خلال ما ألفه هربك من كُتُب وما حبره من مقالات نشعر بأن للرجل علينا حق إحياء ذكراه والاحتفاء به والاهتمام بآثاره، وحتى أكون منصفًا للرجل، قدر المستطاع، أريد أن أذكر هنا بعض تآليفه التي خدم بها، وعلى مدى نصف قرن كامل، خدم الموضوعات الإسلامية والقضايا العربية والأفريقية التي كان يتعامل معها بكل صدقٍ، ضاربًا عرض الحائط بكل ما نشره بعض زملائه مما لم يكن يراه أو يؤمن به، ونظرًا

(*) د. التازي ، الوثائق الدبلوماسية للمغرب كمصدر لتاريخ أفريقيا ، مجلة البحث العلمي ٣٧، ١٩٨٧ –جورنال ماروك سوار ٢ أبريل ١٩٨٧.

للحجم الكبير الذي لهذه التآليف فإني سأقتصر على ذكر بعضها مما له صلة بالموضوع الذي يهمنا ...

لقد كان في صدر ما ظهر له عام ١٩٤٩م حديث عن الحالة بمصر بعد وفاة النقراشي، وحديث عن (الإسلام كما هو)، واستمر منذ ذلك التاريخ على صلةٍ بقرائه فكتب عام ١٩٥٠م عن مكتبة الإسكندرية، وعن الإسلام في الهند ، وعن الحياة الخاصة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعن هذه التآليف بالذات نذكر أنه هو البحث الذي تقدم به هربك لنيل درجة الدكتوراه، وكان فاتحة أعماله الواسعة...

وعقَّب سنة ١٩٥١م على حديث كتبه كراتشكوفسكى عن فاسكو دي كاما! وقد تناول سنة ١٩٥٦م حديثا قيما (عن الصقالبة في خدمة الفاطميين) قبل أن يعلق على رحلة أبي حامد الغرناطي كمصدرٍ جديد لشرق ووسط أوربا .

وقد جرؤ على الكتابة عام ١٩٥٤م حول الفرق الإسلامية بما صاحبها من حركات ، وأسلمه هذا البحث إلى كتابة (أطلس عن التاريخ الإسلامي)، وقد شهدت له سنة ١٩٥٥م نشاطًا ملحوظًا حيث قرأنا له تعاليق مفيدة على كراتشكوفسكي حول كتابه عن المخطوطات العربية، وعلَّق على المستشرق كولد زيهير في كتابته عن دراسته للتقاليد الإسلامية، كما علق على المستشرق الإيطالي كابرييلي في حديثه عن العالم الإسلامي ...

وكما أشرنا في البداية فإن الرجل كان حريصًا على أن يعرف مواطنيه بهذا العالم الشرقي الذي يزخر بشتى العطاءات، ولذا نجد له عدداً كبيرًا من المقالات مما كتب بلغته الوطنية التشيكية التي لم يكن مترددًا في استعمالها مع مواطنيه حرصًا على تعميم الفائدة وتطلعًا لما قد يظهر من ردود فعل قد يستفيد منها لبحوثه! وقد ظهر له عام ١٩٥٧م بحث عن

الطبيب الأندلسي والفيلسوف المغربي المعروف أبي بكر ابن طفيل ...

ولم يقتصر إنتاج هربك على ما يكتبه هو، ولكنه تجاوز ذلك إلى الترجمة، أي أنه يترجم ما كتب بالعربية إلى لغته الوطنية، وفي هذا الإطار نجد له عام ١٩٥٨م ترجمته لرواية عبد الرحمن الشرقاوي : " بلاد مصر " كما نجد له ترجمة لرواية الأديب غسان كنفاني : (رجال تحت الشمس) ما خدم بترجمته القضية الكبرى للعرب: قضية فلسطين ..ولم يفته أن يكتب عام ١٩٥٩م عن مهدي السودان، ويكتب في السنة التى بعدها عن المذاهب الإسلامية ، ويعلق على ترجمة روزنطال لمقدمة ابن خلدون.

وقد اهتم عام ١٩٦١م بالرحالة المغربي الشهير ابن بطوطة الذي زار القارات الثلاث: أفريقيا وآسيا وأوزبا، ونستطيع القول هنا بدون تحفظ: إن ما كتبه الرجل عن ابن بطوطة كان هو المرجع العلمي لكل الذين اهتموا بكرونولوجية الرحالة المذكور، فقد تفرغ هربك تفرغًا أحسبه تفرغا، لعدة سنوات، من أجل أن يتتبع تواريخ ابن بطوطة ويقارن بينها وبين واقع المناخ وواقع ما قد يروى في جهاتٍ أخرى ، وبهذا كان هربك معتمد هاميلتون كيب وفانسان مونطى الذى قدم لابن بطوطة، ومعتمدًا لاصطيفان پيرازيموس، وأخيرًا معتمد الموسوعة البريطانية، وهكذا فإن ما قدمه هربك لرحلة ابن بطوطة من أياد بيضاء سيظل مذكورًا في سجل التاريخ . وبالنسبة لي أيضًا أعترف بأنه كان سَنَدى الأول، وقد قمت مرارًا بعمليات اختبار لما كان يفترضه من وجود ابن بطوطة فى بلدة كذا وليس فى بلدة كذا، فى فصل الصيف وليس في فصل الشتاء فكنت أبهر بقدرة الرجل وبصبره على ضبط المواقع والمواقيت.

وهذا المحقق الكبير هو الذي وصل في نهاية المطاف إلى الإشادة بمصداقية الرحالة المغربي، وبالرغم مما يوجد في " كرونولوجية " الرحلة

من بعض التجاوزات مما سببه أحيانا نسيان ابن بطوطة أو تساهل الكاتب ابن جزي، أقول بالرغم من ذلك يشيد هربك بذاكرة ابن بطوطة التي استطاعت أن تختزن معلوماتٍ في منتهى الأهمية لفترة نحو ثلاثين سنة!! ولم يكن غريبا علينا، والحالة هذه، أن تظهر له بحوث في هذه السنة ذاتها عن إمبراطورية مالي في العصر الوسيط... بل وعن أفريقيا ودولها وقادتها عبر التاريخ اعتمادًا على معلومات ابن بطوطة ...

وفي عامي ١٩٦٢و١٩٦٣ ظهرت له بحوث عن(الصقالبة البلقان والعرب) مما كانت له فائدة جليلة للذين يهتمون بتاريخ العلاقات بين الشرق والغرب مما كنا مضطرين اليومَ لمراجعته، والعالمُ يعاني من مآسي البوسنة والهرسك...

وقد استمر هربك في خطته أعوام ١٩٦٤و١٩٦٥و١٩٦٦و١٩٦٧و١٩٦٨ و١٩٦٩و١٩٧٠، واستمر يكتب عن الإسلام وعن العرب وعن أفريقيا ولم ينس إطلاقًا هذا المثلث أو الثلاثي الذي ظل يعايشه ويغذيه وينميه بمختلف العناوين ومختلف الموضوعات ، وقد كان في أبرز ما أثار الانتباه من تأليفه مما استفاد منه مواطنوه أنه ترجم القرآن على طريقة ترتيبه حسب النزول ، فهو بالرغم من أن علماءنا من أمثال ابن رشد لا يوافقون على كتابة المصاحف على الطريقة التي تخالف المصحف الأول لكنه اجتهد في أن "يقرب" مواطنيه من المعرفة فرتب لهم الآيات حسب تاريخ ومكان النزول منبهًا على هذا في المقدمة ومن غير أن يدعي أنه يقوم بعملية تصليح !!

وعلاوة على ما كتبه فى أعوام ١٩٧١و١٩٧٢و١٩٧٣و١٩٧٤ من جديد عن القرآن الكريم وعن محمد والجنس ، قام بالكتابة حول موضوع (الروس ببغداد في القرن التاسع الميلادي) مستخرجًا ذلك من كتاب

المسالك والممالك لابن خرداذبه وقد كتب حول المشروع الدولي لكتابة التاريخ العام لأفريقيا الذي أشرنا إليه والذي أعتقد أنه أي هربك كان وراء تحريكه في منظمة اليونسكو إلى جانب زميلٍ لنا قديم من مجمعنا الموقر هو محمد الفاسي رحمه الله .

وقد كتب عامي ١٩٧٥و١٩٧٦م عن مجموعة من أقطاب الفكر الإسلامي من أمثال أبي الفداء وابن حزم والخوارزمي والمقريزي والمسعودي والقزويني ...إلخ

كما كتب في التاريخ ذاته عن الطرق التاريخية وأثرها على الصراع الشرقي الصهيوني ... وعن خلْفية تصريح بلفور ...وعن المشكل الفلسطيني من خلال الوثائق ...

وقد قرأنا له عامي١٩٧٧و١٩٧٨، بعد بحث له عن " النبي والإنسان " تأليفًا عن (مصر والنوبة وشرق الصحراء) ، والتاريخ الأفريقي كحقل للصراع الإيديولوجي .

وقد تميزت سنة ١٩٧٩م بظهور كتاب عن الرحالة والبحارة والمكتشفين، كان من أمتع ما يقرؤه الإنسان . ثم قرأنا له قضية اندماج إفريقيا فيما قبل الاستعمار وبعده ، ولم يفته وهو يعالج هذه القضايا أن يهتم بالموافقات بين اليومية القمرية واليومية الشمسية حتى يساعد القراء العرب والمسيحيين على تقريب بعضهم لبعض ...

وقد شهدت له سنتا ١٩٨٠و١٩٨١ ظهور تأليفه عن الإسلام والقومية العربية في بلاد آسيا وأفريقيا، وعن المصادر المكتوبة لتاريخ أفريقيا والأسس التقنية لبناء السفن نظرًا لما يربطه أيضًا بثقافة البحر ..

وقد ظل كما أشرنا عمدةً وسندًا للموسوعة البريطانية في كتابة عدد من المواد عن جمهورية مصر العربية وعن لبنان والمغرب ... وطائفة من المواقع الجغرافية في أفريقيا.

لقد أمسى هربك بالفعل مرجعًا مهمًّا لسائر الذين يكتبون عن تاريخ أفريقيا، ومن هنا كان المصدر المهم

لمنظمة اليونسكو فى الحديث عن القارة السوداء ...

ولم تمر سنوات ١٩٨٢و١٩٨٣ و١٩٨٤ دون أن تظهر له فيها عدة بحوث حول المغاربة وأوربا، وحول المشكلة الفلسطينية، وحول الوحدة المغاربية والصحراء ، وفي كل مرة يفاجئ المهتمين بقضايانا من خلال بحث أو تأليف على نحو ما قرأنا عامي١٩٨٥و١٩٨٦م في كتابه عن مفهوم الإسلام في التاريخ ...وحول حضارات بعض الشعوب التي لم تكن نسمع عنها . وسنةً بعد سنةٍ نلاحظ أن أبحاثه لم تعد تقتصر على لغة واحدة كما أشرنا ولكنها تتجاوزها إلى الترجمة لعدة لغات ، الأمر الذي يؤكد أن المستهلكين لإنتاج هربك لم يعودوا منحصرين في فضاء معين ولكنهم يكثرون ويكثرون في كل مكان .. لاحظنا هذه الظاهرة في سنوات ١٩٨٦و١٩٨٧و١٩٨٨و١٩٨٩و١٩٩٠م عندما كان يعالج قضية صراع القوميات، داخل الإمبراطورية النمساوية، من أجل المساواة الثقافية والاجتماعية، وعندما تناول العلاقات الداخلية بين الدين والسياسة في الإسلام .

وقد ظهر جهده بارزًا ومتميزًا في المجلدات الثرية للتاريخ العام لأفريقيا الذي رددنا ذكره مرارًا، فقد ظهر في هذا التأليف الزادُ المعرفي لهذا الرجل الذي وهب حياته للبحث العلمي وبخاصة في الحقول الثلاثة التي كان العالم يتطلع إلى معرفة المزيد من المعلومات عنها ..

ويكفي أن يرجع المرء إلى تلك الموسوعة الأفريقية التي صدرت بسائر اللغات ليعرف عن حضور الرجل ودوره في ملء الفراغ الذي كان يشعر به كل الذين يحاولون الاقتراب من تاريخ أفريقيا...

ولقد وجدت متعة كبرى وأنا أقرأ آخر بحث له ظهر مطبوعًا في مجلة المعهد الشرقي للدراسات العلمية

التشيكية عن ابن بطوطة في جُزر مالديف، لقد تجلى في هذا البحث عملاقًا في قراءة ما بين سطور رحلة ابن بطوطة وهو أي ابن بطوطة يمارس مهمة قاضي القضاة في عاصمة مالديف ...

لقد علّق إيفان هربك في البحث الذي صدر له باللغة الإنجليزية والذي كان يحتوي علىمعلومات جد أصيلة وطريقة شعرنا من خلالها برده الاعتبار للأفارقة عندما زعم بعض رجال الاستشراق بأن الرحالة الذي كان سببا في إسلام أهل مالديف هو آسيوي وليس أفريقيًّا (*) ... لقد أثبت أن أبا البركات البربري هو الذي كان وراء إسلام الجزر المالديفية ...

لكن الجميل في هذا التعليق العلمي المركز أن إيفان هربك استشعر من خلال تحركات الرحالة المغربي أنه أي الرحالة ربما كان له طموح سياسي في الجزر المالديفية التي بلغ فيها قمة مجده وتألقه، وأنه كان على وشك أن يمسي ملكًا للجزر نظرًا للمكانة السامية التي بلغها وللثروة الواسعة التي أصبح يتوفر عليها في تلك الجزر .

وقد كان مما خاطب به ابن بطوطة الذي كان هربك يحبه ويعتكف على قراءة رحلته ويعيدها تكرارًا ، كان مما خاطبه به أنه هنأه بحرارة على أن طموحه السياسي لم يتحقق ، مؤكدًا لابن بطوطة أنه ينبغي له أن يحمد الله ويشكره على أنه بقي بعيدًا عن السياسة وإلا لكان ذكره ذهب مع الذاهبين ، وأمسى على نحو ما صار إليه السياسيون والحكام من نسيانهم وإهمالهم بعد دورهم العابر والمؤقت !

لقد قال هربك لابن بطوطة : إنك بتأليفك لهذه الرحلة أصبحت في عداد الخالدين الذين يتردد اسمهم بكل لسان ولدى كل إنسان في مختلف جهات الدنيا لأنك تركت أثرا عظيمًا لاتبليه الأيام ولا يستطيع كل واحد أن يخلف مثله . أما لو أصبحت من رجال

(*)EX PEDE PONTIS, PRAGUE 1972.

المنصب فإنك ستروح مع ذلك المنصب!

وبعد فكم كان بودي أن أسترسل في الحديث عن هذا المستشرق المحايد النزيه الذي لم تفارق البسمة فمه سواء مع أصدقائه أو مُنافسيه والذي ظل ينشد الحقيقة إلى آخر لحظة من حياته، وظل مخلصًا لمبادئه وفيا لمعارفه إلى آخر رمق...

وإن ما يقوم به مجمع اللغة العربية من إحياء لذكره اليوم ممَّا يعبر عن سعة أفق المجمع ونظره البعيد إلى الأهداف التي يرمي إليها، وإني لأسمح لنفسي بأن أقترح على مجمع اللغة العربية أن يقوم بترجمة بعض أثار هذا الرجل إلى اللغة العربية وخاصة منها البحوث التي تمت إلى اللغة العربية وآدابها وما أكثرها وأغناها عنده ، وفي صدرها ما قام به الرجل في سبيل الدفاع عن الحقيقة التاريخية طوال مختلف العصور والأزمان .

وإن العنصر الأخير الذي بقي عليَّ أن لا أنساه عند الحديث عن حياة هذا الرجل الكبير ، هو العنصر الذي يتمثل في العدد الكبير من الطلبة والطوالب الذين درسوا عليه أو استمدوا من علمه الغزير، فقد كان يؤثرهم بإخلاصه المعهود وتفانيه في حب العلم ، كانوا من التشيك، وكان بعضهم من أفريقيا، وبعضهم من المغرب، وآخرون من الديار الشرقية.

وقد كان يعتبر طلبته ضمن أبنائه فهو يكاتبهم ويقدرهم ويشعرهم بأنه هو في حاجة إلى تعليقاتهم واستدراكاتهم، لا يبخل عليهم بالذكر عندما تقتضي الحاجة ذلك، وهو إلى كل هذا رجل أسرة بكل معنى الكلمة، فهو إلى جانب أنه منقطع للدارسة والبحث عارف بقيمة وقته وبطريقة استغلاله ... إلى جانب ذلك كان زوجًا مثاليًّا وكان أبًا مثاليًّا، شاعرًا بأنه يعيش في عالم متنوع الثقافات ولذلك فإنه دائما في خدمة سائر

الثقافات التي يكمل بعضها البعض الآخر ... .

لقد كان على أهبة الاستعداد لحضور حفل تكريم كبير يقيمه أصدقاؤه بمناسبة مرور سبعين عامًا على ميلاده، بعد أن تجمعت المادة لإهدائه حصيلةً علمية بهذه المناسبة، لكن القدر كان يريد أن تصدر تلك الحصيلة بمناسبة وفاته ! وكانت السلوى أن الرجل أدى واجبه نحو ما كان يريد وأرضى المجتمع الذي كان يعيش فيه على نحو ما كان يريد.

عبد الهادي التازي

عضو المجمع من المغرب

العربية الفصحى بين لهجاتها وعامياتها المختلفة *

للأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة

أيها العلماء الأجلاء :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد،

فقد تلقيت ، في بداية الشهر المنصرم شباط (فبراير) ، دعة كريمة من الرئيس الجليل الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع، للمشاركة في مؤتمر مجمعنا القاهري، الذي نعتزٌ بالانتساب إليه. وأحمل في نفسي عظيم الاحترام والتقدير لرئيسه العلامة، الذي أغنى الخزانة العربية بمصنفاته المشهورة، فى خدمة العربية وتراثها الأدبي والعربي . وقد أعلمني أن الموضوع الرئيسي لمؤتمر هذا العام هو: (الفصحى والعامية) وحددت الدعوة إعداد بحث في هذا الموضوع المقترح ــ يتناول العامية في بلدكم وعلاقتها بالفصحى من حيث التأثير والتأثر .

وقد توقفت مليًّا عند هذا الموضوع المقترح في محوره العام " الفصحى والعامية"، ووجدت أن النهج العلمي، يقتضي أن تحدد المفاهيم التي يدور حولها البحث والحوار فإنَّ عدم وضوح المفاهيم، يؤدي إلى الفرقة والاختلاف ... ونحن عندما نتحدث عن"الفصحى" إنما نتحدث عن العربية، لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، اللغة الجامعة لتراث أمتنا العربية على امتدادها الجغرافي من أقصى المغرب العربي إلى أقصى مشرقه، وفي عمقها التاريخي عبر القرون ، منذ العصر الجاهلى ونزول القرآن الكريم وحيًا على قلب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، بلسان عربي مبين، حتى وقتنا الحاضر ...

*ألقى هذا البحث فى الجلسة السادسة من مؤتمر الدورة الخامسة والستين يوم الخميس ٢٣من ذى القعدة سنة ١٤١٩هـ الموافق ١١ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٩م.

بل وحتى تزول الأرض ومن عليها. فقد حفظ القرآن الكريم اللغة العربية ، وجعلها لغة خالدة بخلود النص القرآني؛ فالعربية الفصحى، ثابتة من حيث نحوها وصرفها ، ومن حيث قواعد نظمها ومن حيث قواعد لفظها، وهى لغة نامية ومتطورة من حيث ألفاظها ودلالاتها، وأساليبها ... ومصطلحاتها... لاستيعاب كل ما هو جديد ....

أما اللهجات ، فهي ألوان من النطق ، في مختلف الأقطار العربية ، بين مدنها وقبائلها وتذهب جذورها بعيدة في أعماق التاريخ . وهي لاتتعدى في معظمها ، اللهجات العربية القديمة التي توارثها الأبناء عن الآباء والأجداد ، في إطار العربية الفصحى وفى ما كان يسمى"لغة و"لغيّة"... وإن اختلاف هذه اللهجات لا يتناقض مطلقًا مع وحدة اللغة وسلامتها وفصاحتها... فالإمالة مثلاً؛ ونطق الكاف قافًا أو همزة... إلخ ، ولفظ الجيم جيمًا جامدة، أو معطشة، أو شامية ... كل هذا ومثله يضفي على لغة التخاطب ، أي اللغة المحكية، رونقًا محببًا للنفس ، ولا يتناقض مع وحدة اللغة التي تتجسد في هذه العربية السليمة أو الفصحى ، في الكتابة والخطابة والحوار والمناظرة والمسرحيات والروايات والأحاديث في وسائل الاتصالات السمعية والمرئية ...ولا أعتقد أن هناك عاقلاً يقول بأن الوحدة اللغوية تقضي بفرض لهجة معينة على جميع الأقطار، وإزالة اللهجات الأخرى .

أما العامية ، أيها العلماء الأجلاء، فقد انحرفت عن العربية الفصحى، واتخذت طوابع الأقطار المختلفة ، ويبتعد مسارها عن ثوابت الفصحى كلما غاصت الأمة العربية في الجهل والتخلف ... فنشأت لغات عامية في جميع الأقطار العربية ، وأصبح لكل منطقة أو مدينة عاميتها... ومن الواجب أن نفرق عندما نتحدث عن

العامية ، بين المفردات والألفاظ التي يعبر بها عامة الناس عما يستخدمونه من أدوات حياتهم اليومية وآلاتها ومستلزماتها، مهما كانت أصولها، وبين العامية في تراكيبها بنحوها وصرفها ومفاهيمها الجلفة وفكرها الضيق ، وتعابيرها البدائية.

وإن إنشاء المجامع اللغوية العربية، قد جاء منذ بداية القرن العشرين ، للمحافظة على سلامة اللغة العربية، وليس لنا لغة عربية سوى اللغة الفصحى لغة العروبة والإسلام ، بثوابتها الأصيلة ، في قواعد نظمها ولفظها .

وربما كان من المفيد فى هذه الكلمة أن نستعرض قضية الحرص على سلامة اللغة التي رعتها المجامع اللغوية العربية ، ونصت عليها جميع قوانينها .

فقد أصدر رئيس المجمع العلمي العزبي بدمشق منشوراً في شهر أيلول (سبتمبر) سنة ١٩١٩م باللغتين العربية والفرنسية ، وأرسله للمجلات والمجامع في الشرق والغرب... وقد حدَّد أغراض المجمع . وكان الغرض الأول :

١-النظر في اللغة العربية وأوضاعها العصرية ونشر آدابها وإحياء مخطوطاتها وتعريب ما ينفعها من كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الأوربية ، وتأليف ما تحتاج إليه من الكتب المختلفة المواضيع على نمط جديد(*) .

وقد تبنى المجمع العلمي العربي، منذ إنشائه نشر اللغة الفصحى، كتابة وإنشاءً ونطقًا ومحاورةً .

وفي عام ١٩٢٨م، وعلى الرغم من الاحتلال الأجنبي، صدر القرار رقم ١٣٥ بتاريخ ٨أيار، وقد جاء في المادة الأولى: "المجمع العلمي العربي جمعية علماء غايتها ومهمتها حفظ اللغة العربية وترقيتها

(*) انظر : تاريخ المجمع العلمي ، أحمد الشيخ ، ص٩ ، دمشق ، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦م.

وفي المرسوم التشريعي رقم (٩٠)، الصادر في دمشق بتاريخ ٢١شعبان سنة ١٣٦٦هـ و٣٠ حزيران سنة ١٩٤٧م، نصت المادة الثانية عن "غاية المجمع العلمي العربي" ... على الوجه الآتي : "ب: البحث في علوم اللغة العربية، والحرص على سلامتها وجعلها تتسع للعلوم والفنون والمخترعات الحديثة " .

وجاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الذي أنشئ سنة ١٩٣٢م، وفي جميع التعديلات التي حدثت ، ليؤكد الأهداف الأساسية التي أنشئ من أجلها هذا المجمع ، مثال ذلك،ما نصت عليه المادة الثانية من قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة رقم (١١٤٤) سنة ١٩٦٠م، تحت عنوان: أغراض المجمع ووسائله :

أولاً - الأغراض :

أ-المحافظة على سلامة اللغة العربية والحرص على وفائها بمطالب العلوم والفنون في تقدمها وملاءمتها لحاجات الحياة في العصر الحديث .

ب-توحيد المصطلحات في اللغة العربية.

وعندما تحدث هذا القرار عن الوسائل ذكر ما نصه :

- الدراسة العلمية للهجات العربية الحديثة في الأقطار المختلفة ، وللكلمات والأعلام العربية في اللغات الأجنبية ، وذلك لخدمة الفصحى والبحث العلمي .

وإنه لمن الواضح أن هناك فرقًا بعيدًا بين مفهوم اللهجات العربية الحديثة وبين مفهوم العاميات في الأقطار العربية في العصر الحديث .

وجاء - في قانون رقم ١٤ سنة ١٩٨٢م، الذي صدر برئاسة الجمهورية في ١٣ جمادى الأولى سنة ١٤٠٢هـ (٩ مارس سنة ١٩٨٢م) في المادة (٢) - ما نصه :

مادة (٢) -أغراض المجمع هي :

أ -المحافظة على سلامة اللغة

العربية، وجعلها وافية بمطالب العلوم والآداب والفنون، وملائمةً لحاجات الحياة المتطورة.

د-دراسة اللهجات العربية قديمها وحديثها دراسة علمية لخدمة الفصحى والبحث العلمي.

ز- توصية الجهات المختصة باتخاذ ما يكفل الانتفاع بما ينتهي إليه المجمع لخدمة سلامة اللغة، وتيسير تعميمها وانتشارها وتوحيد ما فيها من مصطلحات . وكان الحفاظ على سلامة اللغة العربية، ومازال، محور قوانين المجامع اللغوية العربية. ففي قانون المجمع العلمي العراقي رقم (٦٤) سنة ١٩٧٧م، جاءت المواد الأولى على الوجه التالي :

المادة الأولى - تلتزم الوزارات وما يتبعها من الدوائر الرسمية وشبه الرسمية والمؤسسات والمصالح والشركات العامة وكذلك الجمعيات والنقابات والمنظمات الشعبية بالمحافظة على سلامة اللغة العربية، واعتمادها في وثائقها ومعاملاتها؛ وذلك بجعل اللغة العربية وافية بأغراضها القومية والحضارية .

المادة الثانية - على المؤسسات التعليمية في مراحل الدراسة كافة اعتماد اللغة العربية لغة للتعليم ، وعليها أن تحرص على سلامتها، لفظًا وكتابة ، وتنشئة الطلاب على حسن التعبير والتفكير بها ، وإدراك مزاياها والاعتزاز بها .

وجاءت المادة الثالثة - لتؤكد الاتجاه نفسه. وهي تنصُّ صراحة على عدم جواز استعمال العامية .

ومما يستحق الوقوف عنده ما جاء من الأسباب الموجبة لوضع هذا القانون. وهذا نصُّه :

"ولما كانت غلبة العامية على العربية الفصيحة أثـرًا من آثار التخلف والجهل، وسمة من سمات الأمية، وعاملاً من عوامل الفرقة والتجزئة ، ومعوقًا من معوقات انتشار التعليم، ويقظة الوعي القومي والجهود المنظمة

نحو ثقافة الجماهير... (*) ".

وحذا مجمع اللغة العربية الأردني حذو المجامع الشقيقة منذ تأسيسه سنة ١٩٧٦م، فقد جاءت المادة(٤) من قانون مجمع اللغة العربية الأردني على النحو الآتي :

يعمل المجمع على تحقيق الأهداف التالية :

أ-الحفاظ على سلامة اللغة العربية وجعلها تواكب متطلبات الآداب والعلوم والفنون الحديثة.

ب-توحيد مصطلحات العلوم والآداب والفنون، ووضع المعاجم والمشاركة في ذلك بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم والمؤسسات العلمية والثقافية داخل المملكة وخارجها .

جـ-إحياء التراث العربي والإسلامي في اللغة والعلوم والآداب والفنون .

ونحن نرى في هذه الكلمة العجلى، كيف أن جميع المجامع اللغوية العربية تجمع على المحافظة على سلامة اللغة العربية ... وعندما نتحدث عن سلامة اللغة العربية ، لا نتحدث عن تيار المجابهة بين العامية، بل العاميات أمام اللغة العربية الفصحى.

وإنه لما يثير في نفوسنا الحزن والأسى، أن نجد تشجيع العاميات يستشري في جميع الأقطار العربية ، لاسيما في معظم برامج التلفاز والإذاعة المسموعة، من خلال التمثيليات والمسلسلات والروايات والأحاديث، وإن الدَّارس للسياسات غير المعلنة، في دعم العاميات والنَّيل من اللغة الفصحى في الأقطار العربية يهوله الأمر، ويرى، دون أن نظلم أحدًا، أنها سياسات تصب في اتجاه الفرقة والتمزق ، بل وباتجاه التأخر والتبعية الأجنبية. وقد بلغ الحدُّ إلى إصدار المجلات والنشرات باللغة العامية في بعض الأقطار العربية .

وإنني في هذه الكلمة ، لا أقصد

(*) انظر : قانون رقم (٦٤) سنة ١٩٧٧م، قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية .

الحظر على دراسة أي موضوع من الموضوعات اللغوية أو غيرها ، فالدراسات العلمية يرحب بها في كل مجال ، وحرية الفكر والرأي ركيزة تقدم الأمم ونهضتها ...ولكني أردت أن أبين وجوب تحديد مفاهيم قضايا تمس أمتنا العربية في هويتها وفي جوهر وجودها. فمن الواجب أن نفرق في أحاديثنا بين اللغة الفصحى والفصيحة أو السليمة، وبين اللهجات ، والعاميات ... وأن نفرق بين اللغة المكتوبة، واللغة المحكية أو لغة التخاطب ... فاللغة المحكية لا تعني بالضرورة اللغة العامية... وهي تختلف عن اللغة المكتوبة في جميع اللغات ولا أستثني لغة من اللغات ...

وخلاصة القول ، فالعاميات العربية أثر من آثار التخلف والجهل ، وسمة من سمات الأمية وعامل من عوامل الفرقة والتجزئة، ومعوق من معوقات انتشار التعليم ويقظة الوعي الوطني والقومي. وأن هذه العاميات تحمل فكرًا محدودًا ومفاهيم جلفة ، لا يتذوقها إلا جماعة محدودة من الناس. ولا أعدو الصواب إذا قلت : إن السبيل الوحيد لمعالجة هذه القضية اللغوية الخطيرة ، يتمثل بانتشار التعليم الذي يقوم على سياسة لغوية سليمة ، تجعل من معلّم كل مادة ، معلم لغة، يقدمها سليمة لطلابه، بأسلوب يحبِّب لغتهم إليهم ويثير في نفوسهم الحب والاعتزاز بهذه اللغة الخالدة . وأن يشمل التعليم جميع شرائح المجتمع في كل قطر عربي... وأن تكون العربية الفصيحة لغة جميع مؤسسات الدولة ولغة المؤسسات التجارية والصناعية وجميع مرافق الحياة .

والسلام عليكم ورحمة الله

عبد الكريم خليفة

عضو المجمع من الأردن



حَوْلَ رَدِّ العَامِّيِّ إلى الأَصْلِ*

للأستاذ الدكتور محمد هيثم الخياط

كان في مقدِّمة مَنَاسِكِ جنيف ، التي أنسُكُ إليها، في العَقْدَيْن الماضيين، أن أزور الدكتور زكي علي، وهو كما وصفه - بحق-الأستاذ عجاج نويهض ، في رسالةٍ عندي بخطّه: "خيرةُ المؤمنين ، وصفوة المجاهدين المهاجرين". فقد كان- رحمه الله وأحسن إليه- على ثغر من ثغور الإسلام في جنيف التي مكث فيها خمسةً وستين عامًا ، منافحًا بلسانه وقلمه ، إلى أن اختاره الله إلى جواره في الشهر الماضي ، وكان قد وَفَدَ إليها تلبيةً لدعوة من الأمير شكيب أرسلان رحمه الله سنة أربع وثلاثين ، ثم توثَّقت بينهما صلات المودّة الخالصة ، والجهاد المشترك لخير الإسلام والعرب في مشارق الأرض ومغاربها، وهو أمرٌ كان معروفًا فمن عرفهما حقَّ المعرفة،كالأستاذ نويهض الذي يخاطب الدكتور زكي على في الرسالة التي أسلفتُ ذكرها بقوله : " وإني أعلم جيدًا ما بينكم وبين الأمير شكيب رحمه الله من رفقة وصحبة، وأخوَّة ومودّة، وشركة مباركة في هذه القافلة ، فقد كان -جزاه الله خيرًا - يذكركم الذكر الجميل في كتبه ورسائله ومقالاته، وهو يَعدُّكم من عُدَّته، وأنتم ممّن كان بهم يعتضد وإليهم يستند " .

وفي زيارة إليه قبل خمس عشرة سنة، ذَكَرلي أن عقيلة الأمير شكيب أهدت إليه بعد وفاة الأمير ، خمس كراريس بخطّه، عنوانُها " القول الفصل في ردِّ العامّي إلى الأصل " .

وقد تكرّم الدكتور زكي فأهدانيها ، وتمنَّى عليَّ أن أنشرها معلِّقًا عليها بما تدعو إليه الحاجة .

وقد وجدت أن هذه المجموعة تنقصها

*ألقى هذا البحث فى الجلسة السادسة من الدورة الخامسة والستين يوم الخميس٢٣ من ذى القعدة سنة ١٤١٩هـ الموافق ١١ من مارس (آذار) ١٩٩٩م.

الكرّاسة الأولى، والتي يُفْتَرَضُ أن يكون المؤلف قد أعرب فيها عن مقصده، وفصّل القول في مذهبه، في مقدّمةٍ لا يمكن أن يقوم فيها أحد .

ومن أجل ذلك أرجأتُ نشر هذا الكتاب، ريثما أعثر على الكرّاسة الأولى، وكتبت إلى كلٍّ من توسّمتُ فيه معرفة ذلك ، دون طائل .

ثم رجوتُ الأخ الدكتور وليد عمار، وهو صديق مشترك لي وللأستاذ وليد جنبلاط، حفيد الأمير شكيب ، أن يسأله عنها فتكرم وأرسل إليَّ بكتاب منشور ، عنوانه كعنوان الكراريس، ولكن مقدّمة محققهِ الأستاذ محمد خليل الباشا، تحمل على بعض الشك فيه : فهي تتحدث عن دفتر كبير بخط الأمير شكيب، وتذكر أن " في هذا الدفتر مئة وسبعًا وتسعين صفحة غير مرقّمة ، فُقِدت الصفحة الأولى منه، التي تحمل اسم الكتاب ومؤلِّفه وموضوعَه ، لكن هذا سهل تداركه . فالخطُّ يدلُّ على صاحبه،والبحث يدل على موضوعه، أما الاسم فنجده عند من ذكروا أسماء مؤلفات الأمير غير المطبوعة ، وبينها كتاب " القول الفصل في ردّ العامّي إلى الأصل" وسمّاه غيرهم " إصلاح العاميّة " ولا ريب في أن هذا هو المقصود ، فاخترنا أن نتَّخذ له التسمية الأولى ".

وقد قدّم المحقِّق للكتاب بمقدِّمة نافعة ، وجعل الكتاب في ثلاثة أقسام: أولُها ــ " ردّ العاميّ إلى الأصل " وثانيها ــ " شذرات لغوية " وثالثها" ــ من كلام البُلَغاء " ونشر صورًا زنكوغرافية لبعض الصفحات يتبيَّن منها أن القسم الأول يؤلف الجزء الأخير من الدفتر، ويتقدّمه القسمان الآخران. وهذا القسم الذي يهمّنا، فيه كثيرٌ من الفِقرات والعبارات المشتركة مع الكراريس التي بين يديّ، ولكن كثيرًا منها يوجد في أحدهما فحسب، من أجل ذلك أميلُ إلى أنَّ الكتاب المنشور، إن لم يكن ما أطلق عليه بعضهم " إصلاح العاميّة " فإنه جزء

آخر من " القول الفصل" كُتِبَ في حِقبة أخرى غير تلك التي كُتبت فيها الكراريس التي بين يديّ .

* * *

والحديث عن العاميّة والفُصحى حديثٌ قديم، نشأ مع الكتب الأولى التي ألّفها عددٌ من العلماء الغُيُر على لغة التنزيل العزيز، ممَّن أفزعهم أن يتطرَّق إليها اللحن ، وهو كما يقول أحمد بن فارس : " إمالة الكلام عن جهته الصحيحة في العربية " وهو في رأيه "مُحْدَثٌ، لم يكن في العرب العاربة الذين تكلموا بطباعهم السليمة " أما أبو الطيب اللُّغوي ، فذكر أن " اللحن ظَهَرَ في كلام الموالي والمتعرّبين من عهد النبي ﷺ ، فقد رُوي أن رجلاً لَحَنَ بحضرته، فقال: أرشدوا أخاكم ".

ثم تَوَاصَلَ التأليف في لحن العوامّ على اختلاف الأزمنة والأمكنة، مما لا مجال للحديث عنه في هذه العُجالة ، اللهم إلا أن نذكر أن المجمعي الجليل المرحوم الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف ، نَشَرَ في مجلة هذا المجمع الموقر،قبل لواذ ستين عامًا ، جريدةً مطوّلة بأسماء هذه المؤلفات في القديم والحديث، يمكن الرجوع إليها لمن شاء التوسُّع في هذا الموضوع .

وإنَّك لَوَاجِدٌ في ما يصحّح هؤلاء وأولئك مما يعتبرونه من أغلاط العامّة والخاصّة ، تباينًا كبيرًا يختلف باختلاف المستوى الصوابي الذي يتّخذونه ويلتزمون به ، أي المعيار اللغوي الذي يرضى عن الصواب ويرفض الخطأ في الاستعمال . بل إنك لتجد بعضهم يَرُدُّ على بعضٍ في تصويب بعضِ ما خطَّأه أو تَخْطِئَةِ بعض ما صوَّبه ، فابن هشام اللَّخمي مثلاً في كتابه : " المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان " ، يَرُدُّ على تخطئة أبي بكرٍ الزُّبَيْدي في" لحن العامة" قول العامّة " سكرانة " ، فيقول له : " فإذا قالها قوم من بني أسد فكيف تلحن بها العامة ، وإن كانت

لغة ضعيفة ، وهم قد نطقوها كما نطقت بعض قبائل العرب؟ " وابن السِّيد البَطَلْيَوسي في "الاقتضاب" يَرُدُّ ما ذكره ابن قتيبة في " أدب الكاتب " أنَّ قول الناس : " فلانٌ يتصدّق أي يسأل..غَلَط، فيقول: "وقد حكى أبو زيد الأنصاري ، وذكر قاسم بن أصبغ عنه أنه يُقال : تصدَّق إذا سأل ، وحكى نحوَ ذلك أبو الفتح ابنُ جنّي، وابنُ الأنباري ، وصاحبُ كتاب العَيْن".

فمقياس الصواب عند المتشدّدين المعسِّرين هو الأفصح ، وما عداه لحن.وهو عند المتساهلين الميسِّرين: كلُّ ما تكلمت به العرب، وما قيس على كلام العرب فهو صواب. ويلخّص هذا الموقف الأخير قول ابن هشام اللَّخمي في " المدخل" : " روى الفرّاء أن الكسائي قال : على ما سمعت من كلام العرب ليس أحد يلحن إلا القليل.وقال الأخفش عبد الحميد بن عبد المجيد: أنحى الناس مَنْ لم يلحِّن أحدًا؛ وقال الخليل:" لغة العرب أكثر من أن يلحن متكلم"، ومثلُ ذلك قولُ ابن جني في " الخصائص":"فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غيرُ مخطئ ، وإن كان غيرُ ما جاء به خيرًا منه". وقول ابن السِّيد في " الاقتضاب" : "وقد أنكر الأصمعي أشياء كثيرة كلُّها صحيح ، فلا وجه لإدخالها في لحن العامّة من أجل إنكار الأصمعي لها " .

* * *

وبعد ، فأنت مستطيعٌ أن تَسْلُك الذين كتبوا في لحن العامة وتقويم اللسان وإصلاح الفاسد في القديم والحديث، في إحدى فئتَيْن اثنتَينْ : فئةٌ تُقَرِّع الذين ينحدرون عن مستواها الصوابي تقريعًا ، وتخاطب الذين هم مخطئون في نظرها بلهجة كلُّها تَعَالٍ وأفعالُ أمرٍ وزَجْر : قُلْ ولا تَقُلْ ! فتُشْعِر المخاطَبين من العامة بالخزي والتقصير، وتكاد تقضي على كل أمل لهم في أن يُحسنوا التحدُّث باللسان الفصيح يومًا ما وفئةٌ تخاطب العامة بالتي هي أحسن، وتتَخيرُ من كلامهم

ما يَمُتُّ إلى الفصاح بسبب فتسلط الضوء عليه وتلفت النظر إليه ، وتقول لهم، بلسان الحال إن عاميّتكم وليدةُ الفصحى بدليل هذه الكلمة التي تنطقونها كذا وأصلها كذا وهو قريب: فتبعث في نفوسهم الأمل بأنهم من اللغة الفصيحة قاب قوسين أو أدنى، وترغّبهم في اقتحام العقبة ترغيبًا . وشتّان ما بين الفئتين.

والمؤسف أن جُلّ من كتبوا في الماضي والحاضر ينتمون إلى فئة الذين ينهون عن المنكر بغير المعروف ، حتى يكاد ينطبق عليهم قول النبيّ ﷺ :"إن منكم منفرين"؛ وأن قُلّهم يندرجون في فئة الذين يلتزمون الهدي النبوي الكريم:" يسّروا ولا تعسّروا، وبشّروا ولا تنفّروا " . ومن هؤلاء أستطيع أن أعدّ محمد بن أبي السرور الصدّيقي من أهل القرن الحادي عشر للهجرة في كتابه: "القول المقتضب فى ما وافق لغة أهل مصر من لغة العرب" وابن الحمّالى فى كتابه : "بحر العوام في ما أصاب فيه العوامّ "؛ وفي عصرنا هذا " بقايا الفصاح " وهي سلسلة مقالات كان يفتتح بها الأستاذ شفيق جبري رحمه الله أعداد مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، وكتاب : رد العامّى إلى الفصيح " للشيخ أحمد رضا العامليّ، وكتابنا هذا: " القول الفصل في ردّ العامي إلى الأصل " ، وأختم بمختارات منه .

* * *

ويقولون للجواد الذى يسبق غيره في السباق إنه " فضح الخيل " أي بذّها في العَدْو وكشف عيبها ، وهو استعمال صحيح فصيح .

ويقولون "بَطَحَه" بمعنى صَرَعَهُ أو ألقاه على وجهه، وهو فصيح صحيح ومستعمل في أكثر البلاد العربية .

ويقولون عندنا " تَحَلْحَلَ " بمعنى انصرف وذهب ، وهو صحيح فصيح؛ ففي اللغة: " حلحلَ القوم أزالهم عن موضعهم " ، وتحلحل هو مطاوع

حلحل ويقال في اللغة : " فلانٌ ما يتحلحل من مكانه" وقالت ليلى الأخيلية:

مقيمٌ طوال الدهر لن يتحلحلا .

ويقولون عندنا " قح" بمعنى سَعَل ، والذين يبدلون القاف همزة يقولون"أح" وقد جاء في اللغة "أح" بمعنى سَعَل أو بمعنى تنحنح ؛ راجع لسان العرب وغيره .

إذًا تكون "أح" هي الصحيحة . ويقول الشيخ محمد علي الدسوقي المصري صاحب "تهذيب الألفاظ العامية" : إن أهل الدقهلية بمصر يقولون "أح" بمعنى سَعَل ولكن أكثر سكان القطر المصري يقولونها بالكاف أي "كح"؛ قال : ولم أره في كتب اللغة بهذا المعنى. قلت: قوله هذا صحيح ، والأظهر أن أصل اللفظة بالهمزة أي "أحّ" فجعلها العامة بالقاف وقالوا "قحّ" لأنه كما يوجد من العامة من يقلب القاف همزة ، يوجد منهم من يقلب الهمزة قافًا أحيانًا. ثم بعد أن صارت "قح" تلفَّظ بها البدو بالقاف المعقودة وهي بين القاف والكاف، ثم صارت هذه بالتدريج كافًا فقالوا "كَحّ" وهي كذلك في مصر والمغرب وأكثر البلاد.

ويقولون في لبنان " استاهل الشيء" أي كان له أهلاً ، ويسهلون همزة استأهل، وهذا يقولونه في كل الشام ومصر والمغرب وأظنه مستعملاً في جميع البلدان العربية وهو فصيح .

عن الأزهري : سمعت أعرابيًّا فصيحا من بني أسد يقول لرجل شكر عنده يدًا أَوْلاها : تستاهل يا أبا حازم ما أوليت وأنشد حمّاد عن أبيه :

جفانا أبو صالح بعدما
أقام زمانا لنا واصلا
فلما ترأَّس في نفسه
وليس لذلك مستاهلا

وأنكر آخرون هذا الاستعمال ...

ويقولون في لبنان :"أفّ" وهو اسمُ فعل بمعنى أتضجّر، وهو مستعمل في مصر والشام والمغرب وجميع البلاد العربية ، وهو من أفصح الفصيح ؛ قال الله في كتابه العزيز (ولا تقل لهما

أفّ ولا تنهرهما) .

ويستعملون في لبنان "الحركشة" بمعنى التحريك والتأريث ، وأصلها بالثاء لا بالشين كما تقولها العامّة . والحركثة في اللغة الزعزعة. نعم اقد أهمل هذه اللفظة الجوهرى ولم ترد في لسان العرب، لكن ذكرها الصاغاني ونقلها صاحب تاج العروس.

ويقولون عندنا لحوض الماء الذي يُحفر في الأرض :"بِرْكَة "بكسر أولها ويجمعونها على " برَك " وهذا فصيح صحيح وارد في كتب اللغة.قال الأزهري : ورأيت العرب يسمّون الصهاريج التي سُوِّيَتْ بالآجر وصُرِّجتْ بالنورة في طريق مكة ومناهلها بركًا واحدتها بركة ورُبَّ بركةٍ تكون ألف ذراع أو أقل أو أكثر، وفي بلادنا أيضًا يقولون بركة للصهريج ويقولون للصهريج بركة. وقد يقولون بركة للبحيرة مثل قولهم بركة الحولة وبركة الهيجاني . وفي مصر يقولونها حتى للبحيرة الملحة كما ذكر الدسوقي صاحب" تهذيب الألفاظ العامية ". وأظن هذه اللفظة ، أي البركة ، مستعملة في جميع البلدان العربية ومثلها الصهريج ، إلا أنهم في طرابلس الغرب حرّفوا الصهريج إلى الشهريز . والبركة هي من الألفاظ العربية التي دخلت في اللغة الإسبانيولية وهي كثيرة جدًّا ولما كنت في الأندلس صادفت في قرمونة من نواحي إشبيلية امرأة تغسل ثيابًا في مستنقع صغير من الماء فقلت لها: الجُبّ ؟ قالت no (أي لا) ثم قالت : البركة ، أي إن هذا لا يقال له الجب بل البركة .

ويقولون " المَطَرة " بالتحريك للقربة أو لوعاء من جلد يحفظ به الماء، وهو فصيح مسموع عن العرب.

وكنت في سفر وكانت معنا رفقة عراقيون، فقال أحدهم لنشرب من هذه الثَّميلة يريد ماء باقيًا من المطر في

مطمئن من الأرض، وهـذا فصيح، فالثَّميلة بفتح أولها على وزن حَليلة هي البقية من الماء.

وتقول العامّة عندنا "طريق نـافذ " و"طريق سالك" وهو من الفصيح كما جاء في مخصص ابن سيده .

وفي حوان يقولون للأجانب "أجناب" وهو صحيح .

وتقول العامة في لبنان للماء"مُوَيّ" وأحيانًا "مُوَيّه" وصواب الأول "مُوَيْـه" بالهاء ، وهو تصغير " ماء " فأصل الماء"مَوَه" بفتحتين، قلبت الواو ألفا لتحركها بعد الفتحة، ثم أبدلت الهاء همزة ، فلهذا لما جاؤوا إلى التصيغر قالوا"مُوَيْه" بضم ففتح فسكون. وقد ورد عن العرب "الماه" بمعنى الماء، وورد أيضًا " الماءة " بمعنى الماء وأصلها "الماهة" وتصغيرها " المويهة" وقال سيبويه في " مُوَيْه " إنهم ردّوا إليه الهاء كما ردّوها حين قالوا في الجمع مياه وأمواه ، " فأنت ترى أن عاميتنا لا تخطئ في هذه اللفظة إلا أنه يجب تحقيق الهاء فيها حتى تتم صحتها فيقال مُوَيّة ومُوَيْهَة .

* * *

وبعد فهذه بضعة أمثله تمثّل لهذا الكتاب النفيس ويكفيك من القلادة ما أحاط بالعُنُق.

* * *

محمد هيثم الخياط

عضو المجمع المراسل

من سورية

حول معاجم اللغة العامية المغربية*

عرض تاريخي

للأستاذ الدكتور محمد بن شريفة

مما يلفت النظر ويدعو إلى الانتباه إقبال الباحثين الأجانب على دراسة العاميات العربية واهتمامهم بتدوين ألفاظها ونصوصها، وليس ذلك الإقبال وهذا الاهتمام مما ظهر في العصر الحديث ، فقد وجد منذ عهد بعيد، ولا شك أن لهذه الظاهرة بواعث وأسبابًا وأغراضًا وأهدافًا، ومن أبرزها ما يتصل بالتبشير ويقترن بالاستعمار وتوجد أمثلة عديدة في هذين الموضوعين أذكر منها فيما يتعلق بعامية الغرب الإسلامي مثال الراهب القطلاني ريموند مرتين الذي ألف في منتصف القرن السابع الهجري معجمًا عربيًّا لاتينيًّا وآخر لاتينيًّا عربيًّا حسب العامية الأندلسية. وكان هذا الراهب قد بلغ في اللغة العربية فصيحها وعاميها مبلغًا كبيرًا ، وبلغ به الغرور أنه ادعى القدرة على معارضة القرآن الكريم، ويوجد في أول المعجم المذكور[1] نموذج يدل على سفاهة رأيه وتفاهة عقله، فهذا الراهب قد تعلم العربية ليحاول بها تنصير المسلمين في الأندلس والمغرب وليحاجج علماءهم ويجادلهم .

وفي كتاب المعيار[2] نص كامل لمناظرة جرت في مدينة مرسية بين الراهب وبين العالم الأديب المرسي أبي الحسين على ابن رشيق[3]، ويفهم منها أن الراهب المذكور كان عارفا بمقامات الحريري[4] وله تآليف في المجادلة بين الأديان ظهر فيها اطلاعه على كتب الغزالي وغيره[5].

ويعد هذا الراهب مع الراهب رامن لل من المؤسسين للاستشراق الأوربي . [6]

*ألقي هذا البحث في الجلسة السادسة من الدورة الخامسة والستين يوم الخميس ٢٣ من ذي القعدة سنة ١٤١٩هـ الموافق ١١ من مارس (آذار) ١٩٩٩م

وأضيف إلى هذا المثال الراهب بدرو دي الكالا [٧] الذي ألف في نهاية القرن التاسع الهجري(الخامس عشر الميلادي) معجمًا في العامية الأندلسية أيضا وهو يمثل لهجة أهل غرناطة وما يتصل بها. أما معجم ريموند مرتين فإنه يمثل لهجة أهل شرق الأندلس. وقد جاء بعد هذين الراهبين رهبان آخرون دونوا ألفاظ العامية المغربية كما سمعوها في زمنهم ، وكان آخرهم الراهب الإسباني J.LERCHUNDI الذي أكمل في مدينة طنجة معجمه الإسباني العربي عام ١٨٩٢م [٨] وقد مر أزيد من قرن على ما فيه من كلمات واستعمالات كانت شائعة في شمال المغرب.

وأما اهتمام الأجانب بدراسة العاميات العربية لأغراض استعمارية فقد نشأ عندما فكر الأوروبيون في غزو البلاد العربية واستعمارها فأسسوا لذلك مدارس منها في فرنسا على سبيل المثال -مدرسة اللغات الشرقية الحية: École des Langues Orientales Vivantes وتوسعوا في هذا الشأن بعد تسلطهم على البلدان العربية وتحكمهم فيها فأحدثوا معاهد عليا لدراسة اللهجات العربية العامية واللهجات الأمازيغية لتعليم أطرهم المختلفة، وألفت كتب في قواعد هذه اللهجات ووضعت معاجم في مفرداتها، وكانت تمنح فيها شهادات مختلفة، ومن هذه المعاهد على سبيل المثال أيضا المعهد الذي أسس بالرباط في عهد الحماية الفرنسية وسمي"معهد الأبحاث العليا المغربية " Institut des Hautes Études Marocaines ، وقد نشر هذا المعهد من بدايته سنة ١٩١٥م إلى نهايته سنة ١٩٥٩ عددا كبيرًا جدًّا من النصوص في اللهجات العامية العربية واللهجات الأمازيغية على اختلافها .

وقد عني أحد الدارسين في المغرب[٩] بوضع فهرس تحليلي باللغة الفرنسية لهذه المنشورات ، وهو من المطبوعات الأخيرة لكلية الآداب في الرباط [١٠] ، ونشرت هذه الكلية أيضا كتابا باللغة الفرنسية اشتمل على

عناوين الأبحاث والدراسات التي أنجزت في موضوع اللغات واللهجات في المغرب خلال ثلاثين سنة وهذا عنوانه(١١) :

Langue et Société au Maghreb, Bilan et Perspectives

ومن الواضح أن هذا الاهتمام الكبير باللهجات المغربية في عهد الحماية لم يكن بريئًا ولا خالصًا لوجه العلم، وإنما كان نتيجة تخطيط استعماري بعيد المرامي، وهذا ما كشف عنه المستعرب الفرنسي الشهير جورج كولان الذي كانت سلطات الحماية الفرنسية ترجع إليه وتستشيره في المسألة اللغوية بالمغرب، فقد كتب هذا المستعرب في الأربعينيات بحثًا عالج فيه مشكلة اللغة في المغرب واستبعد ما كان يطالب به الشباب المغربي المثقف من نشر الفصحى واعتبر إحلال الفصحى محل الدارجة أمرًا عسيرًا واقترح – فيما اقترح – حلَّين : أحدهما " تعميم الدارجة التي يفهمها الجميع واتخاذها كلغة للثقافة"والآخر هو "تعميم اللغة الفرنسية في المغرب وجعلها وسيلة للثقافة وحدها".

وقد أثار هذا البحث ردودًا في الصحافة المغربية والمصرية، ورد عليه الأستاذ المرحوم عبد الله كنون ردًا جميلاً دافع فيه عن الفصحى وانتقد ما ذهب إليه كولان من أن عامية المغرب هي أبعد عن الفصحى من عامية مصر والشام والعراق وقرر أنها من أقرب اللهجات إلى الفصحى لكثرة ما تشتمل عليه من التراكيب الصحيحة والكلمات الفصيحة، وساق طائفة من هذه الكلمات. وختم رده بأن بحث كولان المذكور أملته عليه السياسة وأنه كشف فيه عن نوايا الاستعمار الذي كان يعمل جاهدا على إضعاف اللغة العربية وإهمالها (١٢). ومن المعروف أن الاستعمار الفرنسي فرض اللغة الفرنسية وجعل منها لغة رسمية للتعليم والإدارة ، ولم يعد للغة العربية وجود إلا في القضاء الشرعي والتعليم

الديني، ثم إنه قرر اللهجة العربية العامية واللهجات الأمازيغية في الإذاعة والمعاهد ذات الأعراض الاستعمارية ، ولكن الحركة الوطنية قاومت هذه السياسة وأنشأت مدارس حرة كانت لغة التعليم فيها هي العربية الفصحي. وقد كان لهذه المدارس وللمعاهد الدينية كجامعة القرويين وغيرها أثر عظيم في الحفاظ على الهوية الوطنية واللغة العربية خلال عهد الحامية الفرنسية.

ولما انتهى هذا العهد وقع تغيير الكثير من مظاهره وآثاره، ومنها على سبيل المثال معهد الأبحاث العليا الذي سبقت الإشارة إليه فقد أنشئت فيه كلية الآداب بالرباط وحلت محله، ووقع إلغاء تعليم اللهجات العربية المغربية الأمازيغية ولكن الفرنسيين وغيرهم تبنوها في معاهدهم ببلدانهم قاصدين بذلك إثارة النعرة وإيقاظ الفتنة . وأذكر بعد هذا أن الباعث على الاعتراض الذي كان لدى الوطنيين المغاربة على تعليم اللهجات ودراستها هو الخوف على اللغة العربية الفصحى مما يضارها وينافسها فإذا انتفى هذا السبب فلا بأس من الالتفات إلى اللهجات والاعتناء بتراثها؛ لأن في هذا إغناء للفصحى وثراء للهوية. ومن هنا وجدنا الأستاذ المرحوم محمد الفاسي العضو الراحل عن هذا المجمع يخرج بعد الاستقلال أعمالا متعددة في الأدبيات العامية واللهجات العربية والأمازيغية كالأمثال العامية والحكايات الشعبية والأزجال المغربية التي تعرف بالملحون ، وقد توج هذه الأعمال بإخراج معلمة الملحون التي نشرتها أكاديمية المملكة المغربية في عدة أجزاء .

كما أن الأستاذ المرحوم عبد الله كنون العضو الراحل عن هذا المجمع قدم في بعض مؤتمرات هذا المجمع بحثًا عنوانه: عاميتنا والمعجمية، سرد فيه طائفة من ألفاظ العامية المغربية التي توجد - كما ينطقها المغاربة - في المعاجم العربية القديمة وقد رتبها على حروف الهجاء [١٣].

وأذكر هنا أني لما التحقت جامعة القاهرة لتحضير الدكتوراه قصدت المرحوم عبد العزيز الأهواني الذي عرفته في المغرب إذ كان أول مستشار ثقافي لمصر في المغرب ورغبت إليه أن أحضر بإشرافه موضوعًا في الأدب العربي على عهد الموحدين وجرى خلال المحادثة ذكر أمثال عوام الأندلس التي نشرها في الكتاب التذكاري المهدى إلى عميد الأدب العربي،فقلت له: إن لدي مخطوطًا يشتمل على مجموعة أقدم وأعظم من التي نشرها، فأشار عليَّ بتسجيلها موضوعًا للدكتوراه وكانت إشارته حكما،وطاعته غنما؛إذ حصلت بفضله وفضل أستاذنا الدكتور شوقي ضيف وأستاذنا المرحوم عبد الحميد يونس على هذه الدرجة العلمية بمرتبة الشرف الأولى مع التوصية بطبع الأطروحة، وقد طبعت بمطبعة محمد الخامس الجامعية في جزأين ، وغدت من المصادر الأساسية لدراسة العامية الأندلسية التاريخية والمجتمع الأندلسي القديم، ولما قدم الأخ الزميل الدكتور عباس الجراري بعد زمن يسير من وصولي إلى القاهرة سجل بإشراف أستاذنا الأهواني أيضا موضوع القصيدة في الشعر الملحون المغربي، وقد حصل بها على الدرجة العلمية نفسها وطبعت في المغرب كذلك وأصبحت مرجعًا في بابها .

لقد كان لأستاذنا المرحوم الأهواني ولزميله أستاذنا المرحوم عبد الحميد يونس اعتناء معروف بالآداب الشعبية ودفاع عنها، يقول الأهواني رحمه الله في كتابه: الزجل في الأندلس :"لقد كان ابن خلدون جريئًا وكان سابقًا لأبناء عصره حين أعلن أن الشعر ليس مقصورًا على العرب وأن البلاغة ليست وقفًا على اللغة المعربة وكان واسع الأفق حين ضمن مقدمته نماذج من الشعر الملحون ودافع عنه، وأحسب أننا في العصر الحاضر لم نعد في حاجة إلى الدفاع عن هذه

الفنون التي اتخذت العامية أداة التعبير فيها، ولم نعد في حاجة إلى القول بضرورة معرفتها وإلى تبرير دراستها" (١٤) .

أنتقل بعد هذا المدخل إلى الحديث عن معاجم العامية المغربية فأبدأ بالإشارة إلى أن أقدمها يرقى إلى القرن الرابع وأعني به كتاب " لحن العامة " الذي ألفه اللغوي الأندلسي الكبير أبو بكر الزبيدي المتوفى سنة ٣٧٩ هـ ، وهو مطبوع (١٥)، وقد جمع فيه الكلمات التي أفسدتها العامة في الأندلس إما بإحالة لفظها أو بوضعها في غير موضعها، ولكن الزبيدي اقتصر على لحن الخواص، ولم يجتلب ما أفسده الدهماء، ومع ذلك فإنه يعتبر أول من رصد مظاهر التغيير التي حدثت في اللغة العربية بالأندلس ، وقد جاء بعد الزبيدي لغوي مغربي هو أبو عبد الله بن هشام السبتي المتوفى سنة ٥٧٧ هجرية فتوسع في عرض مظاهر اللحن الطارئة على اللغة العربية في المغرب والأندلس وأسمى كتابه المدخل إلى تقويم اللسان، وكان أستاذنا المرحوم عبد العزيز الأهواني أول من درس هذا الكتاب ونشر ما ورد فيه من ألفاظ مغربية وأمثال عامية (١٦) ثم نشر بعد ذلك مرتين(١٧). وما يزال عدد كبير من الألفاظ والأمثال العامية التي دونها ابن هشام السبتي في القرن معروفا ومستعملا في العامية المغربية إلى اليوم .

وفي القرن الثامن الهجري عني ثلاثة من أعلام الأندلس والمغرب بموضوع لحن العامة وهم أبو عبد الله محمد بن هانئ السبتي المتوفى سنة ٧٣٣ وأبو عبد الله ابن جزي المتوفى سنة ٧٤١ هجرية وأبو جعفر أحمد بن خاتمة المتوفى سنة ٧٧٠ هجرية ولكن هؤلاء الأعلام لم يضيفوا شيئًا ذا بال وكان جل اهتمامهم منصرفًا إلى ترتيب الألفاظ التي جمعها ابن هشام السبتي مع تهذيبها وتقريبها، وذلك حسبما يظهر من كتاب ابن خاتمة الذي أسماه: "إنشاد الضوال وإرشاد

السوال" [١٨] ثم جاء مؤلف من أهل القرن التاسع الهجري - فيما يبدو - فاختصر كتاب ابن خاتمة الذي كان هو أيضًا اختصارا لكتاب ابن هانئ السبتي،وقد نشر المستعرب كولان هذا الاختصار الأخير الذى لا يعرف مؤلفه في مجلة هسبيرس[١٩]، وفي أواخر القرن التاسع أو أوائل القرن العاشر للهجرة ألَّف مجهول كتابًا سماه: الجمانة في إزالة الرطانة، وقد نشره الأستاذ المرحوم حسن حسني عبد الوهاب العضو الراحل عن هذا المجمع [٢٠] ويتعلق معظم ما في هذا الكتاب بتحول الصيغ، وهو في جملته إضافة جيدة في الموضوع ، ويقدم صورة واضحة لما كانت عليه اللهجة الحضرية التونسية في زمن المؤلف.
إن اعتبار هذه الكتب من قبيل المعاجم لا يخلو من التجوز، وهي في جملتها تنتمي إلى طائفة من كتب التصويب اللغوي التي ظهرت في مشرق العالم العربي ومغربه [٢١]، ولعل الرسالة المنسوبة إلى الكسائي في لحن العوام هي أول ما ألف في هذا الباب [٢٢].

وثمة معاجم أخرى في عامية الغرب الإسلامي هي التي يصدق عليها اسم المعاجم حقيقة وقد ألفها أجانب مستعربون في عصور مختلفة وهي ثنائية اللغة، وأولها معجم لاتيني عربي عنوانه :- Glossarium Lation Arabicum ومؤلفه مجهول من أهل القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) ولم أتمكن من الوصول إليه الآن كي أصفه، ويوجد وصف وتحليل لمحتواه العام في مقدمة تكملة المعاجم العربية لدوزي الذي استعمله وقال: إن الحصيلة التي استخرجها منه أقل غنى من سواه [٢٣] .

ويأتي بعد هذا حسب الترتيب التاريخي المعجم الذي ذكرناه فيما سبق ، وهو المعجم الذي ينسب إلى الراهب القطلاني ريموند مرتين من أهل القرن الثالث عشر الميلادي (القرن السابع الهجري) ،

ويتألف هذا المعجم من قسمين كبيرين: القسم الأول عربي - لاتيني، يبدأ بالكلمة العربية ثم المقابل اللاتيني، والقسم الثاني لاتيني - عربي، وفي هذا القسم لا يكتفى بمقابل عربي وإنما يؤتى بمرادفات واشتقاقات وتصاريف وتراكيب في كل مادة، ومن هذا تظهر القيمة الكبيرة لهذا المعجم ، ومما يتميز به الشكل التام الذي يعرف به كيفية النطق في كل كلمة .

وليس من غرضي الآن تقديم خلاصة ما عن طبيعة العامية كما تبدو في هذا المعجم، ولكني أشير إلى أن عدداً من مظاهرها يلتقي مع ما في كتب لحن العامة التي سبق ذكرها، كما أن عددا كبيرا من ألفاظ هذا المعجم ما تزال موجودة في العامية المغربية إلى اليوم، وسأقتطف مادة واحدة من القسم الثاني من هذا المعجم تدل على طريقته ،جاء في شرح كلمة FLALA ما يلي :" لمة لمات - زجاجة زجاجات - دبلة دبل - قطيع قطعان - علالة علالات - سعدية سعديات - طاهرية طاهريات وطواهر - فياشة فياشات - مرشة... مرشات - قارورة قوارير - إبريق أباريق"[٢٤].

فهذه كلها أسماء أواني متقاربة ومنها ما هو فصيح كإبريق وأباريق وقارورة وقوارير وزجاجة وزجاجات، ومنها ما هو من قبيل الألفاظ الأندلسية المغربية، مثل كلمة القطيع وقد شرحها ابن سعيد في المغرب بأنها قنينة طويلة العنق، ومثلها العلالة التي فسرها ابن هشام اللخمي بأنها نوع من الزجاج طويل العنق والكلمتان واردتان في الأشعار والأزجال الأندلسية والمغربية ولكن العلالة ترد عند ابن قزمان بلفظ العلال وما تزال مسموعة هكذا، وكلمة مرشة تطلق على قارورة تملأ بماء الزهر يرش به الضيوف ولا يخلو منها أي بيت مغربي، وكلمات لمة ودبلة وفياشة كلها أسماء أوان من الزجاج ولكنها لم تعد مسموعة في الدارجة المغربية اليوم، وأما طاهرية

وطاهريات وسعدية وسعديات فإنها حسب اجتهادنا أسماء أنواع من الأواني الزجاجية استعملت بمدينة مرسية في عهد بني طاهر وبني سعد ابن مردنيش [٢٥] .

إن هذا المعجم يشتمل على ثروة هائلة من الألفاظ الأندلسية والمغربية التي كانت مستعملة في العصر الوسيط بالغرب الإسلامي، وما يزال كثير منها مسموعًا في بلدان المغرب الكبير، ومنها -على سبيل المثال- الكلمات التالية :

البراح (أي المنادي) ص ٥٣٢. الرقاص (من يمشي بالبريد) ص ٣٢٨ . السباط (النعل) ص ٣٨٥. الزفاط (الكذاب) ص ٢٥٣ البسالة (الفضول) ص ٣٢٨. الدبيلة(السهم) ص ٢٤٥ . الحواس (السارق وقاطع الطريق) ص ٥٣٢. السماط (الزقاق) ص٢٧٦. الزرع(القمح) ص ٢٧١. الخدية (المخدة) ص٢٦٣. الخوخة (باب صغير) ص ٥٢٥. القندورة (الدراعة) ص ٢٧٧. القرينة (الكابوس) ص٢٧٢. الطروس (الكلب) ص ٢٧٩ الخطارة (نوع من السواقي) ص٢٩١. الفحص (البيداء) ص٢٧٧. أم الحسن (العندليب) ص٥٢٢ . الطيفور (نوع من الصحون) ص٤٧٤.المرجع (مسلحة في الحقل) ص٢٣٥.البندير (الدف) ص٦١٠.المخفية (نوع من الصحون).الحضار (الكتاب) ص٢٧٢. القنوط (القصبة والكلخة) ص٢٥٤. شرايي (صيدلاني) ص٢٤٧. الشرجب (النافذة) ص١٥٠. القبلة (الجنوب). الجوف (الشمال) ص٢٠٠ . الطياب (الصحو) ٥٧٧ .

وقد قدر الله أن تذهب العين ويبقى الأثر فقد فجع شرق الأندلس بذهاب العربية وأهلها من هذه الجهة الواسعة وبقي الكلام الذي كانوا يتخاطبون به مجموعًا في هذا المعجم الذي عني بنشره المستعرب الإيطالي سكيا

باريللي SCHIA FARELLI وطبع في روما عام ١٨٧١م .

وثمة معجم ثالث يأتي بعد المعجم المذكور من حيث الترتيب التاريخي ولا يقل عنه قيمة وأهمية وهو معجم الراهب الإسباني بدرو دي ألكالا الذي نشر في غرناطة عام ١٥٠٥م وهو كسابقه ألّف بقصد الاستعانة به على تنصير المسلمين الذين بقوا تحت الذمة، وقد قام العضو الزميل فيديريكو كورييتى بإعادة ترتيب هذا المعجم على أساس جذور الكلمات مع تعليقات وتدقيقات المتخصص المتمكن (٢٦)، ومن أبرز المظاهر اللغوية فى هذا المعجم الذي كتبت فيه الكلمات العربية بحروف لاتينية مظهر الإمالة التي عرفت بها اللهجة الغرناطية، كما ذكر ذلك ابن الخطيب (٢٧) وغيره، فهم يقولون : بيب وميل ونيس في باب ومال وناس، وقد سخر الشاعر المغربي عبد العزيز الملزوزي لما زار الجزيرة الخضراء مع السلطان المريني وسمع إمامًا فيها يصلي بالناس ، وهو يقرأ سورة قل أعوذ برب الناس بإمالة أهل البلد الشديدة فقال من شعر له :

قد بدل الوسواس بالوسويس
وكذلك الخناس بالخنيس (٢٨)

وأشير بعد هذا إلى عمل يتصل بمعجم ألكالا قام به راهب طليطلي اسمه :

PATRICIO DE LATORE.

فقد قام هذا الراهب - الذي عاش في المغرب وسكن طنجة - بإعادة النظر في معجم ألكالا فقد كتب ألفاظه بالحروف اللاتينية وأضاف كلمات ومعاني جديدة ووضع له العنوان العربي التالي :

سراج في اللغة العجمية، المنقولة من اللغة الإسبانيولية إلى العربية .

وتحت هذا ما يلي :

VOCABULISTA CASTELLANO ARABICO

وقد طبع هذا المعجم في المطبعة الملكية بمدريد سنه ١٨٠٥م (٢٩). إن هذا الراهب الطليطلي يعتبر استمرارًا للمذكورين قبله في الحرص على تعلم اللغة العربية عامة، واللغة العامية

المغربية خاصة لغرض التبشير كما قلنا سابقًا ويمتاز عمل هذا الراهب بأنه يفيد في تصور التطور الذي وقع في العامية في وقته كما أنه سجل عددا من الأمثال المسموعة يومئذ كقولهم:

" ما هو العيب على من حرث في السطح العيب على من خمس عليه ".

ومما يلحق بهذه المعاجم المعجم الذي ألفه المستعرب الإسباني وعنوانه :

D. Francisco Javier Simonet Glosario de Voces Ibericas y Latinas Usadas Entre los Moz Arabes

وقد جمع فيه الألفاظ التي كان يستعملها المستعربون وهم النصارى الذين عاشوا في ظل دولة الإسلام في الأندلس وكانوا يتكلمون ويتعاملون بلغة عربية فيها آثار رومانثية، وقد طبع هذا المعجم الذي يقع في جزأين بمدريد سنة ١٨٨٨م. وكان هو والمعاجم التي ذكرتها قبله من مصادر المستعرب الهولندي دوزي في معجمه المفيد الذي أسماه " تكملة المعاجم العربية " وشهرته تغنينا عن الحديث عنه . وسنختم هذه السلسلة من معاجم اللهجات المغربية بمعجم يمثل اللهجة الدارجة بمدينة طنجة وشمال المغروب في سنة ١٨٩٢م . ونعني به معجم الراهب J.LERCHONDI وعنوانه :

Vocabulario Espanol Arabico ، وقد طبع هذا القاموس عدة مرات وكان مرجعًا للإسبان العاملين في مصالح الحماية الإسبانية بشمال المغرب وكذلك لدى أعضاء البعثة الكاثوليكية الإسبانية التي كان مقرها في مدينة طنجة، ويبدو أن إقامة سفراء الدول الأجنبية وقناصلها في هذه المدينة كان مما دعا إلى تدوين اللهجة العامية فيها من أجل التفاهم بها مع الأهالي وقد ذكر وليام مرسيه W.MARCAIS في مقدمة كتابه Textes Arabes de Tanger أن نصوصا من لهجة طنجة جمعها عدد من مستعربين أجانب، وقد اشتمل كتابه المذكور على نصوص متنوعة من هذه اللهجة شفعها بمعجم شرح فيه

الألفاظ الواردة فيها ورتبها على الحروف الهجائية وهي على درجة عالية من المعرفة اللغوية والتوثيق الواسع والإحالات الغنية، ولا عجب في هذا فقد كان الرجل من شيوخ الاستعراب في فرنسا وقد تتلمذ على يديه عدد من المستعربين الفرنسيين في مدرسة اللغات الشرقية الحية، ومن أبرزهم كولان الذي حقق ونشر نصوصًا عربية وعامية مختلفة وكتب أبحاثًا متنوعة في اللهجات وترك معجمًا شاملا في العامية ظهر بعد وفاته في طبعتين : إحداهما بإشراف السيد زكية العراقي من معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط والأخرى قام بها ألفريد دوبريمار الأستاذ بجامعة ايكس .

وبعدُ، فهذا عرض عام لمعاجم العامية المغربية التي وضعت قديمًا وحديثًا، وقد سردتها سردًا تاريخيًا مكتفيًا بما له قيمة لغوية وعلمية واضحة، وكنت أنوي أن أشفع هذا المسرد المعجمي بمسرد آخر لنصوص العامية المغربية المنشورة من أزجال وأمثال وحكايات وما أُلِّف من قواعد وضوابط في مختلف اللهجات المغربية، ولكن وحدة الموضوع جعلتني أكتفي بما ذكرت، وقد سبق لي أن أنجزت بعض الدراسات في أمثال العامية المغربية وأزجالها (٣٠) .

وأود أن أشير إلى قيمة هذه النصوص وتلك المعاجم في دراسة مظاهر التطور اللغوي في البلاد العربية عبر العصور وهو التطور الذي تحدث عنه ابن خلدون في المقدمة (٣١) وقام باحثون غربيون وعرب بدراسته وكان منهم الألماني يوهان فك الذي قدم عملاً جيدًا في هذا الباب وقد أعجبتني العبارات التي ختم بها كتابه وهي قوله :

"إن العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي أساسيًّا لهذه الحقيقة الثابتة وهي أنها قد قامت في جميع البلدان العربية وما عداها من الأقاليم الداخلة في المحيط

الإسلامي رمزًا لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنية .

ولقد برهن جبروت التراث العربي التالد الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها إلى زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر.

وإذا صدقت البوادر ولم تخطئ الدلائل فستحتفظ بهذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدنية الإسلامية ما بقيت هناك مدنية إسلامية " [٣٢] .

إيضاح

مرفق بهذا البحث تتمّة له تقع في ثلاثة أجزاء :

(أ) أمثال العوام في الأندلس لأبي يحي الزجالي (ق٧) وفوائدها اللغوية ص١٥١.

(ب) ملعبة الكفيف الزرهوني (ق٨) وقيمتها اللغوية ص١٨٧.

(جـ) العامية الأندلسية والمغربية في أمثال الزجالى وملعبة الكفيف الزرهونى ص١٩٤.

الحواشي

١–انظر النموذج المذكور في مقدمة الجزء الأول ص XVI وص XVII .

٢–المعيار ١١: ١٥٥ – ١٥٨ نشر وزارة الأوقاف المغربية .

٣–ترجمته فى الإحاطة .

٤–انظر كلام الراهب المذكور عن المقامات واستشهاده ببيتي الحريري "اللذين أسكتا كل نافث، وأمنا أن يعززا بثالث" في المعيار ١١ : ١٥٧.

٥–تاريخ الفكر الأندلسي تأليف بالنثيا وترجمة حسين مؤنس ٥٤٠– ٥٤٢.

٦–انظر دراستنا حول الجذور التاريخية للاستعراب الإسباني في كتاب المغرب في الدراسات الاستشراقية . مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ١٩٩٣ م .

٧–انظر فيه مقدمة الجزء الأول من تكملة المعاجم العربية لدوزي:ص X.

٨– Vocabulario Espanol Arabico : XV

٩–هو السيد جادة القيم على مكتبة كلية الآداب بالرباط .

١٠– Bibliographie Analytique des Publications de l'Institut des Hautes Études Marocaines 1915 - 1959

١١–هو من مطبوعات كلية الآداب بالرباط سنة ١٩٨٩م .

١٢–انظر بحث الأستاذ عبد الله كنون في كتابه التعاشيب من ص ١١٩ إلى ص ١٣٥.

١٣–نشر هذا البحث في كتاب خل وبقل من ص٥٩ إلى ص ٨٧ .

١٤–الزجل في الأندلس، مطبوعات معهد الدراسات العربية العالية : هـ، ٩ .

١٥–طبع بمصر في سنة ١٩٦٤م بتحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ثم طبع بالكويت سنة ١٩٦٨م بتحقيق الدكتور عبد العزيز مطر .

١٦–نشرت الألفاظ المغربية فى مجلة معهد المخطوطات العربية في الجزأين الأول والثاني من المجلد الثالث سنة ١٩٥٧ م .

١٧–نشر أول مرة مجزءًا بتحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، ثم نشر مرة ثانية كاملاً بتحقيق المستعرب الإسباني خوسيه بيرس لاثرو.

١٨-يوجد هذا التأليف مخطوطًا ضمن مجموع في الخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم ١٢٣١٥ .

١٩-انظر المجلد ١٣ سنة ١٩٣١م وأعاد الأستاذ إبراهيم السامرائي نشره فى كتابه نصوص ودراسات عربية وإفريقية ووهم في نسبته إلى ابن خاتمة .

٢٠-طبع كتاب الجمانة فى مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة سنة ١٩٥٣ م .

٢١-انظر إحصاء لها في معجم المعاجم لأحمد الشرقاوي إقبال من ص٦٦ إلى ص ٨٩ .

٢٢-طبعت هذه الرسالة بعناية عبد العزيز الميمني .

٢٣-تكملة المعاجم ج١ صviii وص ix.

٢٤-انظر ص ٣٨٨ من القسم الثاني من المعجم المذكور .

٢٥-لعل دوزى وهم حين قرأ كلمتي طاهرية وطاهريات بالظاء المشالة ونسبها إلى السلطان الظاهر بيبرس كما نسب السعديات إلى من اسمه الشيخ سعد الدين راجع مادة طاهرية في معجم دوزي .

٢٦-عنوانه : Elléxico Arabe Andalusi Segun P. de Alcala Madrid 1988 . .

٢٧-انظر الإحاطة لابن الخطيب ج١ ص١٣٤ .

٢٨-من مقامة نشرناها في العدد الأول من مجلة كلية الآداب بالرباط سنة ١٩٧٧م .

٢٩-انظر كتاب Braulio Justel Calabozo حول هذا الراهب الطليطلي، وهو من مطبوعات دير الأسكوريال سنة ١٩٩١ م .

٣٠-أمثال العوام في الأندلس - القسم الأول من ص ٢٧٣ إلى ص ٣٠٠ مطبعة جامعة محمد الخامس ١٩٧٥ وملعبة الكفيف الزرهوني من ص ٤١ إلى ص ٥٠ والعامية الأندلسية المغربية بين أمثال الزجالي وملعبة الكفيف الزرهوني .فصلة من أعمال

الملتقى الدولي حول التداخل اللغوي بين اللغة العربية واللغات الرومانثية في شبه الجزيرة الإيبيرية سرقسطة سنة ١٩٩٤م .

٣١-المقدمة (فصل في أن لغة أهل الحضر والأمصار لغة قائمة بنفسها مخالفة للغة مضر) .

٣٢-العربية - دراسات في اللغة واللهجات والأساليب :٢٣٤ .

محمد محمد بن شريفة

عضو المجمع المراسل من المغرب

أ- أمثال العوام في الأندلس لأبي يحيى الزجالي (ق ٧) وفوائدها اللغوية

-من المعروف أن للأمثال العامية الأندلسية وغيرها فوائد تاريخية واجتماعية وأدبية، ولهذه الأمثال أيضا قيمة لغوية لا تقل أهمية عن قيمتها من النواحي التاريخية والاجتماعية والأدبية، وهي بلا شك تضيف مادة جديدة إلى ما هو معروف حتى الآن من نصوص ووثائق العامية، في الأندلسية كأزجال ابن قزمان وغيرها من النصوص العامية، وكتلك السلسلة من المؤلفات الأندلسية في لحن العامة التي بدأها أبو بكر الزبيدي (ت ٣٧٩) وتبعه ابن هشام اللخمي (ت ٥٧٧) وابن هانئ السبتي الإشبيلي(ت ٧٣٣) وابن جزي الغرناطي (ت٧٤١) وابن خاتمة (ت٧٧٠) ، وتلك المعجمات الثلاثة التي أُلِّفَتْ في إسبانيا خلال القرون الوسطي وحوت كثيرا من مفردات العامية الأندلسية، مثل المعجم اللاتيني العربي :

Glossarium lation – arabicum

الذي ألفه مجهول في القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) ، والمعجم الذي ينسب إلى الراهب القطلاني رمند مرتين(*) من أهل القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) وعنوانه :

Vocabulista in arabico

والمعجم الذي ألفه الراهب فرأى بدور الكالا نحو سنة ١٥٠٥م بعنوان :

Vocabulista arauigo

وربما كانت الأمثال كالأزجال من أكثر هذه الوثائق قيمة في معرفة طبيعة العامية الأندلسية وخصوصاً

(*) انظر فيما كتب في رمند مرتين والقاموس المنسوب إليه ومؤلفاته الأخرى كتاب تاريخ الفكر الأندلسي لبالنثيا (ترجمة د. مؤنس) من ص ٥٤٠ إلى ص ٥٤٢ والمصادر التي حال عليها ، وفي مجلة الأندلس مقالات حول معجمه المذكور .

من حيث البناء والتركيب ومجال الاستعمال بوجه عام، ذلك أن كتب لحن العامة والمعاجم المذكورة لا تعنى إلا بالألفاظ والمفردات ودلالاتها وتطوراتها، وقد اهتم جماعة من الباحثين بدراسة الناحية الصوتية في العامية الأندلسية مثل سيمونيت وشتايجر، وعكف الأستاذ كولان منذ زمن بعيد على استخراج قواعد عامة لها، ولعل هذه الأمثال تقدم مادة جديدة للمشتغلين بدراسة العامية الأندلسية .

وقد نشأت هذه العامية الأندلسية في ظروف تاريخية لا نكاد نعرف من أمرها شيئًا ذا بال مثلها في ذلك مثل سائر اللهجات العربية ، وهي على كل حال ثمرة انتشار العربية في بيئات جديدة متعددة العناصر واللغات، ونتيجة اختلاط العرب الفاتحين بغيرهم من العجم والبربر، ومظهر لما يطرأ على العربية عادة من التبديل والتغيير حين يتكلم بها غير أهلها ، وقد وصف ابن حزم بعض هذا الذي ظل يحدث في عامية الأندلس حتى عصره فقال : " ونحن نجد العامة(يقصد عامة الأندلس) قد بدلت الألفاظ في اللغة العربية تبديلا ، وهو في البعد عن أصل تلك الكلمة كلغة أخرى ولا فرق، فنجدهم يقولون في العنب: العينب ، وفي السوط: اسطوط، وفي ثلاثة دنانير : ثلثدا . وإذا تعرب البربري فأراد أن يقول الشجرة قال : السجرة ، وإذا تعرب الجليقي أبدل من العين والحاء هاء فيقول : مهمدا ، إذا أراد أن يقول محمدًا[1] "ويشير إلى اختلاف عامية الأندلس بين بلد وآخر فيقول : " ونحن نجد من سمع لغة أهل فحص البلوط وهي على ليلة واحدة من قرطبة كاد يقول: إنها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة،وهكذا في كثير من البلاد فإنه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها تبديلا لا يخفى على من تأمله [2]

(١) الأحكام في أصول الأحكام :٢٣١

(٢) المصدر نفسه : ١ : ٣١

ونجد عند ابن شُهيد – معاصر ابن حزم – إشارة عامة ولكنها لا تخلو من دلالة حيث يقول في رسالة التوابع والزوابع – متحدثا عن كلام معاصريه من الكُتَّاب فيما بينهم – بأنه : " ليس لسيبويه فيه عمل، ولا للفراهيدي إليه طريق ولا للبيان عليه سمة ، إنما هي لكنة أعجمية يؤدون بها المعاني تأدية المجوس والنبط[1] ". وقبل ابن حزم وابن شُهيد ألف الزبيدي كتابه لحن العوام وأشار فيه إلى بعض مظاهر العامية في عصره كما سنذكر شيئا من ذلك فيما بعد، وأشار المقدسي في القرن الرابع إلى لغة أهل الأندلس فقال :" ولغتهم عربية غير أنها منغلقة مخالفة لما ذكرنا في الأقاليم، ولهم لسان آخر يقارب الرومي"[2] فالمقدسي يقرر هنا صعوبة العامية الأندلسية على فهم المشارقة ومخالفتها لعامية المشرق كما قرر مسألة أخرى هي الازدواج اللغوي الذي سنشير إليه بعد قليل .

ويبدو أن ظهور الموشحات والأزجال كان مؤذنا بأن العامية الأندلسية بلغت ذروة التكوين والاستقرار ، وأصبحت لهجة أدبية تنافس الفصحى، فإذا وصلنا إلى القرن السابع الهجرى وجدنا ابن سعيد يصف لغة أهل الأندلس في عصره فيقول : "مع أن كلام أهل الأندلس الشائع في الخواص والعوام كثير الانحراف عما تقتضيه أوضاع العربية، حتى لو أن شخصًا من العرب سمع كلام الشلوبيني أبي علي المشار إليه بعلم النحو في عصرنا الذي غربت تصانيفه وشرّقت وهو يقرئ درسه لضحك بملء فيه من شدة التحريف الذي في لسانه، والخاص منهم إذا تكلم بالإعراب استثقلوه واستبردوه، ولكن ذلك مراعى عندهم في القراءات

(١) التوابع والزوابع : ١١٧ .

(٢) أحسن التقاسيم : ٢٤٣ ط . دى خويه

والرسائل[1] " وهذا يصور بُعْد ما بين لغة الكلام والتدريس ولغة الكتابة والإنشاء .

وأخيرًا نجد ابن خلدون يقرر في مقدمته أن لغة أهل الأندلس لغة قائمة بنفسها، مباينة-بعض الشيء-للغة أهل المشرق وللغة أهل المغرب أيضا، وأنها متأثرة بعجمة الجلالقة" [2] .

وقد اشتركت في تكوين العامية الأندلسية عوامل عديدة نذكر منها مايلي:

١-لهجات القبائل العربية الداخلة إلى الأندلس من قيسية ويمنية، وقد عني كل من ابن حزم في الجمهرة وابن غالب في فرحة الأنفس بتبيين المواقع التي استقرت بها الجماعات العربية الداخلة إلى الأندلس[3]،وهي ممثلة لمعظم قبائل جزيرة العرب ، ولا شك أن ذلك كان له أثر في تكوين العامية الأندلسية، ومن الواضح أن بعض الألفاظ والظواهر اللغوية في هذه العامية كالإمالة ترجع إلى لهجات عربية معينة ، وثمة من المفردات التي شاع استعمالها فى الأندلس ما نستطيع أن ننسبه إلى عرب الشام الداخلين إلى الأندلس مثل كلمتي أندر[4] وإصطبل [5] ، والإمالة التي كانت غالبة على لسان أهل الأندلس قد تكون من تأثير القبائل التي تميل كتميم وقيس وأسد [6] ، وهي قبائل كانت تكوّن الجمهرة الغالبة في بعض جهات الأندلس . ومن الكلمات الشائعة الاستعمال في الأندلس كلمة " القطاع " أي النقود إذ نجدها كثيرا في أمثال

(١) نفح الطيب: ١ : ٢٠٦ .

(٢) المقدمة : ٥٥٥ (المطبعة الأميرية).

(٣) انظر نفح الطيب ١: ٢٧٢ – ٢٧٤ والثبت الذي استخرجه الدكتور إحسان عباس من الجمهرة في كتابه تاريخ الأدب الأندلسي: ١: ١٢-١٣.

(٤) انظر المثل رقم ٢٠٠ في النص .

(٥) لحن العوام للزبيدي :١٣٣ .

(٦) الفصل الخامس من كتاب فى الدراسات القرآنية واللغوية-الإمالة فى القراءات واللهجات العربية للدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبى .

الأندلسيين وأزجالهم وعقودهم، بل إننا نجدها فى شعرهم الفصيح كقول ابن مسعود القرطبي :

فقُلتُ وأيْنَ النقدُ يا ابنةَ عزة
لقد جئتِها بلقاء منتنة نتْنا فقالت : أديبٌ شاعرٌ متفننٌ حَوى من حُظوظ الظرف في زعمه الأسنى بِلاَ قِطْعَة ، هـذي لعمْرُك هُجْنة
فسِرْ راشدا عنَّا فمالَك من مَعْنى[1]

وهذه الكلمة من لغة هذيل فيما يقول شارح القاموس[2]، ونعرف مما ذكره ابن غالب أن قبيلة هذيل كانت بالأندلس، ومنازلهم بجهة أريولة من كورة تدمير[3] ، فهل تكون الكلمة شاعت في الأندلس بواسطتهم؟ وقليلا ما نصادف هذه الكلمة في استعمال المشارقة كقول شاعر عباسي :

كل حسْنٍ مفـرّقٍ هو فِيهِ قد اجتمَعْ
قطَعَ الوصْلَ بيننا إنَّهُ يبتغي القِطَعْ[4]

ومما نحسب أنه من تأثير اللهجات العربية القديمة واستمرارها في العامية الأندلسية: كسر أول حروف المضارعة ، وهو مطرد في المضارع من صيغة " فعَّل " مثل : نِصَوَّب ، تِصوَّب ، يِصَوَّب ... إلخ. وكَذلك فِي صيغة " فَاعَلَ " مثل : نِعَامَلْ ، تِعَامَلْ ، يِعَاملْ ... إلخ .

وقد يكون ثمة تأثير لعرب الجنوب وغيرهم في عامية الأندلس، ولَعَلَّ مِن مَظَاهِره إلحاق التاء بآخر ضمائر الغيبة : هوت = هو ، هيت = هي، همت = هم ، وقد جاء هذا في بعض الأمثال :

مَنَاقِر اللَّحْم مُعَوَّجُ هِيَتُ (ابن عاصم ٧٦١).

٢-ومنها العجمية el romance أو الإسبانية القديمة،ذلك أن سكان الأندلس عموما كانوا يعرفونها، ولدينا هنا شواهد عديدة في هذا الموضوع، ولعل أشهرها قول ابن حزم : " ودار بلي بالأندلس : الموضع المعروف باسمهم بشمالي قرطبة، وهم هناك إلى

(١) الذخيرة ١/ ٢ : ٧٨-٧٩.
(٢) انظر المثل رام ٢٣٧ في النص.
(٣) نفح الطيب ١: ٢٧٢ .
(٤) حكاية أبي القاسم :١٣٣ .

اليوم على أنسابهم، لا يحسنون الكلام باللطينية، لكن بالعربية فقط، نساؤهم ورجالهم[1] ومفهوم هذا أن القبائل العربية الأخرى كانت تحسن - إلى جانب العربية - الكلام بالعجمية، وفي قضاة قرطبة للخشني(ت٣٦١) نرى بعض القضاة والشهود والخصوم يتكلمون بها، فقد ذكر في ترجمة القاضي سليمان بن أسود" أنه كان في وقته رجل من العدول يعرف بابن عمار كان يختلف إلى مجلس القاضي ويلزمه، ولا يقوم إلا بقيامه، وكانت لابن عمار بغلة هزيلة تلوك لجامها طول النهار على باب المسجد، قد أضناها الجهد وغيرها الجوع، فتقدمت امرأة، إلى القاضي، فقالت له بالعجمية: ياقاضي انظر لشقيتك هذه، فقال لها بالعجمية: لست أنت شقيتي، إنما شقيتي بغلة ابن عمار التي تلوك لجامها على باب المسجد طول النهار[2] كما ورد في وصف أحد الشهود ما يلي :" وكان حينئذ بالمدينة شيخ أعجمي اللسان يسمى: ينير ، وكان مقدما عند القضاة مقبول الشهادة مشهوراً في العامة بالخير وحسن المذهب، فأرسل فيه الوزراء ، وسألوه عن القاضي ، فقال بالعجمية: ما أعرفه إلا أني سمعت الناس يقولون: إنه إنسان سوء، وصغره باللفظ العجمي[3] " وفي ترجمة الفقيه ابن العطار في المدارك نراه يحاور زوجة وكيله، بضيعته بالعجمية، وكان ممّا قالت بكلامها العجمي: سواد بيت تمضي إليه ! فقال لها بمثل كلامها: بل "سواد بيت خرجتُ منه"[4] .

ويرى الدكتور عبد العزيز الأهواني أن" وجود الخرجات الأعجمية في مخطوطات الموشحات الأندلسية دون شرح لمعاني ألفاظها دليل على أن هذه اللغة الأعجمية كانت معروفة لدى

(١) هكذا الضبط في النسخة م من "ري الاوام" في المعاجم الأندلسية ، وكسر أول حروف المضارعة أو "التلتلة " فيه كلام كثير يراجع في محله من كتب اللغة .

(٢) قضاة قرطبة : ١١٧-١١٨ .

(٣) المصدر نفسه : ٨٤.

(٤) الزجل في الأندلس : ٤٧.

قراء الموشحات[1] " وقد ظل الإلمام بعجمية الأندلس ظاهرة ملموسة إلى وقت متأخر لدى المؤلفين الأندلسيين ؛ إذ نرى ابن الآبار على سبيل المثال يشرح - في مناسبات عديدة - أسماء الأعلام والأماكن الأعجمية. وألفاظ عجمية الأندلس في كتب النبات أكثر منها في غيرها كما يبدو ذلك في كتاب المفردات لابن البيطار وكتاب شرح أسماء العقار وغيرهما، ويقول ابن البيطار في مقدمة المفردات:" وقد ذكرت كثيرا منها كما يعرف في الأماكن التي تنسب إليها الأدوية المسطورة كالألفاظ البربرية واللاطينية-وهي عجمية الأندلس - إذ كانت مشهورة عندنا وجارية في معظم كتبنا " . أثرت عجمية الأندلس هذه في العامية العربية من وجوه مختلفة أحدها دخول كثير من مفرداتها في قاموس الاستعمال العامي ، وقد أورد ابن هشام اللخمي طائفة من الألفاظ العجمية التي كانت جارية على لسان العامة بالأندلس في عصره، ومنها: أسباطه للخيزرانة التي يمسكها الملاح، ويجول لطرف التين، وبلنتة لما بكر من الشعير فطحن، والجيقة للضباب، وحبور لشقائق النعمان، والذنتيلة للطعام الذى يضنع عند نبات الأسنان للأطفال، والمرندة لما يتعجله الإنسان من الطعام قبل الغذاء[2].

ومن هذه المفردات العجمية الواردة فى الأمثال: البلين(ص٦) والرمشكل (ص٦) والمرجقال (ص١٨) والمول (ص٥٨) والقلبق (ص٩١) والبرغات (ص١١٤) وبردقون (ص١٤٠) وشنوغ (ص ١٤٤) وبرطال (ص٢٨) والباله (ص٢٨٧) والطمون(ص١٧٣) ودوش (ص٢١٤) وجره (ص٢٥٦) وقول(ص٣٢٤) والششون (ص٣٦٢) والليطرات (ص٣٦٤) والبلب (ص٣٢) وبشة (ص١٥٣) وغيرها.

ومن وجوه هذا التأثير تلك المقاطع

(١) المدارك٣-٤ : ٤٣٩(ط . بيروت).

(٢)انظر هذه الكلمات وما يقابلها في الإسبانية في ألفاظ مغربية: ١٤٢،١٤٦، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ٢٨٦ ، ٣١٣ على الترتيب .

والنهايات التي تضاف إلى الكلمات العربية مثل :

مقطع un في آخر الاسم للدلالة على التكبير كخلدون وزيدون وهو شائع في أسمائهم .

ولعل المؤرخ الرازي أقدم من أشار إلى هذا في نص نقله عنه الونشريبي في المعيار إذ يقول، في أثناء حديث عن ابن حفصون: " فولد عمر بن جعفر حفصا المعروف بحفصون - أريد به الكبير(*) "

ومقطع – ero كقولهم : زلير (ص ٣١٨ في النص) فهي كلمة مركبة من الفعل العربي، زل والنهاية الإسبانية : -ero

ومقطع – era كقولهم : خرجير (مثلى ابن عاصم رقم ٢٤٤) وهي مركبة من الفعل العربي : خرج والنهاية الإسبانية : -era

ومقطع–ote في مثل قولهم : منخروط (ص ٢٨٤) فهي مركبة من الاسم العربي منخر ، والنهاية الإسبانية : – ote . ومقطع– el في الاسم المذكر مثل ابن غفريل فغفريل مركبة من غفر العربية والنهاية الإسبانية: el -

ومقطع ela – في الاسم المؤنث مثل: شربالة للقدح (ألفاظ مغربية : ٢٩٤و Vocص ٦٣٨) فهي مركبة من المادة العربية شرب والنهاية الإسبانية،ela– ومثل حرالة أي حارة (Voc ص ٥١١) فهي مركبة من حارة والنهاية الإسبانية : –aelo

ومقطع ello – المذكر ومقطع ella – للمؤنث في حالة التصغير . ولدينا بخصوص هذين المقطعين الأخيرين نص نقله ابن عبد الملك المراكشي عن النحوي المالقي ابن المرحل إذ يقول في ترجمة ابن حوط الله: " وذكر لي شيخنا أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن المالقي أن أصله حوطله، قال

(*) المعيار : ٨١/١٥، ويبدو أن هذا النص غاب عن علم الأستاذ الجليل السيد عبد الله كنون الذي ذهب – في مقالة له بعنوان :" هل اسم خلدون ونحوه مكبر على الطريقة الإسبانية، إلاّ أن دوزى هو أول من رأى هذا الرأى، (مجلة البحث العلمي ع . ٣ ، س، ١).

لي: وهو تصغير حوت مؤنث على عرف أهل ثغور شرق الأندلس وما صاقبها من البلاد كبلنسية وأنظارها التي منها أندة موضع سلف بني حوط الله، وتدريج ذلك أنهم يقولون للحوت والعود ونحوهما: الحَوت والعَود بفتح الحاء والعين. وينطقون بالتاء المعلوة طاء فيقولون في الحوت: الحوط ... ويلحقون الأسماء المصغرة في آخرها لامًا مشددة مضمومة في المذكر، ومفتوحة في المؤنث وهاءً ساكنة، فيقولون في حوت مذكرًا: حوطله، وفي حوت مؤنثا: حوطله[1] "وهذا الشرح الذي نقله ابن عبد الملك عن ابن المرحل المالقي السبتي يدل على إلمام هذا النحوي العربي المشهور بقواعد النحو الإسباني القديم.

كما أن الألفاظ العربية نفسها اكتسبت في الاستعمال العامي معاني جديدة لم تكن لها في أصل الوضع، وظهرت مصطلحات خاصة وكنايات جديدة، فهم على سبيل المثال يقولون:

فُلانة في قَميصها : للحائض .

نَمْشِي لجَولة. كناية عن قضاء الحاجة.

قَصير الرَّقَبة : للكافر بالنعمة .

جَبَّاد رَسن . كناية عن القواد .

مِنْ بَاب لبَابْ . كناية عن السائل .

طَالبْ عافية . كناية عن المسالم .

نِعَدَّلْ اجْنَابُ . كناية عن الضرب والتأديب .

مِنْ عَرض الفَحْص . أي بلا سبب[2]

ونحن نجد كثيرًا من هذه الكنايات والاستعمالات الخاصة بهم في الأمثال وغيرها [3] .

٣-البربرية، ومن الطبيعي أن يكون لها تأثير ما في العامية الأندلسية لأن البربر كانوا يؤلفون قسمًا كبيرًا من

(١) الذيل والتكملة١: ٣٥ (مخطوط الخزانة الملكية بالرباط) ، وبغية الوعاة :٢: ٤٤ نقلا عنه.

(٢) انظر Voc على الترتيب :٤٧٤، ٤٧٧، ٤٣١، ٤٥٤، ٥٠٦، ٥١٧، ٥٨١ . .

(٣) نذكر من صور توسعهم فى الاستعمال أنهم يستعملون فعل (قام)-على سبيل المثال-بمعنى (ثار) ، كما فى هذا المثل: قام قوم سو،وديروا راى سو رقم (١٧٨٧)وكما جاء فى السميسر : وجب القيام عليهم إذا بالنصارى قمتم

سكان الأندلس، وكان تأثيرهم فيها من حيث النطق كما أشار إلى ذلك ابن حزم في النص السابق، ويبدو أن بعض التراكيب الخاصة في أسلوب العامية الأندلسية هي من أثر استعمال البربر والعجم للعربية وتكلمهم بها، وقد دخلت طائفة من الكلمات البربرية إلى عامية الأندلس مثل أدغض أي اللبأ وأكدل أي المخصرة وكرانة أي الضفدع[1] وأسمس للمأدبة،وتمغرة كذلك، وتفرمه للباز[2] ومن الكلمات البربرية التي استعملها ابن قزمان مرارًا كلمة: قليد أو إقليد بمعنى أمير كقوله (زجل ٧٤) .

مَحْبُوبي فالمِلاَحْ قلَيّدْ
والنَّاسُ عَبيدْ

وكذلك كلمة "أشكدْ " وهي فعل أمر بمعنى تعال وأقبل،و"أرول " بمعنى اذهب ونجدهما مستعملتين في أزجال ابن قزمان كقوله (زجل ٤١) :

يهْرب النَّحس مِني عَام مَتَى ما قل : أرْوَلْ
وترى السَّعْد مقبل متَى ما قِل : أشْكِد:

وكلمة " أر"وهي فعل أمر معناه : هات، كقول ابن قزمان : (الزجل في الأندلس : ٨٨)

أرّقط ومُد يَدَك إنّي قَد مدَدْت أنا يَد .
فاشَد ما عَلَى مَنْ يُمَاطِل أوْ يمحِج .

وهذا الفعل مستعمل بكثرة في العامية المغربية ولكن بتخفيف الراء لا بتشديدها كما يضبط فى الأزجال الأندلسية كما نجد عنده: افكِيّي أي

=وكما فى هذه الحكاية التى رواها المقرى وهى أن سليمان بن المرتضى الأموى مر يومًا بالمضحك المشهور بالزرافة "وقد أوقف...وجعل يقول له:ماذا رأيت فى القيام فى هذا الزمان ؟ أما رأيت كل ملك قام كيف خلع وقتل؟ والله إنك سيّء الرأى فقال له سليمان:وبم لبت هذا الثائر ؟ فقال : يا مولاى، بصفته : القائم! " ومثل هذا الاستعمال عند الآندلسيين قد يخفى على بعض المشتغلين بتراثهم، وفقد علق بعضهم على هذه العبارة لابن الآبار فى التكملة :" وانتقل عن بلنسية مصروفًا بالقائم فيها على واليها " بما يلى : " أى بالوصى عليه القائم بأمره! " .

(١) ألفاظ مغربية : ١٤٠ ، ١٤٤ ،٣٠٨ .

(٢) Voc ٣١٨ ، ٢٠٤ .

أعطني، وأسلو، وهو اسم لطعام ما يزال معروفا ويبدو أن استعمال ابن قزمان لهذه الكلمات كان من قبيل التظرف أو التحبب إلى ممدوحيه من المرابطين .

ومن الكلمات البربرية التي وجدناها في الأمثال قولهم :" هراكس" أي تعال (ص١٥٦)و " ترخص " أي البيسارة (ص٢٣٨)و " أغلال " (ص١٢٤) . ولكن تأثير العجمية والبربرية في العربية لا يقارن بتأثيرها الكبير فيهما وهو ليس من موضوعنا هنا .

وبعد هذا التمهيد نقدم فيما يلي عرضًا سريعًا لبعض القواعد العامة في اللهجة الأندلسية من خلال الأمثال.

التنوين : " يجعلون كل منون منصوبًا أبدًا، ويكتبون اللفظة بمفردها مجردة من التنوين ويكتبون بعدها ألفا ونونا مثل أن يكتبوا "رجلاً " على هذه الصورة :" رجل ان "[1] هذه قاعدة استنبطها صفي الدين الحلي من قراءته للأزجال ، وهي بارزة في الأمثال أيضا، ورسم التنوين بالألف والنون نراه في المعاجم الأندلسية مثل المعجم المنسوب إلى رمند مرتين القطلوني[2] ومعجم بطرس القلعي[3]، وكذلك في بعض الوثائق المدونة بالعامية مثل الوثيقة الغرناطية التي نشرها الأستاذ كولان[4]، ويدل ذلك على أن هذا التنوين المفتوح كان مستعملا في كلام الأندلسيين؛ العادي وليس في الأزجال والأمثال فحسب ، وهذا النوع من التنوين الذي يرسم بالألف والنون يقع في الأمثال دائما بين نعت ومنعوت كل منهما نكرة سواء كان النعت مفردًا وهو الغالب كما في هذه الأمثال :

كَلَام انْ كثير في حَاجَة انْ يَسير. (رقم ١١٢٣)

قرْدان مُهَاودْ أخْيَر مِنْ غزَال انْ

---

(١) العاطل الحالي : ١٨

(٢) انظر على سبيل المثال Voc ص ٢١٩.

(٣) انظر على سبيل المثال الكالا:٢٣، ٤٢ ، ٢/٤٥، ٣/٣٣٢ .

(٤) نشرت في المجلد الثالث من مجلة Islamica بعنوان: Sur une charte hispano – arabe de 1312

شَرود . (رقم ١٨٠٢)

بَحَلْ زَفْ انْ ناقِصْ علَى حِمَارة انْ عَرْجَ . (رقم ٦٣٧)

أو جملة كما في هذين المثلين :

الرَّقْصْ قُدَّام العُمي مجهودانْ لا يُرى عَمَلُ (رقم ٣٢٩)

جُوعَ انْ تُهَدّدْ بالشَّبَعْ لسْ جُوعْ .

(رقم ٧٧٥)

وهو مفتوح دائما سواء كان الإعراب – على فرضه – يقتضي ذلك كما في هذا المثل :

مَنْ طَلَبْ دَيْن انْ قَديمْ طَلَب شَرًّ انْ جَديدْ (رقم ١٣٨٢)

أم لا، وقد يدغم الحرف المنون في مثله فلا تبدو " ان " هذه كما في المثل التالي:

مَال الاَّ يَراهْ سيدُ الله لس يريدُ .

(رقم ١٣٢٩)

والأصل حسب اصطلاحهم : مال ان لا يراه ... ، وهذا التنوين يلحق الأسماء المنكرة فى حالة الإفراد كما تقدم وفي حالة الجمع، ومثال ذلك :

أشيات ان اخر. أي أشياء أخرى . (الكالا : ٣-٣٣٢) لأنهم يجمعون كلمة (شيء) على أشيات كما في قول ابن قزمان (الزجل في الأندلس: ٧١):

والرَّبض لاَ شُيوخْ ولاَ حُجَّاجْ
وأرامِلْ مِلاح بِلاَ أزْواج
ويَجُونِ طُولَ النَّهار عن حَاجْ
وأشْيَات لِسْ يَنْبَغِي أنْ تُقَال

فهل هذا التنوين المفتوح دائما بقية من بقايا الإعراب في العامية ؟ أو هو من آثار إحدى اللهجات العربية الجنوبية القديمة ؟ أو أنه ليس سوى ضرب من التفصح العامي؟ ومهما يكن فإننا نجد ظاهرة التنوين المفتوح هذه في أمثال الشام كقولهم فيما رواه نعوم شقير (ص ٢٨) :

شَرطا في الحَقْلة ولا قِتالاً عالبَيْدَرْ

وهو كثير في الأمثال العامية السودانية كقولهم :

فُلان فارسًا أعْمى يصُد الخيل وحْده.

كَلْبًا ما تَسْعَاه عِند القَنيصْ ما بتلقَاهْ .

قَلْبا بالمَوَاصِي ، نَاسِي[1].

وذكر الأستاذ عبد المجيد عابدين في كتابه عن اللهجات السودانية أن هذا التنوين " ظاهرة عامة في كلامهم في الشعر والنثر[2] " ويوجد التنوين في أمثال بعض البلدان العربية الأخرى كمصر[1] ونجد [2] ولكنه مكسور دائما، أما في العامية المغربية فلا يوجد التنوين في الكلام الجارى ولكنه يوجد في الشعر الملحون .

الإمالة : جاء في الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي في ترجمة ابن الرجاني ما يلي :" وبعضهم يكتبه الرجيني باعتبار إفراط الإمالة المستحكمة في لسان أهل الأندلس[3]" ووصف ابن الخطيب في الإحاطة ألسنة أهل غرناطة بالفصاحة العربية وقال : (وتغلب عليهم الإمالة"[4]) ونجد في مقامة" طرفة الظريف، في أهل الجزيرة وطريف" لعبد العزيز الملزوزي وصفًا حيًّا لغلبة الإمالة على ألسنة أهل الجزيرة الخضراء فهو يلاحظ - في جملة ما يلاحظ- أنه " قد رجع سلامهم سليمًا،وكلامهم كليمًا، فقس على ذلك تصب ، فإنه على ذلك المنهاج نصب" وقد راعه أنهم يقرؤون القرآن بإمالتهم الشديدة تلك، قال: ومن غريب ما اتفق لي فيها (أي في الجزيرة الخضراء)، حين كنت أوافيها، أني مررت بإمام يصلي بالناس، وهو يقرأ" قل أعوذ برب الناس" :

قد بدّل "الوَسْواس" بالوَسْويس
وكذلك "الخنَّاس" بالخَنِّيس
وكذلك بدّل آية في آيةٍ
حتَّى " يوسْوِس في صُدور النِّيس "

فأمهلته ريثما أتم صلاته وقراءته ، ولبس عباءته وملاءته فابتدأته بأشد

(١) نعوم شقير، أمثال العوام في مصر والسودان والشام:١٢٨-١٢٩ وانظر أمثلة أخرى في ص١٣٠.

(٢) من أصول اللهجات العربية فى السودان:٩٦.

(٣) الذيل والتكملة : ٦ : ١٥٣(مخطوط باريس)

(٤) الإحاطة : ١ : ١٤٠ (ط. دار المعارف)

العتاب ، وقلت له لم بدلت الكتاب؟ وإثمه على الذين يبدلونه ، ووزره عليهم يحملونه ، فأقسم أنه قرأه كذلك على قراء عصره، وإن تلك لغة أهل عدوته ومصره، فقلت .

يا أهْلَ أندلسٍ مالي رأيْتُكم
أحدثتم في كتاب الله ألحانا
نَبذْ تُموه وبدَّلْتُم مَعَانِيَه
عمًّا بمصْحف عُثْمانَ بن عفَّانا
صلُّوا الصَّلاة ولا ... بها سُوَرًا
فقَدْ رددتم على ... فُرقانا
بدَّلْتم القول حتى قول خالقِنا
لقَدْ أتيتُم لعمرُ الله بُهانا
وإنْ دَعَوتم لَحَنْتم في دُعائكُمُ
فكيفَ تَسْتوهبُون الدَّهْرَ غُفرانا
ربُّ العباد غنيٌّ عنْ دُعائكم
ونحنُ أيضا عن التأمين أغنانا

ثم يسوق بعد هذا نوادر ركبها مما كان يسمع في كلام المتحاكمين في مجلس القاضي ابن عذرة قاضي الجزيرة الخضراء ، ومدارها على الاختلاف بينه وبين القاضي المذكور في الحكم بين المتقاضين بسبب الإمالة الواقعة في كلامهم ؛ إذ كان الملزوزي يأخذ بظاهر اللفظ فيحكم بناء عليه، ويرده ابن عذرة العارف بكلام أهل بلده إلى الصواب ، فهذا متداع يتوجه إلى القاضي قائلا :

لي عند هذا يا بن عذرة ميل
والميل ميلي ساقه الحَميل

وهذا آخر يقول :

ألاَ قُلْ لابن عُذرة يا فقيها
حَمَى أحكامَهُ وحَوَى العُلوما
فُديتَ أصَابَ لي هذا حَميما
فخلَّفه صريعا لَنْ يقُوما

ومهما يكن ما في هذه النصوص الواردة في هذه المقامة من عناصر الهزل فإنها ذات دلالات واضحة في طبيعة الإمالة في الأندلس .

وقد ظلت هذه الظاهرة من السمات المميزة للأندلسيين المهاجرين – بعد الجلاء – إلى المغرب . جاء في

ترجمة سيدي فرج الأندلسي المكناسي الدار (القرن العاشر) من كتاب دوحة الناشر(٥٦-٦٠) أنه كانت " تغلب عليه الإمالة، شأن كلام الأندلس في ألسنتهم "، وما لاحظه ابن عبد الملك وابن الخطيب وابن عسكر تؤيده النصوص ، ففي أمثال الزجالي وأمثال ابن عاصم نجد هذه الإمالة المفرطة التي تصبح فيها الألف ياء، وفيما يلي أمثلة منها في أمثال الزجالي مع الإشارة إلى صفحات النص : رسميل =رسمال(ص١٥) تريه = تراه (ص ٢٤) جي = جا(ص ١٥٤) حين = حان (ص ١٨٣) سينية = سانية (ص٣٥٠) ومما ورد من ذلك فى أمثال ابن عاصم مع الإشارة إلى أرقام الأمثال : بيب = باب(رقم ٦٤٠) قزيز = قزّاز (رقم ٧٥٧) المكين = المكان (رقم ٥٥٣) فدين = فدان (رقم ٥٤٥) كينت = كانت (رقم ١٩٧) القيدوم = القادوم (رقم٧٦٢).

كما أن معاجم اللهجة الأندلسية والوثائق المدونة بها تبين بوضوح مدى انتشار الإمالة في العامية الأندلسية ، ولا سيما معجم بطرس القلعي حيث الكلمات تكتب بحروف لاتينية[1] ويكفي أن نشير هنا إلى أن عدداً كبيرًا من أسماء الأماكن وغيرها تكتب في اللغة الإسبانية بصورة الإمالة ، فمن ذلك : باجة Beja جيان Jaen دانية Denia لاردة lerid بجانة pechina ومن الكلمات العربية المنتقلة إلى الإسبانية بصيغة الإمالة نذكر : السانية aceña والساقية acequia [2]

- لا وجود لهمزة المضارعة في العامية الأندلسية، فهم يستعملون النون

(١) مثل nic ,mil ,bib أي باب ، مال ، ناس انظر : ALC،٢٦٦،٢٧٢،٣٥٩ وانظر أيضًا مبحث الإمالة عند STEIGER ص ٦٢ و ص ٣١٤ وما بعدهما .

(٢) انظر قائمة بالألفاظ الممالة المستخرجة من,Alc.Voc عندSTEIGER من ص ٣١٤إلى=

للمتكلم المفرد كما تستعمل للمتكلم ومعه غيره مع التفريق بينهما بزيادة الواو في الحالة الأخيرة ، وقد ورد هذا الاستعمال كثيرا في الأمثال والأزجال، وفيما يلي أمثلة منه في أمثال الزجالي مع الإشارة إلى صفحات النص : نخذ = نأخذ = آخذ (ص ١٩) نصوب = أصوب (ص٢٢) أنا نعلم = أنا أعلمه (ص٢٧) أنا نبخرها = أنا أبخرها (ص٢٧) أنا نرش =أنا أرش (ص٢٧) أنا نطلقها = أنا أطلقها (ص ٢٧) أنا نسميه = أنا أسميه (ص ٢٨) ونكون أنا = وأكون أنا (ص ٢٣٠)

أما في حالة المتكلم ومعه غيره فيلحق بآخره واو الجماعة للتمييز بينهما كما في المثل التالي :

نَحن نَقْرَوْا ولس نَفْلَاحْ كَيْفَ لَوْ غنّينَ (رقم ١٥٥١)

ونجد هذا الاستعمال العامي يتسرب أحيانًا إلى أقلام بعض المؤلفين الأندلسيين، كما نرى في كتاب التبيان للأمير عبد الله بن بلقين ، ومن أمثلة ذلك فيه:"وكنت مع هذا نأمر أهلها بالرفق"(ص ٨٩)"ولو أني نأمن مكره لأعلمته بالحال " (ص١١٥) " فراجعته

= ص ٣٣٢ويفهم مما ذكره صاحبه طرفة الظريف ودوحة الناشر أن الإمالة لم تكن معروفة في لهجات أهل المغرب أو في معظمها، ولكن اليوسي لاحظ مظهرا من مظاهر الإمالة في شمال المغرب عند أهل جبال الزبيب وجبل العلم فذكر أن أهل هذه الجبال يكسرون الفتحة بعدها ألف، قال : "من جملة ما اتفق لي في هذه السفرة إلى جبال الزبيب وسفرات أخرى لزيارة الشيخ عبد السلام رضي الله عنه أني سمعت لغة لأهل تلك الجبال : يكسرون آخر الموقوف عليه فتتبعتها استقراء فوجدتها لها ضابط، وقد رأيت غيرهم من أهل الآفاق يسمعون عنهم ذلك فيحكونه على غير وجه وينسبون إليهم ما لا يقولون جهلا منهم بضوابطه، فإنهم لا يكسرون إلا الفتحة بعدها ألف: أما ألف المقصورة كالدنيا أو الممدودة كالسماء والطلباء والشرفاء أو الأصلية كالماء أو المقلوبة عن هاء التأنيث في مجرى العرف كالبقرة والشجرةوالصحفة فإن العوام من غيرهم يقولون في الوقف على هذه البقرا والشجرا بألف وهؤلاء يكسرون فيقولون : البقري والشجري وتنقلب الألف ياء " .

نعلمه بحاجتي إلى ثمنه" (١٦١) .

وما يزال هذا الاستعمال موجودا في اللهجات المغربية عمومًا، وهو مما يميزها عن لهجات المشرق[١]، ويوجد هذا الاستعمال في لهجة السودان ، وهو من تأثير لهجات المغرب[٢] وهو موجود أيضا في الإسكندرية .

–حرف الجر: في: يرد في الغالب متصلا بالمجرور بعد حذف حرف الياء منه وفتح الفاء، مثال ذلك المثل :

رِجْل فَالجَبَلْ أخَيَر مِنْ رِجْلْ فَالكَبَل .

(رقم ٩٨١)

أي رِجْل في الجبل خير من رِجل في الكبل، وهذا كثير في الأمثال والأزجال .

– تتميز العامية الأندلسية – ومثلها العامية المغربية – بزيادة كاف في أول الفعل المضارع، فيقال في: يكتب، مثلا : كيكتب ، ومثال ذلك في الأمثال.

حَقّ لِسْ نُعْطَى ، عِيَار القَفّ كنطلب

(رقم ٨١١)

لَوْ أردْنَ مَنْ ذا الحَشِيشْ، كنّملُوا قُفّ وبَلَيِّشْ (رقم ١٢٣٥)

سَمعَتْ بِنْت السُّلْطَان السَّاعي يَسْعَى ، قَالَتْ : كِتّعْمَلْ شَبَاتْ بِشَحَمْ .

(رقم ١٨٤٥ م)

أرْنَبْ تَكُل لَحَم؟ قَالْ : ياعَلَى بجَلْدي كِنّخلصْ (ابن عاصم رقم ٢٦٧)

وهذه الكاف (أو التاء أحيانا) مطردة في العامية المغربية مثل الباء والحاء اللتين تزادان في أول المضارع في العامية المصرية. أما في العامية الأندلسية لقد لاحظنا أنها غير مطردة، ولكنها ترد أحيانًا كما نرى فى الأمثال والأزجال ، وقد تنبه لهذه الكاف صفي الدين الحلي فى الفصل الذى عقده لبعض قواعد الاستعمال فى الأزجال الأندلسية من كتابه العاطل الحالى

(١) انظر الجمانة في إزالة الرطانة :٣٠ ، ٣١ ، ٤٠ .

(٢) عبد المجيد عابدين: من أصول اللهجات العربية في السودان : ٧٤ .

فقال:" ومنها إقامة الحرف الواحد مقام كلمة فيقيمون الكاف مقام كان التي ترفع الاسم وتنصب الخبر[1] " قال : "والأمثلة في ذلك كثيرة : ثم ساق في ذلك أمثلة عديدة ، ومما مثل به قول مدغليس :

وكِنَّحْلَف أنْ لا نَعْشَقْ أبَدا .

قال : يريد " وكنا نحلف " ولكن هذا التأويل الذي ذهب إليه الصفي الحلي يجعل وظيفة هذه الكاف هي الدلالة على عمل الفعل في الزمن الماضي، في حين أن وظيفتها في الاستعمال المغربي هي تخليص المضارع للدلالة على الحال فقط، والذي نراه من الأمثلة السابقة أنها تدل على الحال لا على الماضي ، وفي معجم الراهب رمند مرتين نراه يرسم هذه الكاف منفصلة في أثناء تصاريف الأفعال إشارة إلى أنها تدخل عليها ، ومهما يكن فإن هذه الكاف الشائعة في عامية المغرب لها أصل قديم في العامية الأندلسية .

- ذكر الزبيدي أن عامة الأندلس يقولون فيما كان من الأفعال الثلاثية المعتلة العين مما لم يُسمَّ فاعله، بإلحاق الألف ويبنونه على أفعل نحو، أبيع الثوب ، وأقيم على الرجل ، وأخيف ، وأدير به، وأسير به. والصواب في هذا إسقاط الألف فتقول: بيع الثوب وخيف الرجل ، وديـر به ، وقيم عليه، وسير به[2] "وقد وجدنا أمثلة من هذا الذي ذكره الزبيدي في أمثالهم ، ومن ذلك قولهم: فُضُولْ سَوْدَ فى جَنِيزَ ، مَشَتْ يِعَزّي أبِيعت في الأكْفَان (رقم١٧٤٣) والشاهد فيه: أبيعت في الأكفان أي بيعت. وقد كثر في الأمثال استعمال : أقيل ، في موضع قيل،

(١) العاطل الحالي : ٤٧ .

(٢) لحن العوام : ٢٠٤. تحقيق د . رمضان عبد التواب، وكتاب لحن العامة : ١٠٩ تأليف د.عبد العزيز مطر .

ومنه المثل .

إذا أَقِلَّكْ حِمارْ ، اسْتَخِير الله وانْـهَقْ .

(رقم ٣٤) وأصلها : إذا أقيل لـك أي إذا قيل لك.. وكذلك في المثـل: أقـل لجحا: لس تجلس قدام الفرن..(رقم ٢) فهي في هذا المثل ونحوه : أقيـل أي قيل بزيـادة الألـف التـي ذكرهـا الزبيدي[1].

ويفهـم مـن هـذا أن المبنـي للمجهول من الثلاثي كان مستعملا فـي العامية الأندلسية، وذلك ما نجـد لـه أمثلة أخرى فـي الأمثـال كقولـهم :

البَـالي يَنْبَـعْ، والجَديـدْ يُرفَـعْ .

(رقم ١٥٤)

العروسَ في الكُرسِي ، ولس يُدْرا لِمَنْ هِي. (رقم ٢١٠)

لِسْ يُعَلَّم اليتيم البكا (رقم ١١٧٣)

لِس يُعْمَل مِنْ فُولة ان وَحِدَ ترخص .

(رقم ١٢١١)

قدرة الزِّفْت مَا يُطْبَخ فيها مُعَسَّلْ .

(رقم ١٨٢٢)

أما في عاميـة المشـرق فيبـدو أن المبني للمجهول فقد منها منـذ زمـن قديم وحل محله صيغة " انفعل " جـاء في "سهم الألحاظ في وهم الألفـاظ " لابن الجنبلي :" ومن ذلـك قولـهم : انحفظ وانقرأ وانكتب، ففـى ديباجـة كتاب الانفعال للإمـام الصاغـانى أن انحفظ وانقـرأ وانكتـب مسـتحدث استحدثه المولدون[2] .

- تسوى العامية الأندلسيـة في فعـل الأمر بين المذكر والمؤنث ، ومـن الأمثلة علـى ذلـك فـي أمثـال الأندلسيين:

- عزيزْ : قُمْ رَحِّلْ ، قالت : اصْـبَرْ نخُذْ نحْي مـن الحَيـط ! (رقـم ١٦٣٨)

- من الظواهر الصوتية في العاميـة الأندلسية إطالة الحركـات حتـي تصير الفتحـة ألفًا والضمـة واوًا

---

(١) انظر الأمثال رقم ٦٣ و٦٥ و٧٣ و٧٤ و٧٥ و٧٦ .

(٢) نقلا عن كتاب : لحن العامة والتطور اللغوي للدكتور رمضان عبد التواب ص ٢٩٩ .

والكسرة ياء ، وقد نص الزبيدي على هذا في كتابه لحن العوام وساق أمثلة عديدة منها : قادوم وقطاع في قادوم وقطع ، وعوش في عش ، وطيراز وتيلاد وثيمار في طراز وتلاد وثمار، ويقول الزبيدي : " وقد أولعت العامة بإقحام الياء[1] " كما أن ابن حزم أشار إلى هذا في فقرته المقتضبة في العامية الأندلسية التي ذكرناها فيما سبق . ونحن نجد هذه الظاهرة في لغة الأمثال ، وفيما يلي أمثلة منها مع الإشارة إلى صفحات النص :

بساط = بسطه (ص ٩٠) وساط= وسطه (ص٩٠)

في أصباعك =في أصبعك (ص٩٤) يحضار= يحضر (ص١١٥) نعلش = نعش (ص١٢٠)مغراف= مغرف (ص١٣٣) مايلباس = ما يلبسون (ص١٤٧) نعمال = نعمل (ص١٥٢) رجاع = رجعوا (ص١٩٠=١٩١) لا يمور= لايمر (ص ١٤٥) ماعك - معك (ص٢٦٢،٢٤٥) ماع = معه (ص٢٥٤، ٢٧٠،٢٧٦) قطاع = قطع (ص٦٩، ٣٣٨،٢٤٤،٧٠) وقد لاحظ صفي الدين الحلي أيضًا في دراسته الأزجال" إشباع الحركات الثلاث حتى ينشأ عنها حرف يناسبها" وأتى بأمثلة عديدة من الأزجال الأندلسية [2] وذكر السكوني أنهم كانوا يقولون في التكبير:

الله أكبار : بزيادة ألف بعد الباء، قال: وذلك لا يجوز، لأنه جمع كبر ، وهو طبل صغير .

-حافظت العامية الأندلسية على الحروف اللثوية أو حروف ما بين الأسنان interdentales وهي الثاء والذال والظاء وفي كل من أمثال

(١) لحن العوام : ٧٦ ، وانظر د . عبد العزيز مطر ، لحن العامة ... : ١٠٧ – ١٠٨ .

(٢) العاطل الحالي : ٣٩ وما بعدها . وتجدر الإشارة هنا إلى أنه لا وجود لإطالة الحركات في العامية المغربية إلا في كلمة أو كلمتين هما : علام = علم ، سلوم = سلم . انظر مقالة للأستاذ كولان في مجلة " هسبيريس " ١٩٣٠ ص ١٠٦-١٠٧.

الزجالي القرطبية وأمثال ابن عاصم الغرناطية أبواب للأمثال المبدوءة بهذه الحروف .

-حافظت العامية الأندلسية على فصاحة بعض الأبنية والصيغ ، ومن أمثلة ذلك المحافظة على كسر عين اسم الفاعل في مثل:

زايد، ناقِصْ ، جالِسْ ، واقِفْ ...إلخ .

في حين أن الفتح هو الشائع – منذ أيام الموحدين – في العامية المغربية ما خلا لهجة جبالة[1]

-حافظت على الهمزة من صيغة "أفعل " في مثل :

أفْقَرْ من ... إلخ[2]

وفي مثل :

أبيض ، أحمر ، أزرق[3] ...إلخ .

في حين أن الهمزة في مثل ما ذكرنا لا وجود لها في النطق المغربي الحالي .

-يشيع في النطق الأندلسي تحريك العين الساكنة في صيغ فَعْل فِعْل فُعْل مثل[4]:

ظَهَر ، رِجَلْ ، قُفَلْ . في العامية الأندلسية صور من الحذف والترخيم في أواخر الكلم ، فكلمة (أين) تنطق وترسم(أى) بحذف النون، ومثال ذلك:

أيْ هي رُكْبَتها ، ثَمَّ ، هِي ثقبَتْها . (رقم١٢٢) أي هُو عيْنَكْ ، ثم هُو يد غيرَكْ (رقم ٢٧٠)

يَا تُرى يَاكَبْشِي ، أي تَرْعَى أو أيْ

---

(١) نجد هذا الفرق وغيره في ضبط أمثال الزجالي من نسخ "ريّ الاوام" فالضبط في النسخة القديمة التي نرمز لها بحرف (م) حسب النطق الأندلسي، أما في النسختين المحدثتين: س، ع فهو جار على النطق المغربي ، وكذلك الشأن فيما وقفنا عليه من نسخ " الحدائق" لابن عاصم الغرناطي . .

(٢) انظر ما يتمثل به العوام على أفعل من ... في القسم الثاني من ص ١٠٨إلى ص ١١٨.

(٣) انظر القسم الثاني : ١٢٠-١٢١ وكذلك جدول STEIGER: ٩٨-٩٩ .

(٤) على هذا ضبط النسخة التي نرمز لها بحرف(م)، وانظر أيضا جدول STEIGER: ٨٩ - ٩٠

تَمْشِي؟ (رقم ٢١١٥)

ويكثر حذف النون هذه في المثنى خصوصًا في صيغ الأمثال، كما رواها ابن عاصم، ومن ذلك مايلي :

نَكُونُوا نَفْسَيْ، نَسِيرُ صَفَّيْ .

(رقم ٦٦٧)

خُبْزَ المَقِيت : مرَّتَيْ يُكَل. (رقم ٣٨٩)

نفسي فَالقارِبْ، قَال: مَنْ سَرَق القيدوم (رقم ٧٦٢)

نَفْسَي عَلَى الحاجَ : صاحبِ المَتَاعْ .

(رقم٧٦٣)

مَنْ اشْتَغَل بوتَدَيْ : واحِد يسع في سَوَّةْ. (رقم ٦٩٨)

الفُولْ إذا نَوَّرْ ، شَهْرَيْ يدَوَّرْ .

(رقم٢٠٤)

فقد حذفت نون المثنى في هذه الأمثال في كل من : نفسين ، صفين ، مرتين ، نفسين ، نفسين، بوتدين ، شهرين[1]. ويبدو أنهم كانوا يجرون هذا الحذف في الأسماء المختومة بياء ونون حتى ولولم تكن للتثنية ، فقد ذكر مؤلف الجمانة في إزالة الرطانة أنهم يقولون : النسرى أي النسرين، والجني أي الجنين[2] ، ومن صور هذا الترخيم قولهم في متاع: متا . وفي قدر: قد ، وهذا كثير في الأمثال كقولهم :

كَمْ تَكُل؟قَالْ : مِنْ مَتَى مَن؟

(رقم١١٢٦)

أي من متاع من ، وقولهم :

شَبَرْ وعَقَدْ مِنْ قَدْ مَتى كُل أحَدْ

(رقم١٨٩٣)

أي من قدر متاع كل أحد.ومن أمثلة ذلك أيضا في أمثال ابن عاصم قولهم:

---

(١) نجد ظاهرة حذف نون المثنى بدون إضافة نحو مائتي بدلاً من مائتين وبيتى بدلاً من بيتين في نصوص العامية المصرية القديمة كما تشهد بذلك وثائق البردى ولعل الأصل في ذلك كله تلك اللهجة العربية القديمة التي يشار إليها في بعض كتب النحو ، ومن أمثلتها المثل: بيضك ثنتا وبيضى مائتا . وقول الشاعر :

هما خطتا : إما أسار ومنة وإما دم والقتل بالحر أجود

(٢) الجمانة : ٣٢ ، ٣٤ .

أشْ يَرَى الأحْدَب حَدبةُ إلى متا غيرُ. (رقم١٠٣).

ارحمَنْي وارْحَم جَارتي مَتَا السَّاحِلْ . (رقم٢٥٧)

كَلاَمَ الحَبِيبْ يبَكّي ومَتى العَدو يضَحَّكْ. (رقم ٦٠٠)

ومن ذلك قولهم في الساعة : السا ، كقول ابن قزمان :

تَعْرفْ اسْمَاها لاسَّا يقُل لَكْ لاَ .

فقوله: السا ، يريد الساعة . قال الصفي الحلي :" وقد تداولوا هذه اللفظة كثيرًا في أزجالهم[1] ". ويبدو أن مثل هذا الترخيم كان شائعا عندهم فإننا نجد ابن قزمان أيضا يقول في عازب : عازي ، وذلك قوله في مطلع أحد أزجاله : (زجل ٢١) :

صرت عَازي وكَانْ لعَمْرى صواب
لِسْ نَزَوَّجْ حتَّى يشيب الغراب

ومن ذلك أيضًا ما ذكره الزبيدي من أنهم يقولون للجلد الذي يبسط للطعام وغيره: " نطا" يريدون:"نطع" =[2] وقد يكون الحذف في وسط الكلمة كقولهم: تدأي تريد[3] ، و"تيدك " أي تريدك ، كما في المثل :

العُوَيْنِيتَ الذي تيدَك : مِنْ بَعِيد تضْحَك لَكْ .(ابن عاصم رقم ١٩٦)

أي العيون التي تريدك تضحك لك من بعيد وأبرز صور هذا الحذف ما ذكره ابن حزم من أنهم كانوا يقولون في ثلاثة دنانير: ثلثدا[4]

ومن هذا القبيل قولهم في الاستفهام أو النفي: أش . وأصلها: أي شيء كما

---

(١) العاطل الحالي : ٥٠ -٥١. وتجدر الإشارة إلى أن أهل مالطة لا ينطقون بالعين إذا وقعت في آخر الكلمة ، مثل تلا = طلع ، وقلا = قلع . انظر : الورقات للأستاذ ح.ح. عبد الوهاب ج٣ ص ١٢٧.

(٢) لحن العوام : ٢٤.

(٣) الأمثال أرقام ٣٤٥ ، ٣٤٦ ،٣٤٧ عند ابن عاصم .

(٤) الأحكام ١ : ٣٢.

في هذا المثل :

أشْ فَالكُفر من لذَة .

أي ماذا في الكفر .. أو ليس في الكفر ..، وهي ترد خالصة للنفي في كثير من الأمثال التي رواها ابن عاصم ، وتتصل أش بغيرها كما في المثل : اشْما لاَ يُدْرا ؟ قال: مَالاَ يُضْمَرْ . (رقم ٧١) فأشما: أي شيء ما[1] وكقولهم في السؤال مطلقا أو في السؤال عن العدد أو المسافة : أشحل وأشحال . وأصلها: أي شيء حال . ومن أمثلة استعمالها في الأمثال قولهم:

أشْحَل بَيْنِي وبَيْن السما ؟ (رقم ٩٣)

فهي هنا بمعنى كم، وفي العامية المغربية يقال في السؤال عن الثمن : بشحال أي بكم ، وأصلها : بأي شيء حال ... [2]ونجد أش هذه متصلة بأفعال وأسماء كقولهم:

أشْتَعْمَل الكَيْسُ فالبَيْت الفارغْ

(رقم٢١٢)

فأشتعمل : ما تعمل ، وقد ورد هذا المثل معربا في رسالة الشقندي كما يلي : " وهب أنه كان يكون لكم مثله، فما تصنع الكيسة في البيت الفارغ[3]" ومن أمثلة ذلك أيضا : أشترقع = ماترقع أو ماذا ترقع؟ (ص ٥٨ في النص) وأشيقل = ماذا يقال له؟ (ص ٥٩) وأشجلاس = ما جلوسه؟ (ص٢٨٨) وأشكندخلن = من أدخلني؟ (ص٤٣) . ومثل أش : عاش أو علش = على أي شيء؟ (ص١٥، ٣١٤)وهي تستعمل بمعنى لماذا، وبش= بأي شيء؟ (ص٣١٥،٣٨٣) وقد وردت في Voc وضع بماذا ولكى ولش = لأي شيء أي لماذا (ص٣١٥) وهذه الأخيرة مستعملة في معظم اللهجات العامية العربية منذ

---

(١) انظر استعمالها أيضًا فى المثلين رقم ١٥٥ ، ورقم ١٧٣ .

(٢) انظر استعمالها أيضا في المثلين رقم ١٥٧، ورقم ٢٣٥.

(٣) نفح الطيب ٤ : ١٨٢ .

زمن بعيد .

-ذكر الزبيدي أمثلة عديدة مما كان يقع على لسان العامة في الأندلس من قلب وإبدال بين الحروف ، وبلغ ما عدده في مواضع متفرقة من حالات القلب والإبدال نحو خمس عشرة حالة[1] وقد وجدنا بعض هذه الحالات في الأمثال ، فمن ذلك إبدالهم النون ميما في مثل قولهم: حلزوم أي حلزون [2] ، وقد ورد هذا في المثل التالي :

حَلزومْ لِسْ معها أيْ تَدورْ ، تَرْبَطْ فِي ذَنَبْهَا تورْ . (رقم ٨٠٧)

وإبدال التاء طاء كما في كلمة است التي نراها ترسم اسط في أمثال عديدة. وقد نقل ابن عبد الملك المراكشي أن أهل شرق الأندلس كانوا ينطقون التاء طاء فيقولون في حوت : حوط[3]. وكذلك نجدهم يقلبون الدال طاء في بعض الكلمات كما في المثل: "شِكَارةْ حَبْلسَ : يطَلّع فيها المُرْط للصُّمع . (رقم ١٨٩٠)

فالمرط = المرد جمع أمرد ، ومن ذلك أيضا إبدال الضاد دالا كما في يمدغ = يمضغ ، ومن هذا المثل:

حَنين أبي زُرَيْق : يَمْدغْ الحَلْوَ للصبيْان . (رقم ٨٠٦)

وهكذا تنطق الكلمة في المغرب أيضا. ومن إبدال القاف كافا والصاد سينا ما ورد في المثل التالي :

مَنْ ماعُ كرسَعَنَّ : الحَمَامْ تَتْبَاعَ" (رقم١٢٦١)

فكرسعن = قرصعنة . وهم يقولون : حك أي حق(٤) و"حكاك أي إحقاق(٥) وكفز أي قفز(٦) والكفز أي القفز(٧). ويبدو أن هذا من أثر القاف المعقودة

---

(١)انظر تصنيفاً لها في كتاب لحن العامة د. عبد العزيز مطر ص١٠٥ وما بعدها.

(٢) لحن العوام للزبيدي : ١٩٢.

(٣) الذيل والتكملة ١ : ٢٠ .

(٤) لحن العوام للزبيدي : ٦٨ .

(٥) انظر المثل رقم ٢٧٢.

(٦) المثل رقم ٣٧٣ ورقم ١١٤٨ ، ١١٥١ .

(٧) المثل رقم ١٨٠٦.

التي عُرِف بـها الأندلسيون. وقد وُصف أبو حيان في نفح الطيب بما يلي :" عبارته فصيحة بلغة الأندلس يعقد حرف القاف قريبا من الكاف ، على أنه لا ينطق بها في القرآن إلا فصيحة ، وسمعته يقول :

ما في هذه البلاد (يعنى مصر) من يعقد حرف القاف[1] " كما نجد هذا النص في سلوة الأنفاس :" فقال لهم هذا عربي قوي ، بالقاف القريبة من الكاف ،كما ينطق به أهل الأندلس[2]". وصاحب هذا النطق الموصوف هو العارف أبو الحسن علي صالح بن الأندلسى الغرناطي ..

-والتصغير من سمات العامية الأندلسية الواضحة ، ففي الأمثال والأزجال نلحظ شغف الأندلسيين وولعهم باستعمال التصغير في كلامهم، ونجد له مثالا قديمًا يرقى إلى أيام عبد الرحمن الأوسط، جاء في المُغرب لابن سعيد ١ : ١٢٥: " وذكر عبد الله بن الناصر في كتاب " العليل والقتيل" : أن الأمير عبد الرحمن قال يومًا لابن الشمر على الشراب : ما فعلت غُفَيرتك التي كانت جرداء قد صارت أخياطها كالعروق ؟ فقال : عملت منها لفائف لبُغَيْلك الأشهب "

وبلغ من استحكام التصغير في لسان أهل الأندلس أنهم يغفلون عن بعض ما يقتضيه الأدب الديني ، فقد انتقد عليهم السكوني الإشبيلي استعمال صيغة التصغير في مواطن لا يجوز فيها شرعًا . قال : "ويقول قائلهم : هذا مُصيحِف ، ومُسيجِد، ومكيتب ، وجويمع وما أشبه ذلك بالتصغير ، وكل ذلك لايجوز ، لأنه تصغير لما أمر الشرع بتعظيمه ، وكذلك ما كان من شعائر الله سبحانه . قال الله سبحانه : " ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ".

(١) نفح الطيب ٣ : ٢٩٥.

(٢) سلوة الأنفاس ٢ : ٢٠٩.

وما يزال الميل إلى تصغير الكلمات سمة بارزة في اللغة الإسبانية ولهجات المغرب العربي ، وهم يصغرون حتى الأشياء الصغيرة بطبيعتها ، فيقولون في عجلة : عُجَيْلَة وفي كِسرة : كُسَيرة ، كما في هذه الأمثال : بَحَلْ فُمْ اعجَيَّلْ بالرَّغوَ عَلِيهْ. (رقم ٦٢٢)

لسْ فَالِلّبَيْنَ ما تَرْضَعْ العُجَيْلَة. (رقم ١١٧٨)

من اتَّكَل على مُرَيْقَة جَارَتُ أصبَحَت كُسَيْرتُ لِراسُ – (رقم ١٢٩٠)

ونرى من هذه الأمثلة أن ثمة صيغتين في تصغير الثلاثي هما : فعيَّل بتشديد الياء، وفعيل الفصيحة، ولكن هذه الصيغة الثانية تنطق بسكون الأول وكسر الثاني في العامية المغربية، ويبدو من معجم الكالا – وهو يمثل لهجة أهل غرناطة – أنهم كانوا ينطقون فعيل في المذكر و"فعيلة" في المؤنث على وجهه الفصيح أي بضم الأول وفتح الثاني .

ومن الكلمات المصغرة التي أوردها مضبوطة : خُبيزة، قُدَيرة ، كُعيكة[1] ونجدهم يصغرون بعض الكلمات على نحو خاص فيقولون في تصغير رجل وراجل:رجيجل ، بدل : رُجَيل،ورويْجل كما في المثل التالي : ثمَّ رجُل ورُجَيْجَلْ ويَحُجْ البَيْتْ . (رقم٧٤٧)

ومن ذلك أيضا قولهم في تصغير سوق: سقيقة ، بدل سويقة ، وذهب دوزي إلى أن هذا النوع من التصغير ظهر عند عامة الأندلسيين بعد أن فقدوا السليقة العربية تماما ، ووقعوا تحت تأثير اللغة الإسبانية[2] ، وقد بنى حكمه هذا حين وجد كلمة سقيقة في وثيقة غرناطية متأخرة[3].

---

(١) الكالا : ٣٤١ ، ٣٥٨ ، ٣٨٣ .

(٢) دوزى ، تكملة المعاجم العربية ١ : ٧٠٦.

(٣) هي الوثيقة التي نشرها كولان في المجلد الثالث من مجلة :

islamica بعنوان Sur une charte hispano-arabe de 1312

وكما تكثر صيغ التصغير في الأمثال فإنها تكثر في الأزجال أيضا كقول ابن قزمان (زجل ١٠) :

فَمِنَ التفّاح نُهَيْدات

ومِنَ الدَّرْمَكْ خُدَيداتْ

ومِنَ الجَوْهَر ضُرَيْسَات

ومن السُّكَّرْ فُمَيْمَه

ونراه صغر الفم ، وهو مذكر تصغير تأنيث وكذلك فعل مدغليس إذ يقول (العاطل الحالي : ٤٦) :

وفُمَيْمَه حُلْوا حَمْرا صَغيرَه

بضُرَيْسَات دَقّ بَيْضَ مُسْتَويه

وقد ورد التصغير في بعض الأمثال للتعظيم كما في هذين المثلين : سَلَّطَ اللّه عَلَى الدَّابَّة دُويبة (رقم ١٨٤٩) ثمَّ رَجُلَ ورُجيْجَلْ ويَحُجْ البَيْتْ . (رقم ٧٤٧)

وهو معنى من معانى التصغير ذكره النحاة ومثلوا له بقول لبيد :

وكلُّ أناس سوف تدخلُ بينهم

دويهية تصفرُّ منها الأناملُ

-توجد التثنية في الأمثال العامية الأندلسية ، ولكنها ترد دائما بالياء والنون ومثال ذلك :

ضَرْ بَتَيْن فَالرَّاسْ . (رقم ١٦٢٣)

عَيْنَيْن فَالدَّرْهَم : نَاقِصْ ومَكْسُورْ .. (رقم ١٦٦٥)

أما في الضمائر فيستعمل ضمير الجمع للمثنى كما في هذه الأمثال : "الأعمَى والأعْرَجْ مَا عَلَيْهِم حَرجْ" . (رقم ١٥٣)

"الغازي والفَار لا تِعَلَّمهُم بَاب الدار" ابن عاصم (رقم ١٧٦)

"مَنْ بَاعْ لَحْي بلَحْيَ خَسَرْهُم جَمِيعا". (رقم ١٣٩٧)

ويستعمل الأندلسيون جمع المذكر السالم حيث تستعمل الفصحى وبعض اللهجات العامية جمع التكسير ، ومن ذلك قولهم : أضرسين أي أضراس كما في هذا المثل :

يَعْطِي الله الفُولْ لِمَن لاَ عِنْدُ أضرَسينْ. (رقم ٢١٤٣)

وقولهم : سنين أي أسنان كما في المثل :

سَنين أنْ خش ، وقُلُــوب انْ غِــش .
(رقم ٣٥١)

ومن ذلك أيضا: أذرعين واسـطين وادين ورجلين أي أذرع وأستاه وأيـدٍ وأرجل (*) .

-ومــن الأدوات المسـتعملة فـــي الأمثــال الأندلسية: بَحَــل أو بحَــالْ، وهي أداة تشبيه ومعناها مثل أو شبيه، ومع أن أصلها من كلمة حال أي هيئة وشكل ، إلا أن هذا المعنى قد تنوسـي فيما يبدو وأصبح ينظر إليها على أنـها أداة تشبيه لا غير تقوم مقــام الكــاف وغيرها من أدوات التشبيه الفصيحة .

-وهم يستعملون في التمني كلمة :يــا عَلَى ، بمعنى ليت . كقولهم يَا عَلَــى مُمَيِّزْ وينفَقْ عليه : قــال : وإذا كــان مميز ينفق على روح (رقم ٢١٤٧)
أرنَب تَكُل لَحْم ؟ قالْ : يَا عَلَى بجلدي كنخاصْ (رقم ٧٢)
يَا عَلَى بَيَّاع الدَّقِيقْ يعقَلْ (ابن عــاصم رقم ٨٢٦) .

فكلمة " يا على" في هــذه الأمثــال جميعا بمعنى ليت، وهــي واردة فــي الأزجال أيضا كما فـــي قـوَل ابــن قزمان:(العاطل الحالي : ٣٤ -٣٥) :

إنَّمَــا مذهَبِــي الطَّــلاَ
يا عَلَى منُو بير ملاَ
كَان يكون ارْجُلى العُقَاب
ويَكُون فَمي الدَّلْــو

وقوله أيضا:(الزجل في الأندلس:٩١)

يا على مزودا ملا بذهب
وخوابي ملا بدم العنب
كل من جا دخل أكل وشرب
ويكون جاري شيخا أعمى أصم

وقد استعمل " ليت "و" علــى " فـي زجل آخر إذ يقول : (زجل ٦٧) :

يَا بَيَاضْ بَيْت أم أبي ليتني كُنت أنَا أم.
يَا على فُم نُمار كنقَبِّل فيه بفم .

بل إننا نجد كلمــة " يا على " هــذه تتسلل إلى أساليبهم الفصيحة كما فــي هذه الحكاية التي رواها ابن سعيد فــي ترجمة الزاهد أبي وهب عبد الرحمن

(*) انظر الأمثال أرقام ٤٩٦،٦٠٩،٩٧٦.

العباسي إذ يقول : " وذكر الحجاري أن أبا وهب لقيه مرة غلام وغد بخارج قرطبة ، فآذاه بلسانه، ثم أراد أن يرميه بطوبة ، فجعل يبحث عنها، ويقول : يا على طوبة أضرب بها هذا الأحمق ! فوقعت عين أبي وهب على طوبة ، فقال له : هذه طوبة خذها فأبلغ بها غرضك ، فارتاع الغلام وأخذته كالرعدة [1]" .

وكلمة يا " على " تشبه من حيث التركيب " ياريت " التي تستعمل في العامية المصرية للمعنى نفسه ، وذكر المرحوم أحمد تيمور أنها محرفة عن " ياليت " [2] فهل تكون كلمة " ياعلى " الأندلسية محرفة عن "لعل " بأن أضيفت إليها " يا " ثم خففت اللام من لعل أو عل فصارت "ياعلى"؟ قد يكون ذلك خصوصا إذا لاحظنا عدم التدقيق في مواضع الترجي والتمني في الاستعمال العامي.

وقد وردت كلمة " يا علي " في Voc ضمن أدوات التمني والترجي المستعملة بين الأندلسيين ، وهي كما في المعجم المذكور (ص ٦٣٩) : "عسى ، ليت ، يا على ، ياليت ، يا عسى ، يا ليت شعري " . وأمَّا " يا" وحْدَها ، فهي ظرف رومانثى يكثر وروده في أزجال ابن قزمان ، لكننا لانكاد نجده في الأمثال، ويمكن أن يكون منه هذا المثل :

"يا على بيَّاع الدقيق يعقل" . (ابن عاصم رقم ٨٢٦) .وللأستاذ إ.غ . غومس دراسة ممتازة في " يا" الظرفية هذه عند ابن قزمان انظر :

todo ben quzmán, III ,p,431

-وأشهر ظروف الزمان في العامية الأندلسية: "ذاب" أي الآن ، وهي مستعملة كثيرًا في الأمثال والأزجال، وقد أشار إليها ابن هشام اللخمي في تقويم اللسان إذ يقول:"ويقولون جئته

---

(١) المغرب ١ : ٥٩

(٢) الأمثال العامية : (المثل رقم ٣٠٦٤) الطبعة الثانية .

ذاب ، والصواب :

جئته الساعة أو الآن[1] وقد وردت في أمثال الزجالي وأمثال ابن عاصم بالإمالة كما في هذا المثل :

ذيبَ كن انتبَّهت جارتي لثقّب أذنيها.

(رقم ٩٦٠)

وما تزال الكلمة مستعملة في المغرب بالدال المهملة هكذا : "داب" ، وهي موجودة في اللهجة السودانية بلفظ: "دابو" يقال: "الزول دابو جه ، أي الرجل جاء الآن[2]. وهي أيضا في اللهجة المصرية :" دوب" كما في هذه العبارة : يا دوب جه ، أي جاء منذ لحظة وجيزة[3]، ولعلها انتقلت إليها من اللهجة المغربية .

- ومن ظروف الزمان المستعملة في الأمثال ظرف : " بيدم أو بيدام ، كما في المثلين التاليين :

بَيْدَمْ تتقنّع الحَولَ ، يَفْتَرِقْ سُوق الغَزَلْ

(رقم ٥٦٤)

بَيْدَمْ يجي التِّرياقْ من بَيْت المَقْدسْ يَذْهَب صاحِب الوَجَعْ (رقم ٥٦٥)[4]

وما تزال مستعملة في العامية المغربية ولكن بسكون الدال وفتح الميم مع مدها هكذا : بيدما . ويبدو أن هذه الصيغ محرفة عن : بينما ، وأنهم قلبوا نونها دالاً ، ويستعملون في هذا المعنى أيضا كلمة : مندام ، وقد وردت الكلمتان في Voc ص ٤٣٧ ؛ مع : بينما ، ريثما ، خلال ما[5]

كما يستعملون :" وقت أن " في موضع:" حين" كما في هذين المثلين :

"وقَت انْ حَضَر الصَّيَّدْ غاب السُّلوقِي". (رقم١٩٤٩)

وَقْت انْ تَرْبَط القَرْع كنبُوشَه. (رقم ١٩٧٤)

---

(١) نقلا عن : ألفاظ مغربية : ٢٨٦

(٢) عبد المجيد عابدين : من أصول اللهجات العربية في السودان : ١١٩.

(٣) عبد المجيد عابدين : من أصول اللهجات العربية في السودان : ١١٩.

(٤) انظر أمثلة أخرى في أمثال ابن عاصم رقم ٣١٣ وما بعده .

(٥) انظر أيضا دوزى ١: ١٣٣.

وهي ليست إلا كلمة " وقتا " بالتنوين المفتوح الذي جرت عادتهم أن يرسموه " ان " كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، وقد وردت الكلمة مع أخوات لها في Voc ص ٥٤٨ هي: "متى ، إذا ، وقت ان ، حين عندما ".

طُلْ ما تَجِدِ أسْودْ ، لا تِسَخَّرْ أبْيَضْ (رقم ١٠٦٤)

وكما في قول ابن قزمان : (العاطل الحالي : ٦٠) :

اسْقِنِي بالكاساتْ

ياخي دُون علالِي

طُولْ مَا كَاسْ في الدُنْيَا

لاَ تَسَلْ عن حَالِي

وفي Voc ص٥٤٨ :" طول ما ، ما دام " ومن الواضح أنها ليست سوى "طالما" الفصيحة أصابها التحريف .

ويستعملون في التعليل كلمة:" حرم فى " كما في قولهم :

أجوع من زامل موقف الذي هدم الحيط حرم فى تبن (رقم٤٩٠) أي هدم الحائط طمعا في التبن الموجود في بنائه، ومثال ذلك أيضا :

حُرْم فَسَاعَ تمشوا فارْبَاع . (رقم ٨٠٠)

فهي في هذين المثلين بمعنى : من أجل أو في سبيل ، وترد أيضا بمعنى: "لماذا" ، كما فى قول ابن قزمان يصف الرقيب (زجل رقم ٩):

ويفرق ما بين حبيب وحبيب

حرم بالله معيشقين ورقيب؟

أي لماذا بالله عاشقان ورقيب؟ ، ووردت الكلمة مع شبيهات لها تستعمل للاستفهام والعلية بحسب الجملة في Voc ص ٥٤٩ وهي : "لش ، عن أش، لماذا لأي شيء ، حرمه، فش، عنبتش".

-أما أسماء الإشارة فيبدو من تتبع الأمثال أنهم كانوا يستعملون : ذا للقريب كثيرا [(١)] وقلَّ استعمالهم لهذا ،

(١) انظر استعمال ذا في الصفحات التالية من النص : ٢٣،٢٤،١١٠،١٢٣،١٣٩، ١٥١، ١٨٦ ، ١٨٨ ٢٢٥ ، ٢٣٠ ، ٢٤٦ ، ٢٩٦، ٣١٦،٣٣٧،٣٤٣.

وقد وردت في بعض الأمثال بالإمالة هكذا : هيذ أي هذا [1] ، وكما آثروا استعمال ذاك في الإشارة للقريب للاختصار فيما يبدو آثروا أيضا استعمال ذاك بدل ذلك وكذا بدل هكذا[2].

وورد استعمال " هي " اسم إشارة بمعنى هذه في المثل التالي :

مَنْ وِلِي على مَزْبَلَة بِدَ جَاجَة يَتَعَشَّى هي الليلَة (رقم ١٣٠٣)

أي هذه الليلة ، وقد ذكر كل من الزبيدي في لحن العوام وابن هشام في تقويم اللسان أنهم كانوا يستعملون هو وهي في مواضع الإشارة ، جاء في لحن العوام : " ويقولون : أتيت هي الأيام وقعدت في هو المكان ، والصواب أتيت تلك الأيام ، وقعدت في ذلك المكان ، وليست هذه المواضع من مواضع هو ولا هي" [3]

وفي تقويم اللسان : "ويقولون قعدت في هو المكان ، والصواب في ذلك المكان [4] -ويبدو أن هذا من تأثير أو بقايا العربية الجنوبية ، ففي كتاب "المختصر في علم العربية الجنوبية القديمة أن هذه اللغة تستعمل هو في الإشارة إلى المذكر و " هي " في الإشارة إلى المؤنث [5] ".

ويستعملون في الإشارة أيضا كلمة: " تراه " أو " تريه " بالإمالة كما جاءت في المثل التالي :

أَيْن اذنَكْ أَبُو فُلان ؟ قال : تَريه هنَا في ذَا المَكَان. (رقم ٨٤) فكلمة : تريه أي تراه معناها في المثل: ها هي، وجاء في Voc ص ٣٦٠ ما يلي :ها هُو، تراه أما في الإشارة للجمع فتستعمل : " هَوِلَ " أي هؤلاء كما

(١) انظر ص ٣٦١ من النص .

(٢) انظر ص ١٨٩ ، ٢٥٥ .

(٣) لحن العوام للزبيدي : ٢٥٢ وألفاظ مغربية للدكتور عبد العزيز الأهواني : ٣٢٠.

(٤) نقلا عن ألفاظ مغربية ٣١٩.

(٥) المختصر : ٥.

في Voc ص ٤٤٤ ومثالها قول مدغليس :

لسْ لَنا إلاَّ نخلِّي الفُضُولْ

أشْ نَرى منُّو لهَوْل العَاشِقِينْ

يريد بقوله :" لهَوْلَ " " لهؤلاء[١] " .

–وأما بالنسبة لاسم الموصول فيبدو من الأمثال أن العامية الأندلسية احتفظت بالذي ولم تغيره إلى " اللي كما أصبح الحال فيما بعد في معظم اللهجات العربية، إلا أننا نراهم يستعملون "الذي" للمذكر والمؤنث والمفرد والجمع ، فمن استعمال "الذي" للمفرد المؤنث بدل "التي " قولهم:

أعْجَزمن كَلْبَتَ بَني سَعيدة:الذي مَاتَت بالعْطَشْ وذنبها فَالماء (رقم٤٩٥).

ومن استعمالها في حالة الجمع قولهم (ابن عاصم رقم ١٩٦) :

العُويْنيت الذي تيدّك : مِنْ بَعيدْ تضْحكْ لَك [٢] .

وورد استعمال (اللى) فى زجل لابن قزمان إذ يقول :

سُبْحن اللِّي جَمَع عَلَى قَلبَك

كُل شَيء حَسَنْ[٣]

يريد سبحان الذي، وأما في الأمثال فلم نقف على استعمال " اللي " بمعنى الذي.

وصف ابن سعيد كلام أهل الأندلس بأنه منحرف عن أوضاع العربية الفصحى، وأنه مجانب للإعراب، بل ذكر أن الأندلسيين كانوا يستبردون من يعرب ويستثقلون من يتفصح، ولا شك أن ابن سعيد وصف ما سمع من لغة أهل عصره في أمصار الأندلس التي عاش فيها ولا سيما إشبيلية، وقد لا يختلف وصفه عن وصف من تقدمه .

أما ابن الخطيب فقد ذكر في وصفه لكلام أهل غرناطة أنه كان يتخلله إعراب كثير ، ولعل في هذا ما قد

(١) العاطل الحالي : ٥٢.

(٢) انظر استعمال الذي في النص ص: ٩٨، ٩٩، ١٠٠، وابن عاصم رقم :٢ ورقم٣ و١٦ .

(٣) العاطل الحالي : ٥٠.

يخالف – من الوجهة النظرية – قانون التطور اللغوي إلا أن يكون الأمر يتعلق بوصف مستويات لغوية مختلفة.

ومهما يكن من أمر فلو بحثنا عن مظاهر الإعراب في نصوص الأمثال الأندلسية سواء منها التي دونها الزجالي أو التي جمعها ابن عاصم لوجدنا أنها تقع ولكن بقلة ويمكن الوقوف عليها في القسم الثاني من الكتاب .

-سبق أن أشرنا إلى شيء من أثر "عجمية أهل الأندلس " في مفردات الأمثال ، وثمة تأثير ملحوظ – ولكنه قليل – لهذه العجمية في تراكيب الأمثال، وتستطيع أن تلمح شيئًا من ذلك في الأمثال التالية على سبيل المثال :

غبار الغنم كحول هو لعين السبع .
(رقم ١٧٢٢)

من لدغت الحي ، من الحبل ينفر .
(رقم ١٤٢٢)

من مات ولد، ربيب يجيه لليل .
(رقم ١٤٧٤)

في عافية كان الزجاج قبل أن يشتري القط (رقم ١٧٤٤)

ونتبين أثر التركيب العجمي في المثل الأول من خلال نظيره القشتالي القديم:

EL Polvo de La oveja, Alcohol es Para el Lobo

والشاهد عندنا في تركيب : كحول هو = Alcohol es

وكوننا نعتبر الصيغة القشتالية ترجمة للصيغة العربية لا يمنعنا من اعتبار المطابقة التامة في الترجمة دليلاً على ما نرى، وفي صيغة المثل العربي القديم :

غبار الغنم : كحل عين الذئب .

دليل آخر. كما أن تقديم المتعلق في المثل الثاني وتقديم الفاعل في المثل الثالث وتقديم الخبر في المثل الرابع لا يخلو من رائحة الأثر العجمي فيما نفترض، وإن كنا نعرف وقوع مثل هذا أيضا في أساليب العربية الفصحى ولعل مقارنة التركيب في الأمثال المذكورة بالتركيب في نظائرها

المغربية والمشرقية تصلح دليلا على هذا الافتراض. ومع ذلك فالأثر العجمي أو" الرومانثي " في ألفاظ الأمثال وتراكيبها قليل بالنسبة إلى الأثر الرومانثي في الأزجال .

(ب) ملْعبة الكفيف الزرهوني (ق٨) وقيمتها اللغوية

يرى المستعرب الفرنسي الأستاذ كولان أن جميع الأزجال المغربية التى ترجع إلى ما قبل العصر السعدي قد نظمت باللهجة الأندلسية التي كانت بفضل أزجال ابن قزمان وغيره لغة الزجل "الكلاسيكية" ويبدو أنه استند في إطلاق هذا الحكم على نماذج الأزجال المغربية التي أوردها ابن خلدون في المقدمة ، ومنها نموذج ملعبة الكفيف، ومع تضلّع الأستاذ كولان في اللهجات، وتمرسه بقراءتها ودراستها ، فإن حكمه المذكور يظل قابلا للنقاش ، فإذا كنا نعرف الكثير عن اللهجة الأندلسية بفضل وفرة نصوصها ، فإننا لا نعرف طبيعة العامية المغربية القديمة ، ولا مبلغ الفرق بينها وبين عاميّة الأندلس وهو فرق سجله ابن خلدون عقب سرده أزجال الأندلسيين والمغاربة، فقال : "واعلم أن الذوق في معرفة البلاغة منها (أى من الأزجال) كلها إنما يحصل لمن خالط تلك اللغة، وكثر استعماله لها، ومخاطبته بين أجيالها، حتى يحصّل ملكتها كما قلناه في اللغة العربية، فلا يشعر الأندلسىّ بالبلاغة التى فى شعر أهل المغرب، ولا المغربى بالبلاغة التى فى شعر أهل الأندلس والمشرق، ولا المشرقى بالبلاغة التى فى شعر أهل الأندلس والمغرب؛ لأن اللّسان الحضري وتراكيبه مختلفة فيهم، وكل واحد منهم، مُدرك بلاغة لغته وذائق محاسن الشعر من أهل بلدته[1] " وهذا الذي يقولُه ابن خلدون لا ينفي طبعًا مستوى الفهم، فقد كانت أزجال ابن قزمان مقروءة في العراق والشام ومصر[2] ، وكانت مزدوجات ابن شجاع التازي معاصر الكفيف الزرهوني مروية في الأندلس إلى جانب أزجال مدغليس وابن قزمان والدبّاغ المالقي[3]

(١) المقدمة : ١٤٧٤ – ١٤٧٥ . (٢) الزجل في الأندلس للدكتور الأهواني .

(٣) انظر أزهار الرياض ١: ١٢٣ ووصف أفريقيا ٢ : ٦٤.

ومهما يكن الأمر فإن ملعبة الكفيف تستعمل فعلاً لغة الزجل الأندلسي ، وتشتمل على ألفاظ معروفة في هذه اللغة، ولعلها كانت من الألفاظ المشتركة بين عامية الأندلس وعامية المغرب ، فقد ذكر بعضها ابن هشام اللغوي الإشبيلي السبتي في كتابه لحن العامة(*)، وهذه طائفة منها :

ـ بلج أي أغلق الباب بالبلج أي المِغلاق.انظر رقم ١٩٤وقد وردت في لحن العامة لابن هشام وفيALC ص٩٧ و.Voc ص٤٠، ٥٢١ سيمونيت ص ٤٣٨ ودوزي ٤٣٨ويقال البلاج- وجمعه بلاجة أو بَلاجين - لصاحب هذه الحرفة،وسوق البلاجين في فاس معروف إلى اليوم بهذا الاسم . انظر بيوتات فاس: ٢٤ دار المنصور ، وسمعت أن الكلمة مسموعة في منطقة الشاعر .

ـ ساف ، وهو الباشق. انظر رقم ٩٧ ولحن العامة لابن هشام ، ودوزي ١ :٧٠٣ وما تزال الكلمة مسموعة في بعض المناطق بالمغرب .

ـ شابل، اسم سمك معروف إلى اليوم في المغرب يصطاد من الأنهار. انظر رقم ٤٠٨ وابن هشام ، والزجالي ٢ :١٤٠ ، ٤٣٧ .

ـ شاشية، وهي القلنسوة. انظر رقم ٢٢٥ وابن هشام وVoc ص١٢٢وص ٢٨٠و ALC ص ١١٧ وص١٤٣ ودوزى ١ : ٨٠٢، وهى شائعة فى المغرب .

ـ عاد بمعنى بعد. انظر رقم ١٧٠ وقد ذكرها الزبيدى وابن هشام ووردت فى ALCو Voc ودوزي ٢: ١٨٦ وماتزال مستعملة في المغرب . ووردت مرارًا في أزجال ابن قزمان.

ـ فدان للموضع الذي يحرث أي الحقل، (رقم ٤٥٦) وهي عند ابن هشام والزبيدي ، واستعملها ابن قزمان بهذا المعنى. وانظر دوزي٢٤٦:٢ .

-قيطون بمعنى خيمة استعملها هذا المعنى ابن قزمان، وهي معروفة في المغرب . انظر رقم ٣٤٣ .

ـ عصا موسى، وهي تسمية أندلسية للثريا . انظر رقم ٤٠٤ .

-الزكروم:القفل والغلاق.رقم ٣٩١. وهي مدونة فيVoc ص١٨٨

(*) انظر ما نشره الدكتور الأهواني في مجلة المخطوطات .

وما تزال مسموعة في المغرب.

- الزز بمعنى صفع القفا. رقم ٤٢٥. وهي مستعملة في الشعر الأندلسي فصيحة وعاميّة، وفي أمثال الزجالي وغيرها وقد ذكرها الزبيدي في تاج العروس ثم قال :" وهي شائعة بالأندلس" وانظر ما كتبناه حول الكلمة في كتابنا أمثال العوام في الأندلس ٢ : ٢٣٧.

- برّح بمعنى نادى ، والبراح المنادي، رقم ٢٩٨.وهي كلمة شائعة في النصوص الأندلسية والمغربية، ووردت في أمثال الزجالي ٢:١٣٢،٢٣٠،٣٩٠ .

ـ تور بمعنى حَسَكة أو شمعدان رقم ٣٩٧ وقد وردت في الاستبصار : ٢٠ وفي أمثال الزجالي ٢: ٨٤ وهي في Voc ص٢٧٨ .

ـ قارح بمعنى فرس وجمعه قُرّاح. رقم ١٤٥ووردت في أمثال الزجالي٢:٢٥٣.

ـ مُجّة بمعنى ثدْي. رقم ٤٤٠ والكلمة واردة في Voc ص ٤٦٧ .

وممّا هو مشترك بين لهجة الملعبة واللهجة الأندلسية أيضا ما يلي :

-المحافظة على كسر عين اسم الفاعل من الثلاثي مثل: عادِل ، فاسِ، طائِل ، سائس ... إلخ .

وهذا معروف في العامية الأندلسية وعامية منطقة جبالة في المغرب، وإليها ينتمي صاحب الملعبة ، أما الشائع عند غير جبالة فهو الفتح .

- المحافظة على صيغة اسم الموصول : الذي، فاستعمالها هكذا متكرر في الملعبة، وهي المستعملة في أمثال الزجالي وأغلب النصوص الأندلسية العامية .

- ورود التنوين المفتوح، وهو نوع من التنوين شائع في الأمثال والأزجال، وقد تحدثت عنه في دراسة أمثال الزجالي . انظر ج ١ ص ٢٨١- ٢٨٢ .

- استعمال " إكان " بمعنى لَوْ ، وأصلها أن كان .انظر رقم٣٤١.

- استعمال "بحل" للتشبيه ، وهو استعمال ما يزال جاريًا في اللهجة

المغربية إلى اليوم .

- استعمال "ترى" "وإذا بــه" انظــر الأرقام ٢٠٢ ، ٢٣٠، ٤٢٧ ، وهــو استعمال أندلسي سجله معجم Voc ص ٣٦٠.

وتستعمل أيضًا بمعنى "ها هو" انظر دراستنا لأمثــال الزجــالي ج ١ ص ٢٩٨ .

- استعمال "لس " أي ليس . رقــم ١٩.

- استعمال "هَولّ " أي هؤلاء ، رقم ٢٥٥، وتــرد كذلــك فــي الأزجــال الأندلسية (العــاطل الحــالي : ٥٠) وهي في معجم Voc ص ٤٤٤.

- استعمال "ذوك" بمعنى أولئك رقم ٢٥٥.

وقد وردت في الملعبة أمثــال عاميــة توجد عند الزجالي وابن عاصم ومنها:

أش دعانا لراس الاقـــرع .. رقــم ١١٠.

الاعمش في حضرة العميا ...رقــم ٣٥٠.

لا مكان ولا إمكان . رقم ٤٦ .

إذا نزل لقضا عمت الأبصار . رقــم ٦٧ .

زز قادسي . رقم ٤٢٥ .

در في غزولك . رقم ١٩١ .

وبعضها ما يزال مسموعًا إلى اليوم .

إن هذا التماثل بين ملعبة الكفيـــف الزرهوني وبين النصوص الأندلســية من حيث الاستعمال يمكن تفسيره بمــا يلي :

- تأثر الزجــال المغربــي القديــم بمحفوظه من الأزجال الأندلسية .

- اشتراك لهجتي الأندلس والمغرب في عدد كبير من الألفاظ التي تعتــبر ألفاظًا مغربية بالمعنى الواسع .

- تأثر لهجة منطقــة جبالــة التــي ينتمي إليها الكفيف باللهجة الأندلســية بحكم القرب والجوار، ولأن أهل جبالة أو غمارة كانوا يقومون دائمًا بفــرض الجــهاد فــي الأندلــس ويتطوعــون بدخولها من أجل ذلك ثم يعودون إلــي ديارهم ، ثــم إن عــددًا كبــيرًا مــن الأندلسيين استقروا بمنطقة جبالة فــي أفواج متعاقبة ، فرارًا من الفتن التــي

كانت تنشأ في الأندلس، وخلال فترة الجلاء عن القواعد والمدن المفقودة ثم بعد الخروج الأخير من غرناطة وتوابعها.

ومع ما ذكرناه من مؤثرات أندلسية في الملعبة ، فإنها تحتفظ بخصائص محلية، هي خصائص لهجة جبالة ، وهذه المنطقة تمتّد في شكل هلال من طنجة إلى تازا، وهي محفوفة بحزام من المدن هي النكور وبادس وتيجساس وتطوان وسبتة والقصر الصغير وطنجة وأصيلة والقصر الكبير والبصرة واسْجَن وبني تاودة ووليلي وفاس، وقد انتشرت اللغة العربية في هذه المنطقة ، بفضل قربها من هذه المراكز الحضرية ، وارتباطها بالمسالك التجارية ، وانتشار المدارس القرآنية وغيرها ، وساعد في تعريبها أيضًا مجاورتها للأندلس وصلتها بها، وقيام إمارات إدريسية وغيرها فيها .

ويذكر الإدريسي أن القبائل المجاورة لفاس – حيث نشأ صاحب الملعبة – كانت تتكلم بالعربية، قال : "ويسكن حولها (فاس) قبائل من البربر ولكنهم يتكلمون بالعربية ، وهم بنو يوسف وفندلاوة وبهلول (بهاليل) وزواوة ومجاصة وغياثة وسلالجون"[1]

وقد درس المستعربون مثل بروفنسال وكولان هذه اللهجة الجبلية في العقود الأولى من هذا القرن[2]، وما تزال محتفظة ببعض الخصائص التي تجدها في ملعبة الكفيف الزرهوني .

ومن أبرزها :

– حذف الهاء من ضمير الغائبة في مثل قول الكفيف :

مِنّا أي منها . رقم ٧ .

مَا أصعبا أي ما أصعبها . رقم ٥١.

ما أشرا أي ما أشرها . رقم ٥١

شرقا أي شرقها . رقم ٤٩ .

(١) نزهة المشتاق : ٢٤٦ (الطبعة الإيطالية)

(٢) لبروفنسال كتاب في لهجة ورغة ولكولان كتاب في لهجة تازة .

ومثل هذا كثير في الملعبة .

وفي بعض الحالات نجد الشاعر يقف على الهاء المذكورة بالسكون ويفتح ما قبلها كقوله :

ما شراها مليك ولا باعَهْ .(أي باعها) رقم ١٤ .

ومثل هذا الاستعمال معروف في لهجة أهل تطوان فهم يقولون في المثل: إذا جاتْ تقودَهْ بشعرا .

وقد جمع الشاعر بين الاستعمالين في قوله (رقم ٥) :

كانت إذا ذكرت كره خَبْرا

وقال اسمَهْ يفرق الإخوان

أي كره خبرها ، وقال : اسمها .

-حذف الهاء أيضًا من ضمير الغائبين (الغائبات)كما في قوله :

بينَم أي بينهم . رقم ٢١٧ .

لَم أي لهم . رقم ٣٤١ .

عندمْ أي عندهم . رقم ٣٣٩ .

ومثل هذا متكرر في الملعبة . وهو مما يميز لهجة جبالة عن غيرها .

-استعمال فعل "ألقى " بمعنى عمل كقوله :

حتى ألقى سلسلاً لذاك الشأن .رقم ٣١.

ومازال مسموعة في مناطق جبالة وقد تنطق بالراء . وهي بالراء في لهجة غرناطة. انظر ALC وقاموس دوزي.

-استعمال "فاه " من الأسماء الخمسة، ولا يوجد هذا الاستعمال في اللهجات العامية في حين أنه ما يزال موجودًا في لهجة جبالة .

وثمة بعض الظواهر الصوتية في رسم النسخة الخطية الوحيدة للملعبة ككتابة الصاد سينا في الكلمات التالية:

-السحرا أي الصحراء . انظر الأرقام ٣٦،٣٧ .

-يسورو = يصورو . رقم ٤٧ .

-يسرح أي يصرح . رقم ٥٨.

-التسريح = التصريح .رقم ٥٨.

-السح أي الصح والصدق.رقم٢٦٧

-الحسرا = الحصرا . رقم ٣٥٢.

-الحسران أي الحصران والحصار. رقم ٤٧١.

وكتابة الضاد دالا مثل :

=ودحا= وضحى أي وأضحى.رقم٢٢٤.
وكتابة الزاي جيمًا مثل البيجان أي البيزان. رقم ٣٣٦.
وكتابة الجيم دالاً مثل دشم أي جشم . رقم ٢٥٢.

ولكننا لا نعرف هل هذا يمثل لهجة جبالة أو لهجة الناسخ المجهول؟ونشير بالمناسبة إلى الفرق الواضح في القراءة بين النسخة الخطية، وما ورد من الملعبة في مقدمة ابن خلدون وأزهار الرياض وقد أشرنا إلى بعض هذه الفروق في حواشي الملعبة .

ويبدو أن الكفيف كان يعرف الأمازيغية، فقد استعمل جملة من كلماتها، واستعان بها في بعض قوافيه، وها هي الكلمات الواردة في الملعبة.

- إيسان أي الخيل رقم ١١٦.
- أسردان أي البغال . رقم ١٤٢.
- أنزران أي المطر . رقم ٢٣٦.
- إيمزدغن أي السكان . رقم ٣٤٢.
- أزرزي أي الكلفة المخزنية، ومنها الكلمة المعروفة الزرْز أي الحمال. رقم ٣٤٥ .
- غيلاس أي النمر أو الذئب. رقم١١٤.
- تاسا أي الوسط . رقم ٢٨٨ .
- تيسدنان أي النساء . رقم ٢٢١.

ومن المعروف أن شيخ الزجّالين ابن قزمان استعمل في أزجاله بعض الكلمات البربرية، مثل : أشكد .

ونشير في النهاية إلى مستوى لغوي آخر في الملعبة وهو المستوى الفصيح، ويتجلى فى طائفة كبيرة من الألفاظ المعجمية مثل الرّان ، الزرق، القطعان ، الشعراء ، المعجر، الصافنات ، وغيرها. كما يتجلّى في التراكيب العربية التي لا ينقصها إلا الإعراب ، ولا شك أن هذا يدل على ثقافة الشاعر وتمكنه المتين من اللسان الغربي المبين .

جـ ــ العامية الأندلسية والمغربية بين أمثال الزجالي وملعبة الكفيف الزرهوني

من المواضيع التي برز فيها الباحثون المستعربون وقصر فيها العرب الدارسون موضوع الخرجات العجمية الذى كان موضوع ندوتكم السابقة وموضوع اللهجات العامية العربية الذي تدور حوله بحوث ندوة هذه السنة، ويرجع تقصير الباحثين العرب في هذين الموضوعين إلى أسباب متعددة ومختلفة ، منها عدم الخروج عما درج عليه الأسلاف من إهمال لأمثال هذه الموضوعات، وأنها لا تستحق أن تدون في المجلدات المخلدات ومنها الخوف على اللغة العربية الفصحى ولا سيما بعد أن دعا بعضهم إلى استعمال العامية بدلا من لغة القرآن ، ومنها في الأخير أن موضوع الخرجات يتطلب معرفة باللهجات الرومانسية وتوسعًا في أعاريض الأزجال والموشحات وتضلعًا في الشعر الإسباني الذي تعرف مجاميعه بـ " الرومانثيرو "، وللأسباب التي ذكرناها وغيرها لم يبدأ إسهام الباحثين العرب في الموضوعين المذكورين إلا في العقود الأخيرة، وقد نشرت كلية الآداب في الرباط كتابًا يشتمل على ما كتب بمختلف اللغات مما له تعلق بهذين الموضوعين خلال مئة وثلاثين سنة ، ويبدو من حصيلة هذا الكتاب مصداق ما قلناه(*) .

إن العود إلى هذين الموضوعين في ندوتكم هو مما يدعى بالعود الأحمد، وذلك لكي نعرف ما ظهر من نصوص، وما جد من بحوث، ولكي يقع التلاقي ويحصل التعارف بين الجامعيين العاملين في هذا الميدان،

(*) Langue et Sociètè au Maghreb, Bilan et Perspectives.

وكما تعلمون فقد خلف الأعلام الرواد جيل من الباحثين الكهول والشباب، ومنهم الذين دعوا إلى ندوتكم الأولى وهذه الثانية ، وهم يواصلون الجهود ويتابعون البحوث ويصلون إلى نتائج جيدة وإذا سمحتم فسأمثل لهم بالأستاذ فدريكو كوريينتى المحرك والمنسق لهذه الندوة والتي قبلها زاده الله طاقة على العمل وتوفيقًا فيه .

وبعد، فإني سعيد بالمشاركة في هذه الندوة العلمية الدولية المخصصة لمدارسة المداخلة اللغوية بين العربية واللغات الرومانسية في شبه الجزيرة الإيبيرية .

ومثيلاتها في سائر اللهجات العربية الثغرية، وقد اقترحت على اللجنة المنظمة أن أسهم بمقالة في محور لهجات الأندلس والمغرب ، وأنا وإن لم يكن لي تخصص في الدرس اللغوي أو اللساني الحديث فقد كان من قدري أن اشتغلت بتحقيق بعض النصوص العامية القديمة في الأمثال والأزجال ، وقد طبع منها :" أمثال العوام للزجالي"و"ملعبة الكفيف الزرهوني" ، ومما هو معد للطبع: "أمثال ابن عاصم" و" أمثال أبي مدين الفاسي "، و"أمثال مغربية قديمة " لمؤلف مجهول ، ولعل اشتغالي بهذه النصوص وغيرها هو مبرر كوني بين الموجودين في هذه الندوة من اللغويين واللسانيين ، ومن المعروف أن النصوص ولا سيما العامية منها هي المادة الأولى التي يقوم عليها عمل هؤلاء .

وإذا كنت سأعود إلى الكلام عن أمثال الزجالي وملعبة الزرهوني فلأن بعض المشتغلين في هذا الميدان لم يقفوا عليهما أو لم يلتفتوا إليهما ، ومن هؤلاء الشخص الذي استأجرته مؤسسة كونراد أديناور وانتدبته كلية الآداب بالرباط لوضع ببليوغرافية عن لهجات الغرب الإسلامي وقد احتطب ما شاء أن يحتطب ولكنه أغفل أمثال العوام في الأندلس التي طبعت في مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية بفاس عام ١٩٧١م وملعبة

الكفيف الزرهوني التي طبعت في المطبعة الملكية بالرباط عام١٩٨٧م، وسواء أكان إغفال هذين العملين سهوًا أم قصدًا من جامع الببليوغرافية المذكورة فإنه مسؤول عما فعل أمام المؤسسة والكلية اللتين استأمنتاه على عمل أخل بشيء من شرطه ، ومسؤول أمام ضميره أو أمام همته، كما أن من جملة ما أغفلته هذه الببليوغرافية الناقصة ديوان الششتري بتحقيق النشار، وديوان ابن قزمان بتحقيق كورينتى ، ولست أدري كيف لا يشتمل مسرد ببليوغرافي حول اللهجة الأندلسية على النصوص الأربعة المذكورة مع أنها أطول النصوص وأهمها في هذه اللهجة .

ومهما يكن من أمر فإني أنتهز مناسبة هذه الندوة لأخبر الزملاء المنتدين بعزمي على إخراج طبعة جديدة مزيدة ومنقحة لكل من أمثال الزجالي وملعبة الكفيف، وفي انتظار ذلك أود أن أقتصر هنا على التعريف بقيمة هذين النصين وفائدتهما في تعميق معرفتنا باللهجة الأندلسية وهي التي تتميز من اللهجات العربية القديمة بتوفرها على معاجم ووثائق جعلت الدارسين يعرفونها أحسن من غيرها ، فأما المعاجم فمنها كتب لحن العامة التي ألفها الزبيدي وابن هشام وابن هانئ وابن خاتمة، ومنها معاجم المسيحيين مثل المعجم المنسوب لريموند مرتين ومعجم بطرس القلعى. وأما الوثائق فنجدها في مجاميع الأمثال ودواوين الأزجال وغيرهما، ومن النوع الأول مجموع الزجالي الذي نبدأ به فنقول :

تعتبر الأمثال شريحة من شرائح التعبير اللغوي ولونًا من ألوان القول أوفنا من فنونه، وقد ظلت في تقاليد الدراسة الأدبية أدون فنون القول مقامًا وأهونها شأنًا وأقلها عناية واهتمامًا ويستوي في هذا الأمثال الفصيحة والمولدة والعامية ، ولم يقع الاتجاه إلى الاهتمام بهذه الأخيرة إلا في السنوات الأخيرة، ومما يلاحظ أن ثمة فراغًا بين ما يعرف باسم أمثال

المولدين التي جمعها الميداني (٥١٨) وبين الأمثال العامية المستعملة في عصرنا، ولعل الأندلس تشكل استثناء، فقد دونت أمثالها العامية منذ أن برزت خطوط الشخصية الأندلسية ووضحت معالم المجتمع الأندلسي بدءاً بابن عبد ربه في العقد ومروراً بابن هشام اللخمي الإشبيلي ويحيى الزجالي وأبى بكر ابن عاصم وختمًا بابن القفال . (*)

تعتبر مجموعة الأمثال التي استخرجناها من كتاب "ري الاوام" للزجالي أكبر المجموعات الأندلسية وأهمها على الإطلاق ، وقد بينا في دراستنا قيمتها التاريخية والاجتماعية والأدبية واللغوية، وسنقف في هذه المقالة عند بعض الملامح العامة في اللهجة الأندلسية كما تبدو في الأمثال المذكورة ولنرى كذلك مدى دلالتها ومطابقتها لما توصل إليه الباحثون في قواعد هذه اللهجة وخصائصها الصوتية والصرفية والدلالية والمعجمية، ومن قدماء هؤلاء الباحثين كولان وشتايجر وأسين على سبيل المثال، ومن المحدثين كوريينتى على سبيل المثال أيضًا؛ وتجدر الإشارة إلى أن بعض علمائنا الأقدمين نبهوا على بعض الظواهر اللغوية في لسان أهل الأندلس مثل الإمالة والتصغير والتنوين المنصوب وإطالة الحركات ووقوع القلب والإبدال في كلامهم كإبدال النون ميمًا وإبدال التاء طاء وإبدال القاف كافًا أو نطقها معقودة كما نبهوا على تغاير اللغات واللهجات في الأندلس ، فلغة أهل فحص البلوط غير لغة أهل قرطبة، ولغة أهل شنوق الأندلس تتميز من غيرها ، ولأهل الثغر لغتهم التي ظلوا معروفين بها حتى بعد لجوئهم إلى مملكة غرناطة، أما كلام أهل غرناطة فلعله الأكثر تدوينًا والأوضح سمة من سواه .

إن أمثال الزجالي-كما هي مرسومة

(*) انظر الفصل الذي خصصناه لتاريخ الأمثال في الأندلس وذلك في القسم الأول من كتابنا.

ومشكولة في النسخة المروية عن مؤلفها – جاءت مؤكدة لكثير من المعطيات المبسوطة في دراسات وعندما نشرتها في قسمين : دراسة ونصوص، كنت أطمع في أن تكون باعثة على الاهتمام بدراسة الأدبيات الشعبية واللهجات الأندلسية والمغربية في كلية الآداب ولكني كنت في هذا كأشعب وأضرابه، فبعد مرور عشرين سنة على صدور تلكم الأمثال ظهر في الكلية المذكورة كتاب حول البحث اللغوي في المغرب خلال مئة وثلاثين سنة ولم يرد فيه ذكر لأطروحتي ، وأنا لا أريد هنا توجيه اللوم إلى المشرفين على إصدار هذا الكتاب ، وإنما أريد تسجيل أمر بدا لي على جانب كبير من الغرابة، وقد يكون السبب فيه سوء التوزيع أو سوء النية، إنما سوء التوزيع فإني معترف بوقوعه وعارف بسببه، فقد طبع القسم الثاني قبل القسم الأول ، وطبع من القسم الثاني ٢٠٠٠ نسخة ولم يطبع من القسم الأول إلا ١٠٠٠ نسخة ، وهذا ما يدفعني إلى الاتجاه إلى دار نشر تضمن توزيعه في المغرب والمشرق، وأما سوء النية فهو شيء مفترض لأن العدد الأول من مجلة كلية الآداب – وهي الكلية التي نشرت الكتاب المذكور – يحتوى على مقال طويل (من ص ٢٥١ إلى ص ٢٧١) كتبه محمد زنيبر في التعريف بأمثال الزجالي، وقد جاء في آخر هذا المقال ما يلي :

" ومجمل القول أن محمد بنشريفة فتح في هذا الفصل (يعنى الفصل الخاص بلغة الأمثال) بابًا من البحث الشيق والمفيد في تطور اللغة العربية من الفصحى إلى العامية وفي المقارنة بين مختلف اللهجات الدارجة في العالم العربي المعاصر، ونغتنم الفرصة لنعبر عن تمنٍّ نقدمه للسلطات الجامعية ولكل المثقفين وهو أن تحظى اللهجات العامية باهتمام خاص في برامج الدراسة والبحث ولا تبقى من المواضيع التي لا يلتفت إليها إلا المستشرقون " ولم يتحقق تمني زنيبر

مثلما لم يتحقق طمعي.

وإذا كانت " أمثال الزجالي " وملعبة الكفيف الزرهوني قد ضاعتا أو لم تستدعيا إلى تلك " المأدبة" اللغوية التي كانت جَفَلَى لا نَقَرَى فإنها قد لقيت ترحيبًا خاصًّا لدى العارفين في المشرق والمغرب ، وقد سمعت من الثناء عليها ما أخجل تواضعي ، وليس هنا مقام الكلام في هذا ، فلنرجع إلى الموضوع .

نظرًا لأن الموضوع العام لهذه الندوة الدولية هو التداخل بين اللغات فسأتحدث عن آثار التداخل بين العربية والعجمية في أمثال الزجالي وآثار التداخل بين العربية والبربرية في ملعبة الكفيف الزرهوني وسأبدأ الأول فأقول :

لقد وردت نصوص متعددة تشير إلى أن أهل الأندلس عامة والعجم منهم خاصة ، كانوا يعرفون العجمية (الرومانثية) وقد بنى الدارسون المحدثون من المؤرخين واللغويين على هذا وجود الازدواجية أو التعددية اللغوية في المجتمع الأندلسي، وإذا كانت " خرجات " الأزجال وغيرها تشهد لهذا فإننا نلاحظ أن الأمثال ، ومنها أمثال الزجالي وأمثال ابن عاصم ، يندر فيها وجود الكلمات الأعجمية ، وكان المنتظر حسب ما يذكر من انتشار العجمية في البيئات الشعبية أن يكون عدد الكلمات العجمية كثيرًا في الأمثال المذكورة ، وأما أثر العجمية في الشعر الفصيح فإنه أندر من الكبريت الأحمر ، وإذا كنا نجد ظرفاء عباسيين يملحون أشعارهم بكلمات فارسية وظرفاء مصريين يملحون أبياتهم بكلمات تركية فإننا لا نجد مثل هذا لدى الشعراء الأندلسيين إلا نادراً، ومن ذلك تلكم المداعبة المشهورة التي جرت بمجلس عبد الرحمن الناصر بين عبد الملك بن جَهْور وأبي القاسم بن لُب وفيها يقول هذا الأخير :

لولا حيائي من إمام الهدى

نخست بالمنخس " شو قُولُ "

و" شو قِوِل " هي : su culo[١]

ومن ذلك أيضًا ما جاء في اقتباس الأنوار للرّشاطي (وهذه الشهرة مبنية على كلمة أعجمية):" وقّش : قرية بثغر الأندلس ، قال بعض المُجّان :

جَارِية أبصرتُها ناهِدًا

في قَرْيَةٍ تُعْزى إلى وَقّش

قُلْتُ لِمَنْ نَهْدَاكِ يَا هَذِهِ

قَالَتْ بِرُومِيَّتِها :" تُوَشِ "[٢]

معنى توش متاعك " .[٣]

وهذا رسمها بالحروف اللاتينية : tuas، وإيراد الرشاطي المحدّث للبيتين وشرحه للعبارة الأعجمية يدلّ على ظرفه ومعرفته بعجمية الأندلس وهو أمر مقرّر ومؤكد، فقد كانت مربيته عجمية، وإذا كان مثل هذا نادراً جدّا في الشعر الفصيح فإنه شائع في الأزجال والموشحات ، ولاسيما في الخرجات ، ومع هذا فإن أثر العجمية في اللغة العربية الأندلسية هو في نظرنا دون ما يظنّ، وهذا مع احترامنا لجهود سيمونيت وغيره في هذا الميدان، ولعلّه من الطبيعي أن يكون أثر اللغة العربية في القشتالية وغيرها من لغات شبه الجزيرة هو الأقوى والأوضح ، ويدلّ على ذلك قاموس الأكاديمية وغيره .

إن التأثير والتأثر بين العربية والعجمية في الأندلس يظهر في مستويات متعددة نذكر منها ما يلي :

١-المستوى المعجمي أو مستوى الألفاظ ، وهذا هو أبرز مستويات التداخل اللغوي في جزيرة الأندلس، والجانب الذي يعنيني هنا هو الألفاظ الرومانثية الداخلة أو الدخيلة في عربية أهل الأندلس، وهذه الألفاظ نجدها على الخصوص في كتب النبات

(١) راجع الخبر في البيان لابن عذاري .

(٢) اقتباس الأنوار (مخطوط) ولم يرد البيتان فيما طبع منه .

(٣) في voc ص ٦١٨: متاعك : tuas وهو تفسير مطابق لتفسير الرشاطي .

مثل كتاب المفردات لابن البيطار[1] وكتاب عمدة الطبيب لأبي الخير الإشبيلي[2]، ومنه استخرج أسين بلاثيوس " معجم الألفاظ الرومانثية " المنشور عام ١٩٤٣م كما نجد هذه الألفاظ في المعاجم الأندلسية (التي وضعها مسيحيون مثل Voc و Alc اللذين أشرت إليهما سابقًا ، ونجد أيضًا شيئًا من هذه الألفاظ في كتب لحن العامة الأندلسية ولكنها قليلة ، والذى نجده من هذا المستوى في أمثال الزجالي حوالي ٢٥ كلمة .

٢-ومن مستويات تأثير العجمية في العربية العامية بالأندلس تلكم المقاطع التي توجد في آخر بعض الكلمات العربية، وأشهرها وأكثرها مقطع "on" الذي جرى الأندلسيون على جعله في آخر الأسماء العربية ، ومنها : زيد = زيدون، عمرو= عمرون، ويراد بهذا التكبير كما نصّ عليه المؤرخ الرازي[3] وقد ذكرت من هذه المقاطع سبع حالات وردت في أمثال الزجّالي وغيره، ولم يكن بعض علمائنا الأقدمين يجهلون معنى هذه المقاطع كما يدل على ذلك نص ورد في الذيل والتكملة .[4].

٣-ومن مستويات التأثير النّاشئ عن الاحتكاك باللغات الرومانثية في الأندلس واستعمال عجمها للّغة العربية بروز بعض الحالات في الاستعمال اللغوي ، مثل : تأنيث المذكّر، وتذكير المؤنّث، واستعمال الجمع، محل المفرد والمفرد محل الجمع وما أشبه ذلك، وقد فسّر الأستاذ خ.ب. لاثرو أمثلة عديدة وردت في مدخل ابن هشام من هذا القبيل، ومن المعروف

---

(١) راجع عمل الأستاذ إبراهيم بن مراد في هذا الكتاب المطبوع قديمًا .

(٢) نشرته أكاديمية المملكة المغربية في مجلدين بإعداد الأستاذ محمد العربي الخطابي.

(٣) يبدو أنّ الأستاذ كوريينتى لم يهتم بهذا النص الذي ورد في المعيار للونشريسي .

(٤) الذيل والتكملة ١.

أن مثل هذا قد حصل أيضًا بسبب التداخل اللغوي والثقافي بين العربية والفارسية، والعربية والبربرية ، ومن أشهر الأمثلة التي نضيفها إلى ما عدّده زميلنا المذكور كلمة باب التي يؤنثها عامّة أهل فاس ويسري غلطهم فيها إلى الخاصة ، كما أن البربرية تؤنّث كلمة المسجد قياسًا على كلمة الكنيسا . وانسحب ذلك على كلمة جامع التي وردت مونّثة في بعض النصوص التاريخية، وما تزال بهذا الاستعمال في شمال المغرب.

٤–وثمة مظهر آخر للتداخل بين العجمية والعربية في الأندلس نلحظ شيئا منه على مستوى التركيب ، ومن أمثلته في أمثال الزجّالي قولهم :

غُبَارُ الغَنَمِ كُحُول هُو لِعَيْن السَّبع. (*)

فالمطابقة تامة بين التركيب العربي هنا والتركيب القشتالي وهو كما رواه سنتيلانا :

El polvo de la oveja, alcohol es para el lobo

وثمة أمثلة متعدّدة من هذا المستوى في أمثال الزجّالي وابن عاصم وكتب لحن العامة .

وبعد، فهذه مجرد إشارات عامّة إلى بعض ما يتعلق بالتداخل بين العربية والرومانثية في شبه الجزيرة الإيبيرية من خلال أمثال الزجالي ، ومن المعلوم أن هذا القرطبي الأصيل بعد خروجه من قرطبة قضى شطرًا من حياته الأخيرة في مدينة مراكش التى دفن بها ، فيها ومن هنا فإن مجموعه في الأمثال يقدّم لنا كذلك شواهد على التداخل اللغوي بين العدوتين ولاسيما على المستوى المعجمي أو القاموسي، وإنّه لأمر طبيعي أن يحصل هذا التداخل بعد ما يقرب من ثلاثة قرون من الوحدة بين المغرب والأندلس كانت مليئة بالتنقلات الكثيرة والمخالطات الواسعة ممّا من شأنه أن يقلص الفروق بين اللهجات العربية في الأندلس واللهجات العربية في العدوة ، وأظنّ أن الأستاذ

(*) راجع أمثال العوام في الأندلس (القسم الثاني) .

كولان كان على حق عند ما قال في معرض كلامه على " عامّية" المغرب في عصر الموحدين : " إنّ من حقّنا أن نتساءل إلى أي حدّ كانت العربية الدارجة في المغرب مخالفة للعربية الدارجة في الأندلس " (*).

قلت آنفًا إن التداخل اللغوي بين العُدْوتين في هذا العصر كان شيئًا ملموسًا على مستوى الألفاظ المستعملة، وهذا ما تشهد له النصوص والمعاجم التي ترجع إلى تلك الحقبة، وسأورد أمثلة من هذه الألفاظ فيما يلي :

- قطيم : وصمة يعير بها من بهم شذوذ جنسي، وهي فيVoc ص٥٨٣، وقد استعملت في الشعر الفصيح، ووردت في أمثال متعدّدة عند الزجالي رقم ١٦٥، ورقم ٣٨٤، ورقم٤٨٨ ، ورقم ٥٢٠ ، ورقم ٧٨٧، ورقم ٩٦١ ، ورقم ١٦٦٤. وقد كان أبو العباس السبتي يتلفظ بهذه الكلمة كثيرًا (الأعلام للمراكشي ١: ٢٤٠) والكلمة غير مستعملة اليوم.

- قِطاع : درهم ، وهي أيضا في Voc ص ٤٩٤ ، وقد وردت في أمثال متعدّدة عند الزجّالي (انظر الفهرس) واستعملها ابن قزمان وغيره من الزجالين كما استعملها عبد الواحد ابن عاشر الفاسي الأندلسي الأصل في منظومته الفقهية، وذلك في قوله :

ثمَّ الصَّلاةُ والزّكَاة في القِطَاع
والصَّوْمُ والحَجُّ عَلَى مَنِ استْطَاع

والواقع أن الكلمة قاموسية فصيحة، جاء في القاموس للفيروزبادي : قطاع ككتاب الدرهم، ولكن استعمالها شاع في الأندلس والمغرب في العصر الذي نتحدّث عنه، ثمّ إنّه لم يعد مستعملا في العهود المتأخرة ، ولهذا فإن المثل الذي كان يقال في زمن الموحدين بهذه الصيغة:

حاجة بقطاع : يهودي يقضيها. أصبحت صيغته بفاس في القرن الثاني

(*) هسبيريس ١٩٣٠م.

عشر الهجري هكذا : حاجة بالدرهم : يهودي يقضيها .

-تَوْر (أي حسكة أو شمعدان) وهي من الكلمات المذكورة في Voc ص ٢٧٩ وقد وردت في أحد أمثال الزجالي رقم ٨٠٧ ونجدها مستعملة في مؤلفات العصر مثل كتاب الاستبصار (ص ٢٠) وقد رسمها محقق الكتاب بالثاء المعجمة ، والكلمة قاموسية فصحية ، وهي واردة في الحديث ، ولكن الجديد فيها هنا هو تطور الاستعمال من إناء يشرب فيه إلى شمعدان يستضاء به .

- الجوف (بمعنى الشمال) موجود في Voc وفيها أيضًا : ريح جوفي أي ريح الشمال، وهذا الاستعمال موجود في كتب الجغرافية القديمة وكتب الوثائق، ونجده كذلك في الشعر الأندلسي، فمن ذلك قول ابن اللبّانة يمدح ابن الأفطس :

وقْد كَانَ قُطرُ الجَوْفِ كَالجَوْفِ يشتكي
سَقامًا فَلَمّا زُرْتَهُ زاره الطبُّ .[1]

فالجوف الأول معناه الشمال والثاني هو المعدة ، ولابن الخطيب بيتان في السّها من النجوم الجوفية استخدم فيهما التورية بكلمة الجوف[2] التي تحتمل معنيين كما رأينا ، وإذا كانت كلمة القبلة بمعنى الجنوب ما تزال مستعملة فإن كلمة الجوف التي كانت تستعمل بمعنى جهة الشمال لم يبق لها هذا المعنى في الاستعمال الحالي .

- قطيع أي قنينة طويلة العنق ، وهي في قاموس Voc وجاءت في أمثال متعدّدة عند الزجالي (انظر الفهرس) وهي واردة أيضا في الأزجال والموشحات والأشعار، ومن ذلك قول ابن الطّبْني :

لاتَسْقِنِي إلاّ بِكَاسٍ إذا
شَرِبْتُهَا تَمْلِكُ عَقْلِي جَمِيع

(١) المغرب لابن سعيد والقلائد والذخيرة .

(٢) راجع ديوانه بتحقيق محمد مفتاح .

وَزَادَكَ اللهُ سُرُورًا إذا
سَقَيْتَنِي بِالْجَامِ أوْ بِالقَطِيعِ[1]

وقول ابن الإفليلي :

صَحِبْتُ القَطِيعَ ونَادَمْتُهُ
وَأصْبَحْتُ في شُرْبِهِ ذا انْقطاع
وأبْصَرتُ أنْسِي بِهِ وَحْدَهُ
كَأنْسِ الرَّضِيعِ بِثَدْيِ الرّضَاع .[2]

ولم تعد هذه الكلمة المسموعة في طرب " الآلة " أو الموسيقا الأندلسية معروفة لدى عموم الناس .

-طرقون : صاحب الملاهي ، وردت بهذا المعنى في Voc ويستفاد من نصّ لابن الخطيب في الإحاطة أنها كانت معروفة في أوّل عصر الموحّدين، ونقل مؤلف كتاب "المعزى" أن أهل مراكش كانوا يطلقون هذه الكلمة على أبي العباس السبتي على سبيل السخرية وقد وردت الكلمة أيضًا في شعر للفقيه عمر الزجال، قال :

وقد جلس الطرقون بالبعد مطرقًا
يقول : نصيبي أو أبوح بكتماني.[3]

-ضيف ، ضيفة، بمعنى السيد والسيدة اللذين لهما خدم وحشم، والجمع أضياف ، وقد جاء كل هذا في Voc ص٣٥٦ ، واستعمل في ثلاثة أمثال عند الزجالي رقم ٤٩٧ ورقم ١٣٣٩ ورقم ٢٠٦١ .

وسجّل هذا الاستعمال بطرس القلعي، وعلى هذا الأساس نفهمه في رسالة لبوعبدل إلى الملكين الكاثوليكيين تبدأ هكذا :"إلى السلطات والسلطانة أضيافي ... " وقد ظل هذا الاستعمال معروفا في المغرب، ونقف عليه في نصوص مختلفة ، ومنها رسالة وجهها أهل مدينة أسفي إلى عما نويل الأول ملك البرتغال وهي تبدأ هكذا : " ضيفنا ومولانا السلطان ... " .

-حلاّل بمعنى لص ويجمع على حلالين. والكلمة بهذا المعنى في Voc

(١) المغرب لابن سعيد .

(٢) نفسه .

(٣) أزهار الرياض المقرى وراجع الكلمة في Voc ودوزي .

ص ٤٠٢ واستعملها المؤرّخ البيذق بهذا المعنى ، وقد وردت في أمثال الزجّالي .

وثمة كلمات ترجع في الأصل إلى العهد المذكور أو ما قبله، وما تزال حية إلى اليوم ومنها :

-بنّيس : إناء معين ، والكلمة في Voc ص٦٢٠ وتجمع على بنانيس، وقد وردت في نصوص أندلسية ومغربية متعددة وفي أمثال الزجالي رقم ٦، ثم تُوُسي الاستعمال الأصلي وبقي الاستعمال المنقول إلى لقب أصبح علمًا مستعملاً إلى يومنا هذا تمامًا كما هو الشأن في كلمة برادة، وكلاهما الآن اسمان لعائلات كثيرة في المغرب .

- فنيش للبغل أو البردون، وهي في Voc ص٢٧٣ وتجمع على فنانيش، وقد ورد استعمال الفنيش في كتاب الأنيس المطرب لابن أبي زرع ، وذلك في سياق خبر مقتل المستنصر الموحدي (ص٢٤٣) ، ثم تنوسي هذا المعنى بعد أن نقل اللفظ إلى حقل الألقاب التى تصبح أسماء عائلية أو أسماء شهرة، وما يزال هذا الاسم العائلي معروفًا في المغرب إلى اليوم

- فقّون. هذه الكلمة توجد كذلك في Voc ص ١٥٦ وهي مأخوذة من الكلمة العجمية : فيقه أي التّين (عمدة الطبيب ١ : ١٤٧) والفقّون هو ما نسميه بالباكور ، ثم إن هذا المعنى تنوسي وأصبحت الكلمة بعد ذلك شهرة لعائلة قسنطينية أنجبت عددًا من الأعلام الذين يحملون اسم الفقون أو الفكون ؛ وقد نجد أمثلة من هذه الكلماتِ الأسماءَ التي هي من بقايا زمن الموحدين.

ثمّ إنّ نسبة كبيرة من ألفاظ Vocabulista المستعملة في القرن السابع الهجري ، وهو القرن الذي عاش فيه الزجّالي ، ما تزال مسموعة في بلدان المغرب الكبير ، ومنها الكلمات التالية على سبيل المثال لا الحصر :

البرّاح (أي المنادي) ص٥٣٢، الرقّاص (من يمشى بالبريد) ص٣٢٨،

السبّاط (النعل) ص٥٨٥، الزقّاط (الكذاب) ص٢٥٣، البسالة (الفضول) ص٣٢٨، الدبيلة (السهم) ص ٢٤٥، الحوّاس (السارق وقاطع الطريق) ص٥٣٢، السّماط (الزقاق) ومنه سماط العدول بفاس ص٢٧٦ ، الزرع (القمح) ص ٢٧١ الخدّية (المخدّة) ص٢٦٣، الخوخة (خوخة الباب) ص٥٢٥، القندورة (الدرّاعة)، القرنية (الكابوس) ص٢٧٢، الطروس (الكلب) ص٢٧٩، الخطّارات (معروفة في مراكش وغيرها) ص٢٩١، البجماط (نوع من البسكويت) ص٢٧٠، الفحص (البيداء) ص ٢٧٧، أم الحسن (طائر مغرد) ص ٥٢٢، الطيفور (إناء للأكل) ص٤٧٤، الفكية (الفاكهة) ٤٠٠ المرجع (مساحة في الحقل) ص٢٣٥، الحنبل نوع من الغطاء) ص٦٠٢ ، البندير (نوع من الدف) ص٦١٠ ، المخفية (إناء للأكل) ٦٢٠، الحضار (الكتاب) ص٥٧٢. اسفنّارية (الجزر) ص٥١٢، القبلة (الجنوب) شائعة

وهناك مظهر آخر من مظاهر التداخل بين لهجات الغرب الإسلامي في عهدي المرابطين والموحّدين، وهو المتعلّق بالبربرية أو اللسان الغربي أو اللغة الغربية وهي Algarabia في الإسبانية وCharabia في الفرنسية ، وأثر تداخلها مع اللهجات العربية في الأندلس والمغرب ملحوظ على مستوى الألفاظ وعلى مستوى التراكيب، فبالنّسبة إلى الأول نجد في Voc مثل هذه الكلمات : تفرمة (البازي) ص٢٦٤ ، أسمس (مأدبة ، نوع معين من المآكل) ص٣١٨، والكلمة مستعملة في كتابات المؤرخ البيدق وغيره ، تمغرة (وليمة معيّنة) ص٣١٨ ، كما نجد في كتب لحن العامة الأندلسية كلمات أخرى، منها : أدغص أي اللبأ ، وأكزل أي المخصرة ، وكرانه أي الضفدع (ألفاظ مغربية٤٠، ١٤٤، ٣٠٨) ، وفي أمثال الزجالي طائفة ، منها أيضًا : ازغار أي السهل، والبسيط وأغلال أي الحلزون ، وترخص أي البيسارة التي

تعمل من الفول .

وأما أثر البربرية في لهجات الغرب الإسلامي على مستوى التركيب فله أمثلة، وقد ذكر بعضها الأستاذ كولان معتمدًا على نصوص ترجع إلى العصر الذي نتحدث عنه، وقد استعمل ابن قزمان كلمات معدودات من البربرية فى أزجاله على سبيل التظرف ولكن استعماله لها يدلّ على أن هذه اللغة كانت مسموعة في الأندلس، وقد قصّ ابن مرزوق في المسند حكاية ابن زهد (ولعله أبو بكر الخفيد) مع أحد خلفاء بني عبد المؤمن (ولعله المنصور) فقد سمع أهل الحضرة (أي مراكش)يتخاطبون بينهم باللسان المصمودي فتشوّف لتعلّمه وعبّر للخليفة عن رغبته فأمر أن تكتب له هذه اللغة، وتذكُر الحكايةُ أن الخليفة سأل ابن زهر بعد مّدة طويلة عمّا حفظ منها فأجابه بأنه لم يحفظ إلا كلمة واحدة هي أوشّي أي أعطني ، ولما سمعها الخليفة أعطاه ما أرضاه وأمره أن يستمرّ في التعلّم ولمّا مرت مدّة أخرى من الزمن ، سأله هل حفظ شيئًا جديدًا فأجابه بأنه حفظ كلمة أخرى هي " رنّو " ومعناها زدني، فضاعف له الخليفة العطاء، ومهما يكن أمر هذه الحكاية فإن كتب البلدان مثل المسالك والممالك للبكري، وكتب النبات مثل المفردات لابن البيطار تحتوي على عدد كبير من الألفاظ البربرية في أسماء الأماكن والنبات مع ترجمتها إلى العربية، وفي الأخير فإن "التوبونيميا " البربرية ما تزال متجذرة فى شبه الجزيرة الإيبيرية .

وآخر ما أشير إليه باختصار شديد في موضوع التداخل هو المتعلّق بالاختلاف في الشكل ، فأمثال الزجّالي توجد منها رواية حسب النطق الأندلسى ورواية أخرى متأخّرة حسب النطق المغربي ، وهذا جانب يحتاج إلى تفصيل وتمثيل .

وإذا كانت " أمثال الزجّالي " ذات قيمة كبرى ومنفعة عظمى لدراسة الأندلسية والمغربية في عصر

الموحّدين فإن ملعبة الكفيف الزرهوني لها نفس القيمة والمنفعة تقريبا بالنسبة إلى حالة العامية في عهد بني مرين ، وقد لقيت " أمثال الزجّالي " اعتناء خاصًا واستعمالاً واضحًا لدى كبار المعنيين بهذا الموضوع من أمثال أستاذي المرحوم عبد العزيز الأهواني وأستاذي إميليو غرسية غومث وأصدقائي الأساتذة إحسان عباس ومحمود مكي ولا كرانخا وكورييتني ولاثرو، أما ملعبة الكفيف فإنه لم يمض عام وبعض عام على صدورها حتى ظهرت لها ترجمة إسبانية مع مقدمة وتعليقات(*)، وإني لفخور أن يقوم بهذا العمل شيخ المستشرقين في وقتنا ضون إميليو الذي يعرف جيّدا ما أظهره وأضمره من إعزاز لشخصه وإجلال لعلمه، وليست هذه هي المرة الأولى التي يتم فيها التلاقي بين أعمالي المتواضعة وأعماله ، فقد تلاقينا في الأمثال الأندلسية إذ طبعت أمثال العوام في الأندلس عام ١٩٧١ وظهرت أعماله القيّمة عن الأمثال الأندلسية في مجلة الأندلس فيما بين عام ١٩٧٠ وعام ١٩٧٢ ولهذا فإن كلّ واحد منا يحيل على الآخر فيما توجبه الأمانة العلمية، وقد يقع بيننا الاختلاف في القراءة أو الفهم، ولكنّي أستمع إليه دائمًا باهتمام واحترام، ولمّا نشرت مقامة طرْفَة الظريف قام سيادته بترجمتها ونشرها في مجلة STUDI LA ISLAMICA مع مقدمة نوّه فيها بطرافة النّص ومجهودي في تحقيقه ، ثم تواصلت إشاراته إلي وإحالاته عليّ في إصداراته الأخيرة حول "الحمراء" وفي كل مرّة أستفيد من إضافاته القيّمة، وأما ترجمته التي نعتها بأنها شخصية أو خاصّة فلم أفهم معناها بالضبط، إذ من الواضح أنه لابدّ من نصّ يرتكز عليه في الترجمة ، ولا شك في أن ترجمة أستاذنا الجليل

(*) ELGran Zèjel Marroquì del ciego de ZarhÙn .

كانت ممكنة بفضل النص الذي نشرته وشرحته وعرّفت بصاحبه وظروفه، وأنا أعترف بأن الأستاذ الجليل لا يزاحم في ميدان الأزجال، فهو شيخ الأجيال، في هذا المجال، وإذا كنت قد سكت عما يتعلق بالجانب العروضي فلأنه مشكل وموضوع شائك، وإذا كان سيادته قد بتّ في الأمر فإن لغيره رأيًا آخر فيه.

أما قضية التوزيع والترتيب فإني أشكر الأستاذ على توجيهه فيه وسأفيد من هذا التوجيه وغيره في طبعة قادمة ستكون مشكولة حسب عروض الملعبة، والواقع أن اهتمامي في هذه الطبعة كان منصبًا على المضمون التاريخي وغيره في النص، أما الجانب الشكلي ولا سيما العروضي منه فقد توقّفت فيه وأجّلت النظر فيه، وعلى كل فإن هذه الملعبة ما كانت لتصبح قابلة للقراءة والفهم لولا المجهود الذي بذلته، والمأمول أن نعثر على نسخة جيدة منها قريبًا بإذن الله، ولنرجع الآن بعد هذه الجملة الاعتراضية إلى الجانب اللغوي في الملعبة ، وسأنقل هنا ما كتبته في مقدمة الملعبة حول هذا الموضوع نظرًا لأن توزيع طبعتها كان محدودًا، وها هو نصّه فيما يلي:

يرى المستعرب الفرنسي الأستاذ كولان أن جميع الأزجال المغربية التي ترجع إلى ما قبل العصر السعدي، قد نظمت باللجهة الأندلسية التي كانت بفضل أزجال ابن قزمان وغيره لغة الزجل "الكلاسيكية" ويبدو أنه استند في إطلاق هذا الحكم على نماذج الأزجال المغربية التي أوردها ابن خلدون في المقدمة، ومنها نموذج ملعبة الكفيف، ومع تضلع الأستاذ كولان في اللهجات، وتمرسه بقراءتها ودراستها، فإن حكمه المذكور يظل قابلاً للنقاش، فإذا كنا نعرف الكثير عن اللهجة الأندلسية بفضل وفرة نصوصها ، فإننا لا نعرف طبيعة العامية المغربية القديمة، ولا مبلغ الفرق بينها وبين عامية الأندلس وهو فرق سجله ابن خلدون عقب سرده

أزجال الأندلسيين والمغاربة فقال : "وأعلم أنّ الذوق في معرفة البلاغة منها (أي من الأزجال) كلها إنما يحصل لمن خالط تلك اللغة. وكثر استعماله لها، ومخاطبته بين أجيالها، حتى يحصل ملكتها كما قلنا في اللغة العربية ، فلا يشعر الأندلسي بالبلاغة التي في شعر أهل المغرب ، ولا المغربي بالبلاغة التي في شعر أهل الأندلس والمشرق، ولا المشرقي بالبلاغة التي في شعر أهل الأندلس والمغرب ، لأن اللسان الحضري وتراكيبه مختلفة فيهم، وكل واحد منهم مدرك بلاغة لغته وذائق محاسن الشعر من أهل بلدته"[١]وهذا الذي يقوله ابن خلدون لا ينفي طبعا مستوى الفهم .فقد كانت أزجال ابن قزمان مقروءة في العراق والشام ومصر[٢] . وكانت مزدوجات ابن شجاع التازي معاصر الكفيف الزرهوني مروية في الأندلس إلى جانب أزجال مدغليس وابن قزمان والدبّاغ المالقي.[٣].

ومهما يكن الأمر فإن ملعبة الكفيف تستعمل فعلاً لغة الزجل الأندلسي ، وتشتمل على ألفاظ معروفة في هذه اللغة، ولعلّها كانت من الألفاظ المشتركة بين عامية الأندلس وعامية المغرب ، فقد ذكر بعضها ابن هشام اللغوي الإشبيلي السبتي في كتابه لحن العامة[٤] وهذه طائفة منها :-

- بلج أي أغلق الباب بالبلج أي المغلاق. انظر رقم ١٩٤ وقد وردت في لحن العامة لابن هشام وفي ALC ص٩٧وVoc ص ٥٢١،٤٠ وسيمونيت ص ٤٣٨ ، ودوزي ص٤٣٨ ، ويقال

(١) المقدمة : ١٤٧٤ – ١٤٧٥

(٢) الزجل في الأندلس للدكتور الأهواني .

(٣) انظر أزهار الرياض ١ : ١٢٣ ووصف أفريقيا ٢ : ٦٤ .

(٤) انظر ما نشره الدكتور الأهواني في مجلة المخطوطات .

البلاج – وجمعه بلاجة أو بلاجين – لصاحب هذه الحرفة، وسوق البلاجين في فاس معروف إلى اليوم بهذا الاسم.(انظر بيوتات فاس :٢٤ دار المنصورة) وسمعت أن الكلمة مسموعة في منطقة الشاعر .

– ساف، وهو الباشق . انظر رقم ٩٧ ولحن العامة لابن هشام، ودوزي ١ :٧٠٣ وما تزال الكلمة مسموعة في بعض المناطق بالمغرب .

–شابل، اسم سمك معروف إلى اليوم في المغرب يصطاد من الأنهار. انظر رقم ٤٠٨ وابن هشام ، والزجالي ٢: ١٤٠، ٤٣٧ .

–شاشية، هي القلنسوة. انظر رقم ٢٢٥ وابن هشام وVoc ص١٢٢ وص٢٨٠ وALC ص١١٧ وص١٤٣ ودوزي و١: ٨٠٢ وهي شائعة في المغرب.

–عاد بمعنىً بعد . انظر رقم ١٧٠ وقد ذكرها الزبيدي وابن هشام ووردت في ALC ودوزي٢ : ١٨٦، وما تزال مستعملة في المغرب.

ووردت مراراً في أزجال ابن قزمان.

– فدان للموضع الذي يحرث أي الحقل، (رقم ٤٥٦) وهي عند ابن هشام والزبيدي ، واستعملها ابن قزمان بهذا المعنى. وانظر دوزي ٢ :٢٦٤ .

–قيطون بمعنى خيمة استعملها بهذا المعنى ابن قزمان وهي معروفة في المغرب. انظر رقم ٣٤٣ .

–عصا موسى، وهي تسمية أندلسية للثريا . انظر رقم ٤٠٤ .

–الزكروم : القفل والغلاق . رقم ٣٧١ . وهي مدونة في Voc ص ١٨٨، وما تزال مسموعة في المغرب.

–الزز بمعنى صفع القفا . رقم ٤٢٥، وهي مستعملة في الشعر الأندلسي فصيحه وعاميه، وفي أمثال الزجالي وغيرها وقد ذكرها الزبيدي في تاج العروس ثم قال : " وهي شائعة بالأندلس" وانظر ما كتبناه حول الكلمة في كتابنا:

أمثال العوام في الأندلس ٢ :٢٣٧ .

-برّح بمعنى نادى، والبراح المنادي ، رقم ٢٩٨. وهي كلمة شائعة في النصوص الأندلسية والمغربية ، ووردت في أمثال الزجالي ٢ :١٣٢، ٢٣٠، ٣٩٠ .

-تور بمعنى حسكة أو شمعدان رقم ٣٩٧ وقد وردت فى الاستبصار: ٢٠ وفي أمثال الزجالي ٢ :١٨٤ وهي فيVoc ص ٢٧٨ .

- قارح بمعنى فرس وجمعه قُراح. رقم ١٤٥. ووردت في أمثال الزجالي ٢: ٣٥٣ .

-مُجّة بمعنى ثدي. رقم ٤٤٠ والكلمة واردة في Voc ص ٤٦٧ .

ومما هو مشترك بين لهجة الملعبة واللهجة الأندلسية أيضا ما يلي :

-المحافظة على كسر عين اسم الفاعل من الثلاثي مثل :

عادِل ، فارِس ، طائِل ، سائِس إلخ .

وهذا معروف في العامة الأندلسية وعامية منطقة جبالة في المغرب ، وإليها ينتمي صاحب الملعبة ، أما الشائع عند غير جبالة فهو الفتح .

-المحافظة على صيغة اسم الموصول : الذي . فاستعمالها هكذا متكرر في الملعبة، وهي المستعملة في أمثال الزجالي وأغلب النصوص الأندلسية العامية .

-ورود التنوين المفتوح، وهو نوع من التنوين شائع في الأمثال والأزجال، وقد تحدثت عنه في دراسة أمثال الزجالي. انظر ج١ ص٢٨١-٢٨٢ .

-استعمال "إكان" بمعنى لو، وأصلها أن كان ، انظر رقم ٣٤١ .

استعمال " بحل" للتشبيه، وهو استعمال ما يزال جاريا في اللهجة المغربية إلى اليوم .

-استعمال "ترى" بمعنى"وإذا به". انظر الأرقام ٢٠٢، ٢٣٠، ٤٢٧ . وهو استعمال أندلسي سجله معجم Voc ص ٣٦٠.

-استعمال "لس" أي ليس. رقم١٩.

-استعمال "هَولَ" أي هؤلاء. رقم٢٥٥. وترد كذلك في الأزجال الأندلسية (العاطل الحالى: ٥٠)وهي في

معجم Voc ص ٤٤٤ .

– استعمال "ذوك" بمعنى أولئك رقم ٢٥٥.

وقد وردت في الملعبة أمثال عامية توجد عند الزجالي وابن عاصم ومنها:

اش دعانا لراس الاقرع ... رقم١١٠.

الأعمش في حضرة العميا ... رقم ٣٥٠.

المكان ولا إمكان . رقم ٤٦ .

إذا نزل لقضا عمت الأبصار. رقم ٦٧.

زز قادسي . رقم ٤٢٥ .

در في غزولك . رقم ١٩١ .

وبعضها ما يزال مسموعًا إلى اليوم .

إن هذا التماثل بين ملعبة الكفيف الزرهوني وبين النصوص الأندلسية من حيث الاستعمال يمكن تفسيره بما يلي :

–تأثر الزجال المغربي القديم بمحفوظه من الأزجال الأندلسية .

–اشتراك لهجتى الأندلس والمغرب في عدد كبير من الألفاظ التي تعتبر ألفاظا مغربية بالمعنى الواسع .

–تأثر لهجة منطقة جبالة التي ينتمي إليها الكفيف باللهجة الأندلسية بحكم القرب والجوار، لأن أهل جبالة أو غمارة كانوا يقومون دائمًا بفرض الجهاد في الأندلس ويتطوعون بدخولها من أجل ذلك ثم يعودون إلى ديارهم، ثم أن عددًا كبيرًا من الأندلسيين استقروا بمنطقة جبالة في أفواج متعاقبة، فرارًا من الفتن التي كانت تنشأ في الأندلس، وخلال فترة الجلاء عن القواعد والمدن المفقودة ثم بعد الخروج الأخير من غرناطة وتوابعها .

ومع ما ذكرناه من مؤثرات أندلسية في الملعبة، فإنها تحتفظ بخصائص محلية، هي خصائص لهجة جبالة، وهذه المنطقة تمتد في شكل هلال من طنجة إلى تازا، وهي محفوظة بحزام من المدن هي النّكور وبادس وتيجساس وتطوان وسبتة والقصر الصغير وطنجة وأصيلة والقصر الكبير والبصرة وأسْجَن وبني تاودة ووليلى وفاس، وقد انتشرت

اللغة العربية في هذه المنطقة بفضل قربها من هذه المراكز الحضرية، وارتباطها بالمسالك التجارية، وانتشار المدارس القرآنية وغيرها، وساعد في تعريبها أيضا مجاورتها للأندلس وصلتها بها، وقيام إمارات إدريسية وغيرها فيها .

ويذكر الإدريسي أن القبائل المجاورة لفاس- حيث نشأ صاحب الملعبة – كانت تتكلم بالعربية، قال : "ويسكن حولها (فاس) قبائل من البربر ولكنهم يتكلمون بالعربية ، وهم بنو يوسف وفندلاوة وبهلول (بهاليل) وزواوة ومجاصة وغياثة وسلالجون".[1]

وقد درس المستعربون مثل بروفنسال وكولان هذه اللهجة الجبلية في العقود الأولى من هذا القرن، [2] وما تزال محتفظة ببعض الخصائص التي نجدها في ملعبة الكفيف الزرهوني ومن أبرزها :

-حذف الهاء من ضمير الغائبة في مثل قول الكفيف :

مِنا أي منها . رقم ٧ .

ما أصعبا أي ما أصعبها . رقم ٥١ .

ما أشرا أي ما أشرها . رقم ٥١ .

شرقا أي شرقها . رقم ٤٩ .

ومثل هذا كثير في الملعبة .

وفي بعض الحالات نجد الشاعر يقف على الهاء المذكورة بالسكون ويفتح ما قبلها كقوله :

ما شراها مليك ولا باعَهْ. (أي باعها) رقم ١٤ .

ومثل هذا الاستعمال معروف في لهجة أهل تطوان ، فهم يقولون في المثل: إذا جات تقودَهْ بشعرا ....

وقد جمع الشاعر بين الاستعمالين في قوله (رقم ٥) :

كانت إذا ذكرت كره خَبْرا

وقال اسمَهْ يفرق الأخوان

أى كره خبرها ، وقال : اسمها .

-حذف الهاء أيضا من ضمير الغائبين

(١) نزهة المشتاق : ٢٤٦ (الطبعة الإيطالية).

(٢) لبروفسال كتاب في لهجة ورغة ولكولان كتاب في لهجة تازة .

(والغائبات) كما في قوله :
بينَمْ أي بينهم . رقم ٢١٧ .
لمْ أي لهم . رقم ٣٤١ .
عِنْدَمْ أي عندهم . رقم ٣٣٩.
ومثل هذا متكرر في الملعبة . وهو مما يميز لهجة جبالة عن غيرها .
- استعمال فعل " ألقى " بمعنى عمل كقوله :
حتى ألقى سلسلا لذاك الشان .رقم٣١.
وما تزال مسموعة في مناطق جبالة وقد تنطق بالراء. وهي بالراء في لهجة غرناطة. انظر ALC وقاموس دوزي .
- استعمال " فاه"من الأسماء الخمسة. ولا يوجد هذا الاستعمال في اللهجات العامية في حين أنه ما يزال موجوداً في لهجة جبالة .

وثمة بعض الظواهر الصوتية في رسم النسخة الخطية الوحيدة للملعبة ككتابة الصاد سينا في الكلمات التالية:
- السحرا أي الصحراء.انظر الأرقام ٣٦، ٣١٧.
- يسورو = يصورو . رقم ٤٧ .
- يسرح أي يصرح . رقم ٥٨ .
- التسريح = التصريح . رقم ٥٨.
-السح أى=الصح والصدق رقم ٢٦٧.
- الحسرا = الحصرا . رقم ٣٥٢ .
- الحسران أي الحصران والحصار. رقم ٤٧١ .
وكتابة الضاد دالاً مثل :
-ودحا=وضحى أي وأضحى. رقم ٢٢٤.
وكتابة الزاي جيمًا مثل البيجان أي البيزان . رقم ٣٣٦ .
وكتابة الجيم دالاً مثل دشم أي جشم . رقم ٢٥٢ .

ولكننا لا نعرف هل هذا يمثل لهجة جبالة أو لهجة الناسخ المجهول، ونشير بالمناسبة إلى الفرق الواضح في القراءة بين النسخة الخطية ، وما ورد من الملعبة في مقدمة ابن خلدون وأزهار الرياض ، وقد أشرنا إلى بعض هذه الفروق في حواشي الملعبة.

ويبدو أن الكفيف كان يعرف الأمازيغية، فقد استعمل جملة من كلماتها،واستعان بها في بعض قوافيه،

وها هي الكلمات الواردة في الملعبة:

-ايسان أي الخيل . رقم ١١٦ .

-اسردان أي البغال . رقم ١٤٢.

انزران أي المطر . رقم ٢٣٦ .

إيمزدغن أي السكان . رقم ٣٤٢.

-أزرزي أي الكلفة المخزنية ، ومنها الكلمة المعروفة الزّرْزَاي أي الحمال، رقم ٣٤٥.

-غيلاس أي النمر أو الذئب. رقم١١٤.

- تاسا أي الوسط . رقم ٢٨٨ .

- تيسدنان أي النساء . رقم ٢٢١ .

ومن المعروف أن شيخ الزجالين ابن قزمان استعمل فى أزجاله بعض الكلمات البربرية مثل أشكد .

ونشير في النهاية إلى مستوى لغوي آخر في الملعبة وهو المستوى الفصيح، ويتجلى في طائفة كبيرة من الألفاظ المعجمية مثل الران، الزرق، القطعان، الشعراء،المعجر، الصافنات، وغيرها . كما يتجلى في التراكيب العربية التي لا ينقصها إلا الإعراب.

ولا شك أن هذا يدل على ثقافة الشاعر وتمكنه المتين من اللسان العربي المبين .

ومن هذا العرض الموجز والمركز فيما أحسب نعرف قيمة هذين النصّين الكبيرين المهمّين واللذين قدما إلينا مادة جديدة وغزيرة وصحّحنا على ضوئهما عدداً من المعطيات الأندلسية والمغربية وأذكر على سبيل المثال أن زميلاً تحدث في ندوة الخرجات عن الخرجة التي توجد فيها عبارة: دوش عملين،[١]-وهي عبارة أُتيح لي تصويبها في أزجال ابن قزمان، وذلك بفضل ورودها في أمثال الزجالي.[٢] إن الحظوظ التي أسعدتنا بالعثور على"أمثال الزجالي"و"ملعبة الكفيف الزرهوني" قد تسعدنا بالوقوف على نصوص أخرى تغني الدراسات اللغوية و"اللهجية" في الأندلس والمغرب .

---

(١) هو الأستاذ O.J. Z WARTJES

(٢) نشرت محرفة في Todo Ben Quzman وصوّبت في طبعة الأستاذ كوريينتى وأشار إلى تصويبي لها.



ألنَا فصحى وعامية ؟

للأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائى

والجواب عن هذا أننا لا نملك الفصحى في ممارستنا اللغوية؛ لأن هذه ملك أصحاب اللسن، وهؤلاء قليلون، ولكننا قد نملك الفصيحة ، ولا يمكن أن نبعد إرادة التفضيل عن الفصحى .

ثم أقول : ومصطلح العامية قاصر وذلك لأننا نواجه في أي بلد قدراً كبيرًا من العاميات في الألسن الدارجة. وقد يكون لنا أن نرى في بلد ما جماعة لا تستطيع أن تفهم ما يقال في مكان ما من البلد نفسه .

وعلى هذا فإني أذهب إلى قسم ثالث يكون قسيمًا لما نحن فيه، وهو العربية المعاصرة التي ندرج بها في وسائل الإعلام عامة. وليس لنا أن نقول الآن: إنها لغة جرائد كما كنا نقول في مطلع هذا القرن ، وذلك لأن هذه العربية المعاصرة التي انفردت بدلالاتها الخاصة وابتعدت في أبنيتها عن المتعارف المتعالم في فصيح العربية، وربما تنكرت للمشهور من نحو العربية وصرفها، أقول : إن هذه العربية المعاصرة أصبحت لغة سائرة قد تجد شيئًا منها في خطبة الجمعة .

وإلى أصحابي الكرام في مجمع اللغة العربية أبسط ما وقفت عليه من هذه العربية في صحف المغرب، وليست هذه بدعًا بين الصحف في عالمنا العربي، ذلك أنك تجدها في صحف كل بلد، فهل لنا أن ننبز هذه العربية ؟.

كنا نذهب فيما خرج عن بناء الكلمة وتجاوز حد المألوف من تركيب الجمل إلى القول بالخطأ، وقد كثرت

---

*ألقي هذا البحث فى الجلسة السابعة من مؤتمر الدورة الخامسة والستين يوم السبت ٢٥ من ذي القعدة سنة ١٤١٩هـ الموافق ١٣ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٩م.

هذه الأقوال التي قصد أصحابها إلى التصحيح ، ولعلهم تجاوزوا حد الصواب، لقد خيل لهؤلاء أن الكثير من وجوه القول في عصرنا داخل في حيّز الخطأ ، ولو أنهم استوفوا شيئًا من الاستقراء في كتبنا ومصادرنا لعدلوا عن هذا .

ثم إنه جدَّ في عصرنا كثير من الكلم الجديد، ومثله في المجازات الجديدة، وقد اضطر القائلون لهذا بسبب أنهم ملزمون به مضطرّون إلى الأخذ به لأنهم ينقلونه مما يكتب في اللغات الأعجمية.

لقد بدأ هذا الجديد يشيع في الصحف والمجلات، ثم تجاوز ذلك إلى الكتب العلمية، ولا سيما في الاختصاصات الاجتماعية ، ثم تجاوز ذلك اللغة الأدبية الحديثة .وأنت لا تفي حاجة إن اقتصرت على جعل هذا الجديد الوافد في حيّز الخطأ . ذلك لأنه عامّ شائع . وقد وجد سبيله إلى مواطن ما كان لها أن تشقى به، فقد تسمع بعض خطباء المساجد يديرون في خطبهم شيئًا من هذا الجديد الوافد .

لقد كان لي أن سمعت من هذا قول بعض هؤلاء في موعظة دينية قوله : " كان ذلك الأمر الرقم الفريد في المعادلة الصعبة" . وقول آخر :" إن القواسم المشتركة بين الآراء في الأمر هي كذا وكذا ... " .

أقول : ليس لي أن أبعد هذه الصيغ من هذه اللغة الجديدة : فشيوعها ودورانها في مختلف السياقات والظروف يعطيانها القوة .

ومن هنا ليس لي إلاّ أن أثبت مادة الجديد التي باتت كثيرة، وتكثر كل يوم.

إن البلدان العربية القريبة من البلدان الغربية بصلاتها قد عرف أهلها هذا الجديد فصار عربية إقليمية. وهذه تجد سبيلها إلى بلدان أخرى .

وسآتي على شيء من عربية أهل الشمال الإفريقي التي عرفها غيرهم من عرب المشرق.وأبدأ بما كان

لي، وهو قليل من كثير ، في القطر المغربي .

لقد قرأت في صحف هذا البلد عربية خاصة، وخصوصيتها تتأتى من تأثرها الواضح بما هو أعجمي فرنسي، ثم إنها ضعيفة من حيث إن المحرر للصحف لا يعرف العربية معرفة كافية .

وسأعرض هاتين المسألتين في هذا الموجز فأقول :

مما قرأت في الصحف التي حفلت بكلم غريب، لعله من فرنسية أسيئ أخذها فأعطيت دلالة خاصة، قول "المحرر ":

" عودة إلى موضوع "ماذا بعد إحصاء إسكان الكريانات " !!

لا ندري ما " الكريانات" هذه ؟ أهي من الفرنسية Carrière أم شيء آخر؟

ولإيضاح الكلمة أسوق شيئًا في الصحيفة نفسها .

" فإن الترجيحات والتكهنات والآراء المسبقة تبقى هي السائدة. وأهم ما يستأثر باهتمام سكان كرياني الحائط وسوق السلام هو كيفية مواجهتهم لنفقات بناء مساكنهم الخشبية بعد ترحيلهم " .

أقول : يبدو أن " الكريان "هو مجموعة مساكن يقيمها أصحابها من الخشب، وكأنها مؤقتة خاصة بأصحاب الأعمال الصغيرة كالباعة أو غيرهم .

وأنت القارئ غير المغربي لا تعرف فحوى الخبر لجهلك لمعنى"الكريانات".

أما الآراء "المسبّقة" فأنت تجدها في لغة الصحافة العربية في كل مكان ، ذلك أن الوصف " مسبّق ومسبّقة" بناء جديد . فلا نعرف في العربيّة صيغة المضاعف في "سبق" .

ومن هذه المواد الأعجمية ما قرأته: "فوجئ سكان حي السواني في الأيام الأخيرة بارتفاع مهول في "فاتورات استهلاك الماء" . أقول : "الفاتورات" جمع فاتورة .كلمة أخذت من اللغة الإيطالية وتفيد:"الأوراق" التي تخصّ

أثمان المواد المشتراة، وما يدعى ورقة استحصال أثمان ما ينفق من الماء والكهرباء في البيوت والمحلات العامة الأخرى، والأوراق التي يثبت فيها مبلغ الضرائب المستحقة على الباعة وأصحاب المصالح ونحو هذا .

أقول : وكان فينا غنى عن استعمال هذه "الفاتورات" وفي العربية ما يستطيع ذوو الحاجات أن يأخذوه ويستعملوه بديلا عن هذه الكلمة الأعجمية .

قد يقال: إن "الفاتورات" أو "الفواتير" قد يصادفها القارئ في غير الصحف المغربية وهذا لا يكون سببًا في إشاعة استعمالها .

ومن هذه المواد الأعجمية ما قرأته في إحدى هذه الصحف :

"إقامة "البراريك " في الحدائق يشوّه هذه الحدائق " .

أقول : إن " البراريك " من غير شك كلمة مجموعة لمفرد أجنبي فرنسيّ لا أتبيّنه. وليس هذا شيئًا لابد منه لاستعارته في هذه اللغة الصحفية.

ومن هذه المواد ما قرأت وهو "كروتا كارت " ..

أقول : ولابد أن يكون هذا يعني ضربًا من "بطاقة" تُبرز لغرض من الأغراض .

ومن هذا ما كان لي أن قرأته وهو: "وأراض وفلل للبيع" . وكأن كلمة "فلل" مما عرَّب المغاربة وكذلك المصريون ، وهي جمع " فِلاّ " villa وتعني الدار المحاطة بحديقة صغيرة.

ومن هذا استعمال "التلفزة" في ديار المغرب عامّة . ويراد بها "التلفزيون " ولا أدري كيف وصلوا إلى هذا ؟ إن صيغة " التلفزة " شبيهة بالمصدر . وقد تؤدي المعنى المصدريّ وهو البث بهذا الجهاز ؟ أو نقل الخبر أو الصورة عن طريق هذا " الجهاز " .

ومن هذا استعمالهم "ورشة "بمعنى "مشغل " أي مكان عمل أو إصلاح أجهزة أو " صنع بعض الحاجات المنزلية" أو غيرها. والكلمة إيطالية

ويجمعونها على" أوراش " وقد قرأت: " ورشة لتعليم اللغة العربية" وكأن هذه الورشة معهد صغير يشتمل على "مختبر لغوي " بأجهزته السمعية البصرية ونحو هذا .

أقول وأتلو قوله تعالى : " كَبُرَتْ كلمةً تخرج من أفواههم إنْ يقولون إلا كَذِبا " .

ومن هذا استعمال أسماء الشهور الأعجمية التي عالجوها بشيء من التغريب ليجعلوها مغربية أو جزائرية أو تونسية نحو :

" يوليوز " وهو الشهر السابع ، وهو في "تموز " من أسماء الشهور الشرقية التي استعملها العرب مستعارة من مواد بابلية أو غيرها .

و" غشت " وهو الشهر الثامن، وهو " آب " من أسماء الشهور الشرقية.

و" شقنبر " وهو الشهر التاسع، وهو " أيلول ".

و" دجنبر "وهو الشهر الثاني عشر ، وهو " كانون الأول " .

ومثل هذا نجده فى الأشهر الأخرى الباقية.

ومن التأثر بالفرنسية نجد اسم المرض المعروف بـ " نقص المناعة " وهو " الإيدز" في الصحافة الغربية الإنجليزية والأمريكية ، وقد شاع هذا في أكثر لغات العالم هو " السيدا " في الصحف الفرنسية . وهذا إعراب فرنسي. والكلمة في صورتيها آتية من جمع الأحرف الأولى للكلمات المؤلفة لهذا المصطلح العلمي الذي ترجمناه بـ " نقص المناعة " غير أن ترتيب هذه الكلمات في الإنجليزية على عكس الأمر في الفرنسية ، فكان " الإيدز" وكان " السيدا ".

ومثل هذا كثير بين الفرنسية والإنجليزية ومنه حزب "الناتو" لدى الأمريكيين والإنجليز وهو الإوتان لدى الفرنسيين .

هذا مجمل ما وقفت عليه في صحف قرأتها خلال إقامة قصيرة في مدينة الدار البيضاء .

ثم أتحول إلى شيء آخر يتصف بالخطأ وفساد التركيب واستعمال كلمات لا تفي بالغرض .

وقرأت من هذا قول أحدهم :

" جرت مبارة " وهو يريد " مباراة ".

قد تقول : وكيف حدث هذا الغلط ، والجواب أن القائل حسب " مباراة " جمعًا كسائر الجموع بالألف والتاء مثل زهرات وفاطمات وغيرهما . ولم ينظر إلى التاء المعقودة، ولما كان له هذا التصور أخذ منه فقال: "مبارة "!!.

وقرأت :

" ويتقدّمّ فلان بأحرّ التشكّرات للذين واسوه .. "

أقول : و" التشكرات " جمع "تشكّر " وهو مصدر للفعل " تشكّر" ولكنه غير معروف استعماله في العربية .

إن الأبنية في العربية مرهونة بالسماع. فلم يسمع في " شكر " المزيد على " تفعل " وقد يكون لي أن أقول : هذا من ألفاظ العربية التي استعارها غير العرب فوصلوا إلى هذا البناء الذي لم يعرف ولم يستعمل.

ثم إن جمع المصدر سماعي. وهذا السماع يكون حين يتحوّل المصدر إلى اسم، ومن هذه : النزاعات والخصومات والفتوحات والنزالات وغيرها . قال تعالى :

" فيهنّ خيرات حسان " .

وقرأت أيضًا :

"وحدث في الإبّان كذا وكذا ".

أقول " الإبّان " بتشديد الباء بمعنى الحين أو الوقت .

غير أن هذا الظرف لم يسمع معرّفًا في استعمال المعربين . يقال مثلاً : حدث ذلك إبان قدوم السيد الرئيس .

أقول : وتعريف " إبّان " ليس من الخطأ. ولكنه استعمال مغربي أو إفريقي خاص .

وقرأت أيضا :

" توقيف الأشغال بالسدود " .

أقول : المصدر " توقيف " ليس من الخطأ ولكن الذي جرى به الاستعمال هو " إيقاف " وبناء " أفعل " أكثر

وروداً في العربية من المضاعف المزيد وهو " وقف " واستقراء لغة التنزيل العزيز يثبت هذا الذي ذهبت إليه . ثم إن التوقيف دلالة غير "الإيقاف " . ولكن هذا الفعل المزيد بالتضعيف ومصدره قد كثر في العربية المعاصرة فالتصليح أكثر استعمالا من " الإصلاح"، وربما اختص ما ورد على " أفعل" بدلالة خاصة غير دلالة ما ورد على "فعّل". فالإكرام غير التكريم . والإثبات غير التثبيت .

وقد يكون من هذه اللغة الصحفية ما ابتعد عن الدلالة الصحيحة. ومن ذلك قولهم :

" تم قفل الوكالة البريدية " .

أقول : و"القُفل " لا يعني الإقفال أي الإغلاق " يقال : قفَلَ راجعًا قفلا وقفولا ، ومن هذا لفظ " القافلة " للجماعة الراجعين ليس غير .

ومن هذه الاستعمالات التي جنحوا بها عن الصواب ما قرأته :

" نجد البلدان السبعة يحتلّون المراكز السبعة في العالم " .

وكان الصواب أن يقال : البلدان السبعة تحتل المراكز السبعة .

وليس لي أن أتأوّل فأقول : أرادوا أهل البلدان السبعة ؛ لأن هذا القصد إلى تحرّي الصواب ليس مما ذهبوا إليه . وأين هذا من قوله تعالى: "واسأل القرية التي كنا فيها "؟ والمراد أهل القرية . وهذا التأويل في عبارة الصحيفة غير وارد لأن العاملين في الصحف أهل عامية دارجة يرون أن استعمال "الحاجيّات" كلام فصيح . وكأن "الحاجات " من الخطأ .

أقول : وكثير من هذا الذي يثبت في هذه الصحف المغربية قد أبى إلاّ أن يكون أعجميًا . وإلا كيف لك أن تسيغ قولهم :

" إن " الدار البيضاء " أحسن المدن "الثالث " عالمية " ؟!

بخ بخ لك أيها النحرير المحرر الذي

أبيت إلا أن تسير في ركب الأعجميين حذو الفعل بالفعل ، ومن الذهاب خلف الأعجميين الانجراف في عامية دارجة كقولهم :

" تقرير بنك المغرب ها هو .. وتقرير حقوق الإنسان " فين هو "!! ومن هذه العامية جهلهم بمعرفة ثوابت العربية كالجمع والتثنية . ومن ذلك يُرجى من " الزُبناء الكرام أن ..

أقول "إن "الزبناء" ليسوا كرامًا ولا "الزبائن" في ديار المشرق وكيف يكون "زبون " في هذا الجمع ؟

إن بناء "فعول " من الصفات بجمع "فُعُل " نحو صبور وصُبُر ، وإذا جاء منه اسمًا فقد يُحمل عليه، والسماع فيه هو الجاري .

ثم إن" زبون "مما ورد العربية من السريانية في عصرنا ولم يعرف المعربون في فصيح العربية "الزبون" بهذا المعنى ، بل عرف صفة للحرب فقالوا : حَرب زبون . أي تزبن المشاركين فيها أي تطعنهم .

وكان يقال للمتردد على مصدر ما يتزوّد منه حاجته ومتاعه : "حريف " وجمعه حُرفاء . ومن العجيب أن التونسيين من البلاد المغربية يستعملون هذه الكلمة في عصرنا هذا، وهو من الغريب النادر.

ومن التأثر بالعامية الدارجة عدم معرفة أصحاب هذه اللغة الصحفية بالمثنى وتوابعه فأنت تقرأ :

" زمان كان فريد الأطرش وأمّ كلثوم.. يغنّون " !! .

ومن هذه العامية التي وجدت السبيل إلى لغة هذه الصحف ما قرأت:

"مطلوب مدرسة "خصوصي" ! أقول : كأن " خصوصي"

مما يستوي فيه المذكر والمؤنث !!

ومثل هذا :" مطلوب سائق عمومى" أى للحافلات العامة، ولو كان السائق امرأة لقالوا كذلك .

وتقرأ من هذه الصيغ الغربية التي لا تحتملها العربية كلمة" الخوصصة " في سياق تفهم فيه : نقل الملكية مما

بأيدى " القطاع العام " إلى " القطاع الخاص ".

وقد أفلح التونسيون حين استعملوا من هذا "التونسة " فقالوا : تونسة التعليم أي جعله تونسيًّا .

ومن هذه الغرائب العامية توليد الكلم الذي لم يسمع في العربية، ومنه:

" تَسويء الصائفة" : أي جعل الصيف سيّئًا والمصدر للفعل "سوّأ " الفعل الذي لانعرفه في العربية .

ثم إن "الصائفة " لا تعني "الصيف " وقديما استعملت " الصائفة" للغزاة أو الفاتحين في " الصيف " .

ومن هذا الجديد الذي لا يُهتدى فيه إلى وجه في العربية قولهم :

" مُسلسل " الفضائح يطال حكومة الرئيس " فلان " .

وقولهم " يطال " أي يتوجّه بالاتهام إلى " الرئيس فلان " .

أقول : ومثل هذا قولهم :

وهذه التهمة " طالت " الرئيس فلان .

ولا نعرف في هذا الفعل هذه الدلالة الجديدة إلا في صحف عصرنا.

ومن هذا توليد دلالة خاصة لكلم عاميّ جديد . ومنه :

" حَراجات للأثاث المستعمل " .

و" حَراج " يعني ما يشبه " السوق" يباع فيه الأثاث المستعمل وغيره بطريقة "المزاد العلني " فينادى على الشيء الذي يراد بيعه فينبرى الواقفون بالزيادة على السعر إلى أن يستقر على قدر معين فيكون الشيء لمن أظهر هذا السعر الجديد .

أقول : وليس في " حراج " شيء يومئ إلى هذه الدلالة .

وأنت تقرأ من هذه العامية ما لا تستطيع أن تسيغه وتفهمه، ومنه :

" العالم بأسره الذي يسمع التشكيل الإسرائيلي بسلامة نبّات الفلسطينيين وبصدق "تكويعهم " الذي عطّل الذرائع وغيّر المواقف " ...

وليس لك أن تفهم ما المراد بـ "التكويع " ؟!

ومن هذا أنك تقرأ مثلاً :

أما الرئيس فلان فقد أغناه الاحتفال في دياره عن كل سجال وجَدَل حادّ.."

أقول: كأن كلمة " سجال " أريد بها "الجدال " أو " النزاع " .

وهذا مما لا نعرفه في العربية ، وليس لنا من حيلة إلى قبوله . والذي جاء بهذه الدلالة الغريبة قول الأقدمين: " الحرب " إلا أنها لا تعني الحرب ولا تعني الخصومة أو الجدال، هي جمع "سَجْل " بمعنى "دلو " .

فيكون من هذا " الحرب سجال " أي أن الحرب تكون طوراً للطرف الأول المشارك فيها وطوراً آخر للطرف الثاني .

والعبارة قائمة على التشبيه بالاستسقاء من البئر . والسجل مرة للمستقي الواقف على اليمين ، وأخرى للمستقي الثاني الواقف على الشمال .

فأين نحن من هذا ؟!

ومن هذا الغريب الجديد استعمال الجمع الذي لم يشتهر استعماله ومنه :

" المؤسسة العامة " للأبناك " !!

و" الأبناك "جمع " بنك " .

أقول : والجمع صحيح ، وهو نظير " نهر وأنهار " إلاّ أن هذا الجمع لم يعرفه المعربون فقد ذهبوا إلى" بُنوك" واشتهرت هذه الصيغة في كثير من البلدان العربية .

ومن هذا أيضًا قولهم في مراكز البريد:

وإرسال الرزمات .

أقول : و"الرزمات " جمع " رزمة " وهو جمع مؤنث صحيح، ولكن مشاع في الرزمة أن تجمع على " رِزَم" ثم إن الجمع بالألف والتاء ينصرف في الغالب إلى معنى القلة : فأنت تفهم من " السنوات " القلة أي دون العشرة بخلاف " السنين " التي تدل على العدد الكثير ، ومثله " سنبلات " و"سنابل " .

و" الرِّزَم " في مراكز البريد عدد كبير فلا يحسن استعمال " الرزمات" ومن هذا ما قرأته فى مراكز البريد في "الدار البيضاء " :

"شعبة البعائث المسجلة ".

و" البعائث " جمع "بعيثة " . وهو شيء خاص وجدته في المغرب . وهو صحيح، لكن قد نجد نظيره "شعبة الرسائل المسجلة" و"المرسلات المسجلة". وهذا أكثر من "البعائث " .

ومنه قولهم :" إدارة "مفاحم " المغرب".

أقول : كأن "المفاحم " جمع مفحمة" أو"مفحم"وهي مراكز استخراج الفحم . وهذا جيّد. ولكنه خاص بهذه الديار.

ونقرأ من هذه الغرائب ذات الخصوصية المغربية :

" بعَثَ من أزيَد من ٤٦ طالبًا وأستاذاً درسوا بالمدارس العليا للأساتذة رسالة يلتمسون فيها إثارة مشكل وضعيتهم الإدارية والمالية ".

أقول: جاء في الجملة " استعمال " أزيد،ولا أقول إنها خطأ، ولكني أقول: إن كلمة " أكثر " هنا تفي بالحاجة وفاءً لا يؤدى بالكلمة "أزيد".

ثم إن المشكل " يقابل " المشكلة " لدى المشارقة .

قد تقول : لِمَ ذهب المغاربة إلى "المشكل" وهو كلمة مذكرة؟ والجواب أن هذه تقابل "problème " الفرنسية وهي مذكر . ولما كان أهل الشمال الإفريقي ينظرون إلى الكلم في الفرنسية، فلا بد أن يصيروا إلى هذا.

وليس " المشكل " في العبارة المغربية الحديثة مأخوذًا من استعمال الأقدمين نحو: " تأويل مشكل القرآن " و " مشكل الحديث " ونحو هذا .

ومن هذا قولهم :

" وعدم القدرة على التعبير يظهر في الاستجوابات الإذاعية والتلفزية خاصة، وإن كان الصحفيون يرمّمون تصريحات مستجوبيهم على أعمدة الجرائد والمجلات ".

أقول :وقولهم :" التلفزية " منسوب إلى " التلفزة " ، وهي " التلفاز " أو "جهاز التلفزيون "في استعمال أهل المغرب، وهو استعمال خاص أو قل: "تعريب خاص" والذي أراه أن "التلفزة" تصلح للمصدر أي ما يُبَث بهذا

"الجهاز " .

ومن هذا استعمالهم :" الإشهار " بمعنى الإعلان : أو " الإعلام " ، وكأنه من " poblicite " فيقولون مثلاً : " تنحية اللوحات الإشهارية " ويقال : بصورة " "إشهارية " . وليس في هذا القول بالخطأ . ولكنه عربية خاصة

ومن هذه الخصوصيات الصحفية في المغرب قولهم :

"إقلاع نصف عدد المدخنين في أمريكا".

أقول : كأن المحذوف من العبارة معروف وهو : " عن التدخين " .

ومن هذا أيضًا قولهم :

" إن المرشحين للوظيف الحكومية قدّموا استدعاءات ".

أقول" الوظيف " في استعمال المغاربة اسم جمع واحده "وظيفة " مثل كلمة " فسيل " وواحدها " فسيلة". وهذا هو الاستعمال الشائع الفاشي في البلدان المغربية ، ولا يعرفه أهل المشرق ، ثم إن "الاستدعاءات " جمع استدعاء " بمعنى " تقديم طلبات".

وكأني أرى أن هذا بقية من العربية التى عرفها الأتراك العثمانيون واستعملها العرب منهم ، وقد كانت معروفة لدى عرب المشرق . وهو مما أخذوه من اللغة الرسمية أيام الحكم العثماني .

ومن هذه الخصوصيات المغربية استعمال بعض المصادر التي لم تعرف في العربية على نحو كثير ، ومن ذلك قولهم:

" أشغال ترصيف " بمعنى "أشغال تتصل برصف الطرق وإقامة الأرصفة فيها" .

ومثله قولهم : " إعطاء العمّال منحة السفر وتمتيعهم بالعطلة السنوية " .

أقول :إن " التمتيع " مصدر الفعل "متّع " وهو صحيح . ولكنه لم يسمع. وتقرأ من هذا الذي لم يشتهر سماعه: " حكومة شامير معرّضة للانفراط ". ويراد بـ" الانفراط " " السقوط " .

ومثله قولهم : الدخول ممنوع

"المنخرطين ".

ويراد بـ " المنخرطين" "المسجلون " المشتركون في "ندوة أو نادٍ " مثلا .

ومن هذه الخصوصيات قولهم : "تدشين معهد التكوين ".

أقول : و " التكوين " هنا يشير إلى الكلمة الفرنسية Formation ويعني تخريج الطلاب المزودين بمعرفة خاصية فنية أو حرفية في مركز ما أو معهد من المعاهد . ثم أن "تدشين " عامية واستعملها المشارقة ، وأصلها كلمة سريانية دخيلة .

ومثل هذا قولهم:" مديرية تكوين "الأطر". أقول :ويراد بـ "الأُطُر"، جمع " إطار " و " تكوين الأطر": مثلا " توفير المختصين من عمّال أو فنيين"، وقد يكونون أطباء ومهندسين وبيطريين ونحو ذلك. وقد تكلمنا على "تكوين "، وأما الأطر : فجمع إطار ، وقد يجمع جمعًا مؤنثًا على "إطارات" وهذه جيء بها لتقابل الكلمة الفرنسية "cadres " وحقيقته في الفرنسية لإطار الصورة أو اللوحة أو الجدول أو نحو ذلك غير أن الفرنسيين صرفوه مجازًا إلى ما أشرنا إليه، فجاء العرب وصرفوا " الإطار " إلى نحو ما فعل الفرنسيون.

ومن الخصوصيات المغربية استعمالهم " قارّ " و" قارّة " لكل ما هو " دائم فيقولون مثلاً :" من أجل إحداث مخازن قارّة للحبوب ".

" والتعليم القارّ والضرائب القارّة، وغير ذلك " :

ومن هذه الخصوصيات قولهم :

"إدانة المتّهم بالسجن عشر سنوات نافذة".

ويراد بـ " نافذة " أن المتهم يقضيها في السجن : أي أنها غير موقوفة .

ومن هذا الذي ينظرون فيه لما يقال في الفرنسية قولهم :

" نُزعت الأراضي من مالكيها لاستغلالها من طرف مصالح المياه".

أقول : وقولهم:" من طرف " ينظر

فيها إلى العبارة الفرنسية"de la part" والفصيح المليح أن يقال:" من لدن "، وقد يقال :" من قِبَل ".

ويقال " : " توصّلنا برسالة من سكان القرية يثيرون فيها أنهم مُنعوا من زيارة مسجد المجاهدين :" أقول : وقولهم :" توصّلنا " بمعنى " تسلمنا وكأن هذا يومئ إلى الفرنسية " Faire coommuniquer و communiquer

ويقال : " أعلن المكتب السياسي لحزب العمل الإسرائيلي تأييده لفرط عقد حكومة الوحدة الوطنية؛ لقد قرر المكتب السياسي بغالبية ساحقة ٤٠ صوتًا مقابل صوتين وامتناع ستة عن التصويت ".

أقول : واستعمال " الفرط " بمعنى "الإسقاط" أو" السقوط " قد سبق الكلام عليه، ثم إن" الغالبية الساحقة "هي ما يقال la majorité écrasante والعبارة كلها مما استعير من الأسلوب الفرنسي.

ومن هذه المواد الخاصة استعمال "كراء " بمعنى "استئجار " فيقال لدى المغاربة :" كراء السيارات "بمعنى "استئجار السيارات" .

ويقولون : " الأسعار الكرائية للمساكن".

أقول : وفي فصيح العربية : اكترى الدار أي استأجرها ، واستكراها .

وأكرى الدارَ أي أجّرها . وهو مُكارٍ، والفعل "كارى " .وأما "الكراء" بكسر الكاف، فهو الأجر يعطى لصاحب الشيء المكتري .

وهذه المادة قد هجرت في الفصيحة المعاصرة ، وتحوّلت في بعض بلدان المشرق إلى عامية دارجة . وتقرأ في صحف المغرب : "ارفعوا يد الإهمال عن قرية ... "

وهذا مجاز لا يعسر فهمه ومعرفة "يد الإهمال " .

وقد تجد الكلمة الفصيحة التي بقيت في لغة خاصة الخاصة مستعملة في العربية المغربية وهذا شيء ذو قيمة تاريخية ومن هذا قولهم:

" وقد كاد الظنين ينفلت من يد العدالة".

إن الظنين " هو المتهم ، وهذا نادر فى كثير من بلاد العرب ومما قرأت فى هذه العربية قولهم :

" قضية الهوية والوقت الحرّ لازالت تشكو في المغرب من قلّة الاهتمام". إن الإخبار بقول المحرر: "لا زالت" جاء عن شيئين هما "قضية الهوية "و" الوقت الحرّ " فيكف يكون هذا ؟

ثم إن الفعل " لا زالت " غير سديد هنا .. والصحيح الفصيح "ما زالا " لأن " لا زال بسبق "زال "بـ لا " يفيد الدعاء ، قال ذو الرمة :

" ولا زال مُنهلا بجرعائكِ القطر "

إن هذه العربية الصحفية في المغرب وغير المغرب ، وكذلك في المشرق تشكو الضعف ، ذلك أن المحرر يتساهل في المادة اللغوية فيقول مثلاً :

" الحساب بين الصح والخطأ ".

وهو يحسب أن " الصحّ " صفة كالصحيح ، وهو يقول :" المئساة "الأمنية " .

ويتصور أن رسم الهمزة على هذا النحو صحيح وهو يريد " المأساة " .

وأنت في المغرب تقرأ كلمة "البوابة" مكتوبة على لوح في " الفندق " الذي تسكنه ، ولو كنت من أهل المشرق ولا تعرف شيئًا من الفرنسية لاستغلق عليك الأمر ولم تفهم المراد بـ "البوابة" ولكنك تعرف "البوابة" حين تهتدي إلى أنها تقابل " Conciergerie " وهذه تعني احتراف حرفة " البوّاب " الذي يكون في الطابق السفلي للمنزل أو "العمارة" أو نحو ذلك .

إن الوصول إلى " البوابة "جميل. ذلك أن الذي وصل إليها مدرك أنها مصدر للحرَف والصناعات كالنجارة والحدادة وغيرهما .

وقديمًا كان " البواب" من يلزم باب الكبير أميرًا أو خليفة أو غيرهما .

وتجد شيئًا يثير فيك التساؤل في أول الشارع أو الطريق ، وهو لوح يشير

- إلى اسم الشارع، وهذا ما رأيته مكتوبًا وهو:

محجّ مولاي عبد الله .

خاتمة :

هذا ما كان لي أن أقف عليه في إقامة قصيرة في "الدار البيضاء" حاضرة المغرب، وأنا أجيل نظري في صحف المدن .

إبراهيم السامرائي

عضو المجمع من العراق


ثالثًا :
شخصيات مجمعية



أ- تأبين المرحوم الأستاذ

مصطفى أمين عضو المجمع :

في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الأربعاء ١٠ من شعبان سنة ١٤١٨هـ الموافق ١٠ من ديسمبر سنة ١٩٩٧م أقام المجمع حفلا لتأبين المرحوم الأستاذ مصطفى أمين عضو المجمع .

وفيما يلي نص الكلمات التي ألقيت في الحفل :



كلمة الافتتاح

للأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم

يحتفل المجمع اليوم بتكريم ذكرى عضو المجمع الأستاذ الكبير مصطفى أمين الذى جعل من عموده اليومى (فكرة) صوتًا قويًّا حارًّا للدفاع عن الفقراء والبؤساء والمظلومين والمحرومين، وأمتعنا بأفكاره التى جعلها تُعنى بالحرية والعدالة الاجتماعية والديمقراطية، فمصر لن تنسى مصطفى أمين بدعواته الكبيرة مثل دعوته للتبرع لليلة القدر، وستظل هذه الدعوة تهدى الخير للآلاف تلو الآلاف، وأيضًا دعوته إلى عيد الحب، وسيظل الصحفى الكبير مصطفى أمين بأفكاره ومقالاته نبراسًا هاديًا مُضيئًا ومدرسة كبرى لجميع الصحفيين فى أخبار اليوم والأخبار، وأيضًا لتلاميذه الكثيرين فى الصحافة المصرية والعربية، رحمه الله وجزاه عن أمته وصحافتها بخير ما يجزى به عبادَه العاملين المخلصين .

وسيلقى كلمة المجمع فى تكريم ذكراه الأستاذ الكبير عضو المجمع الدكتور سليمان حزين، فليتفضل مشكورًا .

* * *

كلمة المجمع فى تأبين الفقيد الراحل

للأستاذ الدكتور سليمان حزين

بسم الله الرحمن الرحيم

أخى مصطفى أمين اعتدت دائمًا أن أحد ثك بضمير المخاطب الحاضر فأنت حاضر معنا دائمًا، وأنا اقتبست هذا الأسلوب منك ومن بعض أفكارك، وكم كنت أحب أن أقف لأؤبنك واقفًا كما ينبغى أن يكون إكرامًا لذكراك لولا أن حالتى الصحية اليومَ قد لا تسمح بهذا ، فأنا أستأذنك فى أن أحدثك جالسًا لعلِّى أكون بهذا الجلوس أقرب إليك وأنا فى حالة مطمئنة ساكنة .

أخى مصطفى لقد كنت فى حياتك شخصًا ممتازًا تفوق كل الأشخاص، وأنت اليومَ بذكراك شخصٌ ممتازٌ عن غيرك أيضًا، أنت وأخوك على أمين رحمه الله كنتما دائمًا ممتازين فى كل شىء، ولعلك تذكر أننا حينما أردنا أن نرشحك لتكون عضوًا فى هذا المجمع أبيت، وقلت: إن هذا المكان الرفيع أولى به صحفى آخر، ولكننا ضغطنا عليك كثيرًا حتى اضطررت اضطرارًا إلى أن تقبل هذا الترشيح، وتم تعيينك وسعدنا بهذا التعيين مع أننا كنا نعرف أن وقتك ومشاغلك وارتباطاتك الكثيرة قد لا تسمح لك بأن تكون مشاركتك فى هذا المجمع فاعلة، واكتفينا بأن تكون مشاركتك رمزية، ونحن - مع ذلك - رأينا فى هذه المشاركة الرمزية قيمة كبرى، ولعلك تذكر بصفة خاصة أننا حينما اخترناك إنما اخترناك لأنك تفردت بصفة أساسية فى الصحافة المصرية، فقد جعلت هذه الصحافة شعبية؛ صحافة للشعب، وليست بالضرورة لحكام الشعب، وإن كان الحكام فى مصر هم من أبناء الشعب منذ أن قامت ثورة سنة ١٩٥٢م، فقد كنت دائمًا قريبًا من الروح الشعبية، وكنت تحب أن ترعى - كما ذكر زميلك وأخوك رئيس المجمع منذ قليل- صفة الخير فى المصريين، فهذه الصفة هى

الصفة الأساسية فى مصر، والصفة التى تليها ويتمتع بها المصريون هى أننا - نحن المصريين- شعب موحد لا نعرف العنصرية أبدًا، وأنت كنت بعيدًا كل البعد عن فكرة العنصرية، ولعلك تذكر أيضًا أننى كنت أناقشك كثيرًا فى هذه الصفة التى تفردت بها مصر بين بلاد العالم كله، فالمعروف أن بلاد العالم غير مصر تجاوزت فكرة العصبية لمصر والعصبية لطبيعة المصريين والعصبية لسماحة المصريين إلى شىء من التعصب، وأنت كنت تكره التعصب ، وثمة فرق كبير بين العصبية والتعصب، فالعصبية صفة حميدة يعتز بها كل مواطن إنسان، أما التعصب فإنه يكاد يعود بالإنسانية إلى مرحلة الحيوانية فى حياة الناس، فهو أقرب إلى أن يكون لمصلحة شخصية فيها كثير من الأنانية؛ فالمتعصِّب إنما يتعصب فى حقيقة الأمر لذاته ولمصلحته الشخصية، وأما أنت فلم تكن تعرف شيئًا عن المصلحة الشخصية ولا الفردية، فأنت وأخوك على أمين - رحمكما الله - كنتما من هذه الناحية طرازًا خاصًّا من المصريين، وطرازًا خاصًّا من الصحفيين إلى درجة أنكما كنتما مدرسة خاصة تفردت بها مصر فى عالم الصحافة، فالصحافة نشأت فى مصر قبل وجود كما على يد إخواننا العرب من غير المصريين، وخاصة أولئك الذين أسسوا جرائد أخرى غير الأهرام، فكلها لم تكن قومية بالمعنى الكامل، ولكنها كانت على أية حال حزبية والحزبية فى مصر خارجة عن نطاق الوطنية والقومية، مع تقديرنا الكامل للحزبية واختلاف الرأى، ومع أن هذه الحزبية هى التى تبرز الشخصية وتفسح المجال أمامها لتصبح متفردة إلا أننا نعرف وأنت يا أخى مصطفى كنت تعرف أن الحزبية تنأى بمصر عن طبيعتها الأساسية التى اتسمت بها مصر وتفردت بها عن سائر بلاد

العالم، تلك الطبيعة التى جعلتها أول بلد فى العالم يعرف الوحدة الكاملة؛ فالحضارة الواحدة لم تقم إلا فى مصر - منذ يومها الأول، فلم تكن تفرق بين صعيدى وفيومى، ولا بين دلتاوى وبحرى، وهذه الصفة لم يتمتع بها إلا المصريون، فإن ثمة بلاداً أخرى عرفت الحضارة أيضًا مُنذ تاريخها القديم؛ فالعراق - مثلاً - عرفت الحضارة - كما عرفتها مصر - فى عصر ما قبل التاريخ، ولكنَّ العراق كانت دائمًا بلد الشقاق، وحضاراتها كانت حضاراتٍ على شكل جُزُر مستقلةٍ ومختلفة، فحضارة (سومر) على شاطئ الخليج، وحضارة (أكَّاد) إلى الشمال قليلاً من شاطئ الخليج، وحضارة (بابل) وهى جزيرة منعزلة - قامت فى وسط العراق، ثم حضارة (آشور) فى منطقةٍ فى الشمال الشرقيّ من العراق، وهذه الحضارات لم تكن متعاصرة، وإنما كانت فى عصور متتابعة ولم تكن موحدة، ولكنها كانت قائمة على أساس الشقاق، ولا أريد أن أقول كلمة أخرى؛ لأننى لا أريد أن أسيء إلى العراق، أما أهل مصر فكانوا دائمًا أهل وحدة، وأنت يا أخى مصطفى ويا أخى على كنتما من أهل الوحدة، وكنتما بهذه الصفة أقربَ إلى روح مصر وإلى المصرية، ولعل هذا هو السبب فى أن كثيرًا من أعضاء هذا المجمع أصروا إصراراً على أن يجبروك إجباراً على أن تقبل عضوية هذا المجمع، ويوم قبولك إياها كان من أسعد أيام كثيرٍ من رجال المجمع، فنحن جميعًا نذكرك فى هذا اليوم، ونذكر لك هذه الصفات الفريدة التى ردَّتنا إلى روح مصر وربطتنا بالشعب المصرى والتى تمثلت فى صحيفة الأخبار، تلك الصحيفة التى درجت فيها على السعى إلى الخير دائمًا، فاحتوت أفكار الخير التى تمدها بها، فليلة القدرْ - كما ذكر الدكتور شوقى ضيف رئيس المجمع فى كلمة الافتتاح - لم تخطر على فكر صحفيين

آخرين غيرك، فلم تخطــر - مثــلاً - على فكر صحيفة كبرى هى صحيفــة الأهرام التى نشأت نشأة أقرب إلى أن تنتسب إلى لبنان منها إلى أن تنتســب إلى مصر وشعبها؛ فلقد اخــترت يــا أخى هــذه الصفــات التــى أبــرزت مصريتك إلى أبعد الحدود، وأبْــرزَتْ تمسُّكَكَ بالوحدة الوطنية والقومية إلــى أبعد الحدود، لقد كنت حقًّــا بصفــاتك الفريدة علمًا من أعلام مصر الوطنيــة الموحدة التى لا تفرق بيــن المســلم وغيره، حتى اليــهود عاشــوا علــى أرض مصر، ولكن اليهودية بــالذات كانت نشاذًا فى مصر، وكــانت ضــد روح مصر والمصريين؛ ولذا لم تكــن مصر القديمة على وفــاق مــع روح اليهوديــة، ولا يــزال المصريــون يعادونها إلى الآن؛ لأن اليهوديــة لــم تكن متجهة إلى الوحــدة كمــا اتجــه المصريون، فقد كانت فى اتجاه آخــر غير اتجاه روح مصر، واتجهت أخيرًا - للأسف الشديد - إلــى روح الشــر والعدوان فى الشرق الأوسط، وأنت لم تكن لهذا أبدًا ، لأنك كنت دائمًا للخير، كنت دائمًا للوحدة، كنت دائمًا للوطنية الشاملة وكنت مثالاً لســماحة مصــر التى احتضنت المســيحية وعاملتــها معاملة خاصة غير معاملتها لليهوديــة، فإن مريم العذراء جاءت بالمسيح عليه السلام طفلاً إلى مصــر؛ لأن مصــر كانت ترعى الطفولــة بكــل حنــان، وكانت تعرف كلَّ مــا تدعــو إليــه المســيحية مــن ســماحة، فــأخذت المسيحية فى مصر الصفات المصرية فامتاز المسيحيون فى مصر على كــل مسيحىّ العــالم، فكــانت المســيحية المصرية مصريةً أكثر منها مســيحية، لأن مصر فرضت صفاتها فرضًا على المسيحية .

وبعد المسيحية انتشــر الإســلام فــي مصر، ثم أنشئ الأزهــر أولاً علــى أيدى الفاطميين، ولكــنّ روح مصــر فرضت على الأزهر فرضًا أن يكــون معهدًا للعلم ومركزًا للفكر الإســلامي

الموحد لكل المذاهب؛ ومن ثمَّ نجد أن مصرَ أضفت على الأزهر صفاتها المصرية التى ميزته عن كل المعاهد الأخرى،فهناك معاهدُ إسلاميةٌ أخرى فى غير مصر، ولكنها نشأت أساسًا لخدمة تيارها الفكري ومذهبها الديني كما حدث فى إيرانَ وغيرها، أما الأزهر فقد غلبت عليه الصفة المصرية، وأنت يا أخى مصطفى كنت تمثل هذه الصفة فى الصحافة، فقد كنت تمثل الصفة التى تدعو إلى الوحدة والمحبة والإخاء والترابط، وشاء الله تعالى أن يربطك بأخيك وأقرب الناس فى هذه الصفة وفى هذا المبدأ الصحفى، وشاء الله لك أيضًا أن تسير - بعد فقدك أخاك - على هذا المبدأ الصحفى المصرى الخالص القائم على الوحدة والخير والمودة والقائم على كثير من الصفات التى تميز الإنسانية بمعناها العام، والتى امتازت بها مصر على مرِّ العصور، لقد كنت - بحق - إنسانًا مصريًّا مميزًا، وقد انطوى انضمامك إلى هذا المجمع العتيد على شعورك الخاص بما فيه من سمات، فكنت تعلم أن هذا المجمع يمتاز بأنه لم يحاول أن يضفى على نفسه صفة المصرية الضيقة، وإنما تجاوزها إلى صفة العروبة الشاملة؛ فهو مجمع اللغة العربية، واللغة العربية تمتد لتشمل العروبة كلها وتشمل الإنسانية بمعناها العام، فالمبدأ الذى جعلك تقبل ترشيحك فى هذا المجمع كان مَبْدأً مصريًّا أصيلاً؛ ولذا كنت إضافة حقيقية للمجمع الذى يمثل العطاء بلا حدود، ومع أن ظروفك الخاصة لم تسمح لك بأن تشارك فى مجلس المجمع مشاركة منتظمة، فإن القَدْرَ الذى شاركت به كان قَدْرًا ممتازًا؛ وفقد كنت للجميع وبالجميع ومن أجل الجميع؛ ولذا فإننا نذكرك اليوم ونذكر فيك هذا الخير العظيم، آثرت أن تكون فى رحاب الله سبحانه وتعالى فقد سبقتنا إليه، وكم كنا نأمل أن تطول إقامتك معنا وأن

تكون واحدًا منا مُدَّة طويلة ممثلاً لمبدأ خاص فى حياة هذا المجمع هو مبدأ العروبة ومبدأ الإنسانية بمعناها العام، فهذا المجمع مصرى أصيل ، ومصر كانت دائمًا أكبر كثيرًا من حجمها، فهى ليست فى حجمها الجغرافى المحدود (وادى النيل الأزرق) ولا فى معناها التاريخى المحدود فى العصر الحاضر، إنما هى تمتد إلى الماضى وتمتد إلى المستقبل، هذه هى الصفة الكبرى التى نعيش فى هذا المجمع من أجلها، نحن لا نعيش فى عصر واحد، ولا نعيش من أجل عصر واحد ولا من أجل رقعة ضيقة هى مصر، وإنما نعيش فى رحاب العالم كله، وفى رحاب الإنسانية، وفى رحاب العروبة التى هى أوسع من رحاب مصر بمعناها الضيق .

إننا نذكرك اليوم ونسأل الله لك الرحمة، ونسأله تعالى أن يجعلنا أهلاً لأن نسير على الدرب الذى سرتَ أنتَ عليه مدة قصيرة، ولكنها فى غاية الأهمية بالنسبة لحياة مصر المعاصرة، وبالنسبة لحياة هذا المجمع، ألا طيَّب الله ثراك ورعاك فى مثواك وقربك إلى جواره، وحفظ أفكارك لمصر القديمة ولمصر المعاصرة ولمصر المستقبلة إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سليمان حزين

عضو المجمع

كلمة الأسرة

للأستاذ محمد عبد القدوس

لى الشرف أن أكون بينكم اليوم في قلعة اللغة العربية، وفي البداية أنقل إليكم اعتذار السيدة الجليلة حرم كاتبنا الكبير الراحل مصطفى أمين؛ فهى لم تتمكن من الحضور، وقد حضرت نيابةً عنها، وليس بغريب أن ألقى كلمة الأسرة، فأنا أعتبر نفسي تلميذًا مخلصًا فى مدرسة مصطفى أمين ، وقد تعلَّمت على يديه الكثير، ومنه عرفت أهمية الدفاع عن الحريات السياسية والوقوف إلى جانب كل مظلوم ومساعدة الفقراء .

والحديث يطول عن مواهب كاتبنا الكبير فقد كان صحافيًا من الطِّراز الأول؛ حيث كان يَعرِفُ كيف يُروِّج لجريدته، وهو صاحب مدرسة الخير الصحفى، وفى الوقت نفسه كان كاتبًا سياسيًّا من أرفع طراز، فقد شغلته قضية الحريات العامة وكثيرًا ما تصدى للظلم والظالمين ؛ بعد خروجه من السجن سنة ١٩٧٤م ، فلقد كان فارسًا فى كتاباته فهو أحسن من كتب دفاعًا عن الحريات فى مصر بأسلوب رشيق جذَّاب، كما كان فارسًا فى أخلاقه ، فهو يهاجم الخَصم فى قوته ولا يطعنه بعد سقوطه، فقد كان عنيفًا فى نقده ، ولكنه لا يتطاول ولا يجرح ولا يطعن فى الأعراض ، رحم الله مصطفى أمين الصحفى الماهر، والناقد القاهر، والقائد الذى لا تخدعه المظاهر، رحم الله مصطفى أمين صاحب المواقف الاجتماعية النبيلة ؛ فإن مصر لا يمكن أن تنسى الدور الاجتماعي العظيم الذى قام به كاتبنا الكبير عندما فكَّر هو وتوأمه الراحل على أمين فى يوم تجتمع فيه الأسرة وتلتف فيه الأبناء حول أمهاتهم تعبيرًا عن الحب واعترافًا بالجميل، فُولِدَتْ فكرة عيد الأم ، رحم الله التوأمين صاحبى هذه الفكرة ، حقًّا لا يمكن أن تنسى مصر هذا الرجل الإنسان الذى عاش حياته مهتمًّا بمعاناة الآخرين

محاولاً أن يضىء ظلمات الحائرين وأن يعيد الأمل لليائسين، وأن يرفع الظلم عن المظلومين؛ ومن ذلك كله لن تنسى مصر هذا الرجل الذى أحبَّه المصريون وشاركهم فى حبِّه العربُ والعجم، فقد كان محبوبًا من الجميع؛ ولذا كانت ثقة الناس فيه عجيبة، تأتيه الملايين من الدولارات والجنيهات من كل مكانٍ من داخل مصر وخارجها؛ للإنفاق على مشروعات الخير المتعددة التى أقامها لمساعدة المحتاجين، ومسح دموع اليتامى والأرامل والمساكين؛ فدوره الذى قام به فى هذا المجال عجزت أجهزة الدولة ذاتها عن القيام به. كان مصطفى أمين - بحق - أمة وحده؛ ولذا كان الجميع ينظر إليه نظرة إكبار وإجلال، ومن ثمَّ كانت فكرة اختيار كاتبنا الكبير مصطفى أمين ليكون عضوًا بالمجمع اللغوى، وذلك فى السنوات الأخيرة من حياته ليزدادَ مجدًا إلى مجده، فهذا شرف عظيم لنقابة الصحفيين وأهل القلم جميعهم؛ ولا غرابة فى اختياره عضوًا فى هذا المجمع الموقر، فلقد كان أسلوبه فى الكتابة سهلاً ميسرًا، فاللغة العربية نملكها ولا تَملِكُنا فهى تتميز بسلاسة فى الأسلوب وسهولة فى اللفظ، وقدرة بل وإعجاز فى التعبير، ولا عجب فهى لغة القرآن الكريم، وهى جديرة بأن تكون اللغة الأولى فى جميع المقررات الدراسية، وأن تتبوَّأ مكانتها؛ فهى لغة عالمية شرَّفها الله تعالى بأن جعلها لغة القرآن الكريم، وقد أخبرنى كاتبنا الكبير الراحل مصطفى أمين بأن قراءة القرآن الكريم تساعد الكاتب على أن تكون اللغة العربية طيِّعة بين يديه، وبهذه اللغة خاض الكاتب الراحل كل معاركه وأبدع وأمتع، وكان فى الاستفتاءات هو الكاتب المفضل لدى الشباب خاصة .

وقبل أن أختم كلمتى اسمحوا لى أن أذكر لحضراتكم شيئًا أثار عجبى فى

مصطفى أمين؛ فهو أحسن من يكتب في الإيمان بالله تعالى، وكنت أتعجب عند ما كان يقول : إننى كنت أرى الله في السجن؟ فأسأله كيف كنت ترى الله تعالى فى السجن؟ فكان يقول: لست إلا امرأ ضعيفًا، ومن ضعفى أستمد القوة من الله تعالى، لذلك كان دائمًا يكتب: إذا كنت فى أزمة أو ظلام انتظر الفرج من الله تعالى، فكنت أراه معينًا لى فى تلك الأوقات العصيبة، رحم الله مصطفى أمين، فقد كان يرى أشراف الناس من عامة الشعب وليس من عِلْية القوم مع أنه خالط جميع السياسيين والقادة والزعماء الذين عاصروه، ومازلت أذكر مقولته لى : إننى رأيت فى قاع المجتمع خيرًا كبيرًا لم أره فى قمته .

وفى الختام أنقل لكم تحيات نقابة الصحفيين التى أتشرف بأن أكون وكيلها، وكذلك أنقل لحضراتكم تقدير أهل القلم، ولى الشرف أن أكون واحدًا منهم، وأشكركم على جهادكم فى الحفاظ على لغتنا الجميلة، وتطويعها للوفاء باحتياجات أجيالنا فى العصر الحديث ، وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والتحية والتقدير .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

* * *

محمد عبد القدوس

وكيل نقابة الصحفيين

كلمة الختام

للأستاذ الدكتور شوقى ضيف رئيس المجمع

يشكر المجمع حضراتكم لمشاركتكم لنا فى تكريم ذكرى الأستاذ مصطفى أمين طيَّب الله ثراه وجعل الجنة مثواه. فالمجمع يقدِّم العزاء الخالص لأسرته ولآلهِ وذويه وتلاميذه فى مصر وفى البلاد العربية .



ب- تأبين المرحوم الأستاذ الدكتور

عبد العظيم حفني صابر عضو المجمع :

في الساعة الواحدة من بعد ظهر يوم الاثنين ٣ من المحرم سنة ١٤٢٠هـ الموافق ١٩ من أبريل سنة ١٩٩٩م ، أقام المجمع حفلاً لتأبين المرحوم الأستاذ الدكتور عبد العظيم حفني صابر عضو المجمع .

وفيما يلي نص الكلمات التي ألقيت في الحفل :



كلمة الافتتاح

للأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع

بسم الله الرحمن الرحيم ،

أيها السادة :

نجتمع اليوم لوداع أستاذ جليل كان من الرعيل الأول لخبراء المجمع وأعضائه ، وله في المجمع جهود مشكورة قدمها ، خاصة إلى لجنتي الأحياء والعلوم الزراعية ، والكيمياء والصيدلة ، وكما تعلمون أنه كان من أوائل المصريين الذين أخذوا درجات علمية في الكيمياء والصيدلة ، وشرفنا في المجمع مبكرًا منذ سنة ١٩٤٨، جهودًا علمية قيمة ، لا تزال واضحة في المجمع ، وتلك هي الدنيا، كل حي إلى فناء*، وكل إنسان لابد أن يذوق الموت، فقال تعالى : « فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » . وسيظل المجمع يذكر جهوده وأعماله التي قدمها إليه . والكلمة الآن للأستاذ الكبير محمود حافظ نائب رئيس المجمع ، حيث يقوم بواجب المجمع نحو تأبين الفقيد رحمه الله .

كلمة المجمع فى تأبين الفقيد

للأستاذ الدكتور محمود حافظ

نائب رئيس المجمع

العالم الجليل الأستاذ الدكتور شوقى ضيف رئيس المجمع :

العلماء الأجلاء أعضاء المجمع :

سيداتى وسادتى :

درج المجمع منذ سنين على سنن حميد بتكريم ذكرى أعضائه الذين مضوا إلى رحاب الخالدين ونشر صفحاتٍ ناصعةٍ وضّاءةٍ من أعمالهم المجيدة وإنجازاتهم الرائدة لنرى فيها المثل الرفيع فى العطاء والعمل المثمر البناء.

ونحن اليوم أمام ذكرى عالم من علماء المجمع الأعلام ودعته مصر منذ أيام ذلكم هو المغفُور له الأستاذ الدكتور عبد العظيم حفنى صابر رائُد العلوم الصيدلية فى مصر والعالمِ العربى - مضى إلى الرفيق الأعلى بعد أن أبلى فى حياته الدنيا أحسن البلاء وأدى لوطنه وللعلم والمجمع والجامعة أجلَّ الأعمال والمنجزات على مدى نيف وستين عاما بذل خلالها الكثّير من عصارةِ فكره وعلمِه ليثرى معارفنا عن علوم الصيدلة وعن النباتات الطبية والعقاقير وأخذ بيد الطلائع من شباب علمائنا لتنشئة أجيال منهم تفخر بهم مصرُ اليوم وتزهو - وحين يؤرخ لعلوم الصيدلية فى مصر فسيكون الدكتور حفنى صابر من معالمها البارزة ورموزها الشاخصة - ولاشك أنه كان بين معاصريه من علماء الصيدلة أرسخَهم قدما وأعمقهم أثرا وأعلاهم منزلة وقدراً.

سادتى العلماء :

عرفت الفقيدَ العزيز منذ حوالى خمسين عاما حين كان رئيسا للاتحاد العام لطلاب جامعة فؤاد الأول وكنتُ رئيساً للجنة العلاقات الخارجية بالاتحاد ورئيسا لاتحاد كلية العلوم بالجامعة - وقد أدت طبيعة العمل

المشترك بالجامعة إلى توثيق آصرة المودة بيننا وازداد رباطنا فى رحاب الجمعيات والمؤتمرات العلمية وفى هذا المحراب على مدى سنوات عديدة كان خلالها مثلا يحتذى فى العطاء والخلق الرفيع والقدوة الصالحة.

ولد الفقيدُ فى إحدى قرى مركز دكرنس بمحافظة الدقهلية فى السابع عشر من يناير عام ١٩٠٨ ، وفى كتّاب القرية تعلم القراءة والكتابة وحفظ جزءين من القرآن الكريم ثم تابع دراستَه الابتدائيةَ بمدرسة محمد على بالقاهرة وبعد أن أنهى هذه المرحلةَ التحق بالمدرسة الخديوية وحصل على شهادة إتمام الدراسة الثانوية عام ١٩٢٥ وكانت جامعة فؤاد الأول قد فتحت أبوابها فى ذلك العام لاستقبال الطلاب بعد تطويرها فبادر الفقيد بالالتحاق بكلية العلوم بالدراسة الإعدادية لكلية الطب لمدة عام ينتقل بعدها إلى كلية الطب لدراسة علوم الصيدلة ولم تكن لعلوم الصيدلة كلية مستقلة كما هو الحال الآن وقد تابع دراسته بشغف كبير يعكس رغبته المبكرة فى دراسة هذا العلم وحصل على درجة البكالوريوس فى الصيدلة والكيمياء الصيدلية عام ١٩٢٩ أوفد بعدها فى بعثة علمية إلى جامعة لندن ليتابع دراسته العالية ويحصل على درجة دكتوراه الفلسفة فى العقاقير ليعود بعد ذلك مدرسا بقسم العقاقير بكلية الصيدلة بجامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليا عام ١٩٣٤) وكان قبل إيفاده فى البعثة معيدا بهذا القسم.

- بحوثه العلمية :

وما أن انتظم فى سلك أعضاء هيئة التدريس بالكلية حتى بدأ نشاطاً ملحوظاً فى البحوث العلمية فى علم العقاقير والنباتات الطبية حتى غدا فى نهاية المطاف أكبرَ حجةٍ علميةً فى هذا المجال فى مصر والوطن العربى وبلغ عددُ هذه البحوث أكثر من مئة وعشرين بحثا وقد تناولت هذه البحوث دراسات هادفةً كميةً وتحليلية لبعض

العقاقير والنباتات الطبية فى مصر شملت تركيبها الكيميائية وتأثيرها الطبى والفارماكولوجى بالإضافة إلى دراسة الألكاليدات فى بعض هذه النباتات كالداتورا وغيرِها ومنها بحوث لها قيمتها العلمية والتطبيقية العالية.

- ومن مؤلفاته الأخرى:

١- كتاب بالإنجليزية عن دراسة العقاقير - يعد مرجعًا علميا هاما فى هذا المجال.

٢- كتاب باللغة العربية عن الغذاء والدواء فى القرآن الكريم بالاشتراك مع زميل ، وأصدره المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

٣- كتاب بالعربية عن تاريخ الصيدلة بالاشتراك مع زميلين ، وأصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

٤- قاموس عربى إنجليزى وإنجليزى عربى للمصطلحات والألفاظ التى درست فى دستور الأدوية المصرى.

٥- دراسة عن النباتات الطبية العربية وما يجب نحوها عام (١٩٧٠).

٦- العقاقير عند العرب (١٩٧٦).

٧- النباتات الطبية والعوامل المؤثرة فى إنتاج العقاقير (١٩٦٩).

٨- تاريخ الصيدلة فى مصر بالإنجليزية (١٩٧٢).

٩- تعليم العلوم الصيدلية فى مصر ولمحة تاريخية عنه(١٩٧٢).

- مدرسته العلمية وأعماله الإنشائية:

أنشأ الفقيد مدرسةً علميةً متميزة أشرف فيها على ٢٣ رسالة لدرجتى الماجستير والدكتوراه فى علم العقاقير والنباتات الطبية وتخرج على يديه المئات من المشتغلين بعلوم الصيدلة والعقاقير منهم اليوم أساتذة وعلماء كبار بالجامعات ومراكز البحوث منهم الأستاذ الدكتور جمال مهران الخبير بلجنة الكيمياء والصيدلة بالمجمع والذى سيلقى اليوم كلمة فى رثاء أستاذه وكان من طلبة الفقيد أيضًا المغفورُ له الأستاذ الدكتور سعد الدين

كراوية الخبير بالمجمع فى اللجنة نفسها.

وقد عنى الفقيد بقسم العقاقير – الذى كان يرأسه – عناية بالغة واهتم بتطويره ونموه حتى غدا أهم الأقسام فى هذا الفرع بالجامعات المصرية من حيث برامج الدراسة فيه ومكانته العالمية وعلماؤه الأعلام ومن بين إنجازاته إنشاء حديقة للنباتات الطبية بكلية الصيدلة شملت ٣٠٠ نوع منها مصنفةً ومعرفةً .

– وجدير بالذكر أن الفقيدَ الكريمَ قضى فى رحاب الجامعة أكثر من(٦٠) ستين عاما شغل خلالها مناصب مختلفةً فى السُلّم الوظيفى لهيئة التدريس بالجامعة تدرج فيها حتى عين أستاذاً لعلم العقاقير بكلية الصيدلة – جامعة القاهرة (فؤاد الأول سابقا) عام ١٩٤٩ ثم عميدا للكلية نفسها عام ١٩٥٦ واستمر يشغل العمادةَ عشرَ سنوات متتالية ثم أستاذاً متفرغاً حتى قبيل وفاته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى.

– نشاطه فى أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا :

كان للفقيد نشاطٌ مرموقٌ بأكاديمية البحث العلمى حيث عمل مشرفا على تنفيذ البرنامج القومى للنباتات الطبية فى الخطة الخمسية الأولى والخطة الخمسية الثانية (١٩٨٢-١٩٩٢) - مع زميله العالم الكبير الأستاذ الدكتور شفيق بلبع ، كما كان عضوا بالمجلس القومى لبحوث العلوم الأساسية بالأكاديمية وكذلك عضوا باللجنة القومية لتاريخ وفلسفة العلوم ومقررا للجنة لبضع سنوات بالأكاديمية.

– نشاطه بالجمعيات العلمية وباتحاد الطلاب :

كان الفقيدُ منذ حياته المبكرة تواقا للعمل العام فبعد تخرجه بشهور كان أحدَ الأعضاء المؤسسين للجمعية الصيدلية المصرية عام ١٩٣٠م التى كان من أهدافها العملُ على النهوض بالعلوم والبحوث الصيدلية ونشر الثقافة العلمية فى هذا المجال وتشجيع

العمل على إقامة الصناعات الصيدلية والدوائية - كما كان من أهدافها الارتفاعُ بمهنة الصيدلة وقصْر الاشتغال بها على المؤهلين جامعيا كما اشترك فى تأسيس الجمعية التعاونية لإنتاج وتوريد الأدوية والتى كان الهدفُ من تأسيسها هو كسر الاحتكار الأجنبى وقد شغل الفقيد منصبَ أولِ أمينٍ عامٍ لهذه الجمعية .

وكان أيضا عضوا فى الجمعية النباتية المصرية وجمعية العقاقير الأمريكية وفى الجمعية العربية لأبحاث النباتات الطبية وفى المجمع العلمى المصرى وفى الأكاديمية المصرية للعلوم.

وامتد نشاطُ الفقيد إلى مجالات جامعية أخرى فقد اشترك فى تأسيس اتحاد طلاب الصيدلة وقد انضم هذا الاتحادُ إلى الاتحاد العام لطلاب الجامعة وقد انتخب الدكتور حفنى صابر رئيساً للاتحاد العام لطلاب جامعة فؤاد الأول وكان للاتحاد نشاطٌ ثقافى ورياضى واجتماعى كبير فى الداخل والخارج - كما انتخب رئيسًا لنادى أعضاء هيئة التدريس بالجامعة وقد قام بخِدْمات وأعمالٍ جليلةٍ للاتحاد والأعضاء على مدى سنوات عديدة .

- المؤتمرات الصيدلية المحلية والدولية :

شارك الفقيد فى جميع المؤتمرات الصيدلية التى عقدت فى مصر ، كما شارك فى

المؤتمرات الدولية والعربية الآتية :

١ -مؤتمرات اتحاد الصيادلة العرب، ١٩٧٠و٧٢و٧٤و١٩٧٦... إلخ.

٢- المؤتمر الدولى للصيدلة المنعقد فى فيينا عام ١٩٨١.

٣- المؤتمر الدولى السادس عشر للاتحاد الدولى لتاريخ وفلسفة العلوم - بخارست -بولندا ١٩٨١ .

٤- المؤتمرات الصيدلية السنوية فى بريطانيا ١٩٣٢ - ١٩٣٤ .

- نشاطه وأعماله بمجمع اللغة العربية :

وفى هذا المحراب فى مجمع اللغة العربية كان للفقيد نشاطٌ علمى

ولغوى مرموق استمر أكثر من خمسة وأربعين (٤٥) عاما فقد اختير خبيرا للجنة الأحياء والزراعة عام ١٩٤٨ واختير خبيرا للجنة الكيمياء والصيدلة عام ١٩٦٧ ثم عين عضوا بمجمع الخالدين عام ١٩٨٥ وكان خلال هذه السنوات مثلا يحتذى فى العطاء والفكر المستنير والخبرة الواسعة ، وقد أنجز مع زملائه آلاف المصطلحات العلمية فى اللجنتين - كما اشترك فى الإشراف على إصدار معجم مصطلحات علوم الأحياء والزراعة ومعجم الكيمياء والصيدلة.

وقام بتمثيل المجمع فى ندوة تعريب مصطلحات علم الكيمياء التى أقامتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فى عمان بالأردن عام ١٩٨٢م .

وفى يوم استقباله عضوا جديدا بالمجمع قال عنه المغفور له الأستاذ الدكتور حامد جوهر: " إنه ليسعد كثيرا بانضمام أعضاء جدد إلى المجمع يحملون معنا الأمانة ويحملون الشعلة ويشتركون معنا فى خدمة لغة القرآن الكريم ، ولكن سعادتى اليوم مضاعفة إذ أقدم لكم أخا عزيزا وصديقا قديما هو الأستاذ الدكتور عبد العظيم حفنى صابر أول عضو يمثل العلوم الصيدلية فى المجمع ، والدكتور صابر ليس غريبا على المجمع فهو أقدم الخبراء بالمجمع منذ عام ١٩٤١م

- مظاهر التقدير العلمى للفقيد فى الداخل والخارج :

١- نال الميدالية الذهبية لأحسن البحوث التى ألقيت فى مؤتمر اتحاد الصيادلة العرب . بدمشق عام ١٩٧٠م .

٢- نال الميدالية الذهبية من جمعية الصيدلة المصرية عام ١٩٧١م .

٣- منح وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى عام ١٩٧٣م تقديرا لجهوده الممتازة فى إصدار دستور الأدوية المصرية .

٤- منح وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام ١٩٨٠م .

٥- اختير مرتين رئيسا للجنة الدائمة لدستور الأدوية المصرى .

٦- اختير مشرفا على المشروع القومى للنهوض بالنباتات الطبية وزراعتها فى مصر .

٧- اختير رئيسا فخريا مدى الحياة للجمعية العربية لبحوث النباتات الطبية.

٨- انتخب عضوا بمجمع اللغة العربية مجمع الخالدين عام ١٩٨٥م.

٩- نال جائزة الدولة التقديرية فى العلوم لعام ١٩٨٥م .

- سادتى العلماء الأجلاء :

إذا كانت حياةُ الفقيد حافلةً هكذا بالخصوبة والعطاء و بالمنجزات العلمية البارزة حتى غدا رائد العلوم الصيدلية فى مصر والعالم العربى وشيخَ علمائها فإنه كذلك كان على خلق عظيم . كان هادئَ الطبع رقيقَ الحاشية جمَّ التواضع عفَّ اللسان - طيب الخلق وحلوَ الشمائل والسجايا وكان صالحاً وتقيا - تغمدك الله أيها الراحلُ الكريم بواسع رحمته وأنزلك منازل الأطهار والأبرار - فقد كنت فى الحياة نورا يهدى الناس سواء السبيل وستظل فى الممات ذكرى تنفع المؤمنين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمود حافظ

نائب رئيس المجمع

كلمة كلية الصيدلة
فى تأبين الفقيد

للأستاذ الدكتور جمال الدين مهران

الأستاذ الجليل رئيس مجمع اللغة العربية :

السادة الأفاضل أعضاء المجمع :

السادة الحضور الكرام :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد ،،

فإنه يعز على أن أقف هذا الموقف مؤبنا أستاذى الفاضل العلامة الأستاذ الدكتور عبد العظيم حفنى صابر الذي دعاه المولى القدير عز وجل إلى جواره الكريم ، ولأقول كلمةً أودعُ فيها الإنسان، العالمَ الثقَة ، الرفيع النفس النقيَّ الطوية الحميدَ الخصال، العفَّ اللسان . إن الوفاء لأستاذى الفاضل يدفعنى أن ألقى كلمة كلية الصيدلة، الكلية التى تخرج فيها عام ١٩٢٩م وكان ترتيبه الأول ثم عمل بها معيدًا فمدرسًا فأستاذًا مساعدًا فأستاذًا ورئيسًا لقسم العقاقير ثم عميدًا للكلية عام ١٩٥٦ م مع احتفاظه برئاسة القسم إلى أن أحيل للتقاعد عام ١٩٦٦ م. ولم تشغله العمادة عن عمله أستاذا ومعلمًا ينهل الطلاب من علمه الغزير ويعبُّون من ثقافته الوفيرة والعطاء بدأب ونشاط عجيب.

ولقد كان من حظى أن أصحبه أكثر من نصف قرن من الزمان منذ أن التحقت بكلية الصيدلة وتلقيت على يديه مادة العقاقير فى السنة الأولى، ثم كان لي بعد ذلك حظ تدريس هذه المادة معه والقيام بالعديد من الأبحاث عن النباتات الطبية المصرية وتشرفت بمشاركته فى اللجنة الدائمة لدستور الأدوية المصرى التى أنشأها وكان يرأسها وشاركته فى إعداد كتاب الغذاء والدواء فى القرآن الكريم للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .

أما صلة الفقيد رحمة الله عليه بالمجمع فتعود إلى عام١٩٤٨م حين

اختير خبيرًا للجنة علوم الأحياء والزراعة ثم توثقت هذه الصلة باختياره خبيرًا للجنة الكيمياء والصيدلة بعد ذلك بتسعة عشر عامًا ثم توجت بانتخابه عضوًا بمجمع اللغة العربية عام ١٩٨٥م .

وقد أحب رحمه الله المجمع حبًا جمًا وكان يزهو لصحبة علمائه الأماثل الأماجد ويحدثنا كثيرًا عن علمهم الوفير ويقص علينا مواقف طيبة لهم وأخص بالذكر منهم العلامة الأستاذ الدكتور أحمد زكى الكيميائي الأديب صاحب كتاب " سلطة علمية" الذي ، قدم فيه العلم بلغة سليمة مبسطة، ثم دعته حكومة الكويت عام ١٩٥٨م لينشىء مجلة العربى ويرأس تحريرها فأضاء بعلمه وفكره البلدان العربية من مشرقها إلى مغربها .

كذلك المرحوم الأستاذ الدكتور عبد الحليم منتصر العالم النباتي الأديب الذي أسهم في علم النبات ترجمة وتأليفا وتحقيقا وامتاز بأسلوبه الراقى الجميل .

وأيضًا المرحوم الأستاذ الدكتور محمد شرف صاحب المُعجم الطبى الشهير كما أذكر المرحوم الأستاذ الدكتور حامد عبد الفتاح جوهر رائد النشاط العلمي فى مجالات علوم البحار الذي زكاه لعضوية المجمع واستقبله نيابة عن المجمع بأنه العلامة الغزير في علمه وتخصصاته، البليغ فى لغته ، الواسع أفقه ومداركه العلمية واللغوية .

وكان رحمه الله يشيد كثيرًا بعملاق القرن العشرين الأستاذ العقاد منبهرًا بثقافته العالية المتعددة الجوانب التى كانت حاضرة فى كل حين والذي كانت له صولات وجولات عند عرض مصطلحات لجنة علوم الأحياء والزراعة فكان يناقش المصطلحات مناقشة المتخصص ويستعين بأحدث المراجع مما يزكى موقفه ورأيه .

ولقد سعدت كثيرًا برؤية المرحوم الأستاذ عبد الفتاح الصعيدى فى كلية

الصيدلة مع المرحوم الأستاذ الدكتور عبد العظيم يشاركه فى مراجعة "دستور الأدوية المصرى " من الوجهة اللغوية وكان يصفه بأنه لغوى من الطراز الرفيع وكأنه من رواة العربية الأولين .

هذا هو العالم الثقة الذي أخلص للعلم وتفانى فى خدمته وعشق العربية وأحبها وحرص على أن يغذيها بالمصطلحات فى علوم الأحياء والزراعة والكيمياء والصيدلة .

وإن العين على فراقك لتدمع والنفس لتجزع وإنا عليك لمحزونون، نضر الله وجهت وطيب ثراك وتغمدك برحمته وعوض عن فقدك خير العوض .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

جمال الدين حسين مهران

كلمة الأسرة

للأستاذ الدكتور عقيل عبد العظيم حفنى صابر

السيد الأستاذ الدكتور شوقى ضيف رئيس مجمع اللغة العربية :

السيد الأستاذ الدكتور محمود حافظ نائب رئيس مجمع اللغة العربية :

السادة الأساتذة الأجلاء أعضاء مجمع اللغة العربية ورجاله الأفاضل:

السادة زملاء وأحباء والدى المرحوم الأستاذ الدكتور عبد العظيم حفنى صابر :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد ،،

يشرفنى أن ألقى كلمة الأسرة فى حفل تأبين المرحوم الأستاذ الدكتور عبد العظيم حفنى صابر عضو المجمع- والتى أستهلها بالشكر العميق للحفل الكريم والحقيقة أن الكلمات لتعجز عن التعبير عنه ولو تسمحون لى أن أستعرض فى نبذة مختصرة تاريخ حياة والدى المرحوم الأستاذ الدكتور عبد العظيم حفنى صابر فحياته مليئة بالإنجازات العظيمة فى جميع المجالات .

فقد ولد والدى فى ١٧ يناير سنة ١٩٠٨ بقرية المرساة – مركز دكرنس محافظة الدقهلية – وتخرج فى مدرسة الصيدلة جامعة القاهرة في سنة ١٩٢٩م بحصوله على درجة بكالوريوس الصيدلة، والكيمياء الصيدلية وكان ترتيبه الأول وحصل على جائزة مظلوم بك لتفوقه فى البكالوريوس، وجائزة بحرى بك لتفوقه فى علم العقاقير،ولذا عين معيدًا بقسم العقاقير فى نوفمبر سنة ١٩٢٩ ثم أرسل فى بعثة سنه ١٩٣٠م إلى إنجلترا حيث حصل ثانية على بكالوريوس فى الصيدلة سنه ١٩٣٢م من جامعة لندن ثم دكتوراه الفلسفة فى علم العقاقير عام ١٩٣٤ – وعاد إلى القاهرة حيث عين مدرسًا فى قسم العقاقير .

ثم عين أستاذًا مساعدًا عام ١٩٤٥م فأستاذًا مساعدًا (أ) سنة ١٩٤٩م ثم

أستاذًا (ب/ب) سنة ١٩٥١م ثم أستاذًا (ب/أ) ثم أستاذًا (أ) سنة ١٩٥٣ ثم أستاذ علم العقاقير ورئيس قسم العقاقير سنة ١٩٥٦م .

ولما استقلت كلية الصيدلة عن كلية الطب- جامعة القاهرة وأصبحت كلية من كليات الجامعة سنة ١٩٥٥م عين عميدًا لها فى سنة ١٩٥٦م وظلت تتجدد العمادة له كل سنتين حتى سنة ١٩٦٦م- ولم تكن الكلية فى أول عهده مستكملة المقومات بل ينقصها كثير من الإمكانات – فبذل المزيد من الجهد وكرس وقته لها حتى أتم المقومات والإمكانات والأجهزة الفنية والإدارية مما جعلها فى مكانة مرموقة فى الداخل والخارج.

وقد تم تعيينة أستاذًا متفرغًا بعد بلوغه سن المعاش حتى وفاته فى ١١ فبراير سنة ١٩٩٩م .

وللمرحوم الكثير والكثير من النشاطات الجامعية والإنشائية والعلمية والبحثية وسأحاول أن أتذكر بعضًا من هذه النشاطات. فبالنسبة للنشاط الجامعى ساهم بقسط وفير فى جميع الأنشطة الجامعية وكانت له مكانة بارزة فيها جميعا ، أعرضها على النحو التالى:

١) فقد كان رئيسًا لاتحاد جامعة القاهرة سنة١٩٤٩م ثم انتخب رئيسًا للاتحاد العام لطلاب جامعة القاهرة عام ٤٩/٥٠ ثم وكيلاً له من ٥٦- ١٩٦٢ – ثم استمر نشاطه فى الاتحاد كرئيس للجنة الاجتماعية متميزًا بالمشروعات التى أقامها مثل مشروع "اخدم قريتك"ومشروع إسكان الطالبات وغيره كثير.

٢) وقد انتخب رئيسًا لنادى هيئة التدريس- جامعة القاهرة سنة ١٩٥٩م وكان لجهوده وخدماته الناجحة أن أعيد انتخابه سنويا حتى سنة١٩٦٦ وقد نفذ مشروعات كثيرة لصالح الأعضاء .

٣) وأنشأ اتحادًا خاصًا لطلبة الصيدلة سنة ١٩٣٤م وانتخب رئيسًا له ووصل به وأنشطته إلى مصاف الاتحادات الأخرى مما أدى إلى

الاعتراف به سنة ١٩٤٩م اتحادًا ضمن اتحادات كليات الجامعة مع أن الصيدلة لم تكن حتى هذا التاريخ كلية بعد .

أما من ناحية نشاطاته في المجالات الإنشائية فيحضرني أنه قام : -

١) بإنشاء محطة تجارب للنباتات الطبية ووفر لها المباني اللازمة لتتضمَّن معملا للتحاليل الأولية وصوبة لزراعة النباتات تحت العوامل المختلفة وزاد مساحتها تدريجيًّا من ٢,٥ فدان إلى ١٢,٥ فدان وقد نجح في استزراع حوالى ٣٠٠ نوع من النباتات المصرية البرية والنباتات الطبية الأجنبية فيها .

٢) وأنشأ مكتبة بالكلية زودها بالكتب والمراجع والدوريات بما زاد على سبعة آلاف مجلد .

٣) وأنشأ قسمًا جديدًا للأقربازين بمعامله وأجهزته المستحدثة.

٤) وأنشأ معملاً مركزيًّا موحدًا لأحدث الأجهزة العلمية المتقدمة فكلن أول مركز من نوعه في الجامعات في ذلك الحين .

٥)وساهم في إنشاء الجمعية التعاونية لتوريد وإنتاج الأدوية عام ١٩٤٣م وانتخب سكرتيرًا لها وكانت مهمتها كسر احتكار تجارة الدواء، وكانت أغلبها في يد غير المصريين، ونجحت في ذلك .

أما عن نشاطه العلمي فهو لم يكن يدخر جهدًا في سبيل النهوض بالعلم، وقد كانت لمدرسته العلمية التي أولاها العناية الكاملة مكانتها العلمية المرموقة داخليًّا وخارجيًّا كما كان لها ثقلها المتميز في جميع المجالات الدولية وأرسى لها أهدافها وقد خلف وراءه في هذه المدرسة أعلامًا بارزين في عالم الصيدلة .

وله ما يزيد على ١٢٠ بحثًا منشورًا في المجلات العلمية في الداخل والخارج وذلك في مختلف الدراسات والمجالات الخاصة بالعقاقير والنباتات الطبية .

وقد أشرف على ٢٣ رسالة ماجستير ودكتوراه، و ابتكر طريقة

لتقدير كميات مساحيق العقاقير باستعمال الميكروسكوب، ولدقتها وسهولة إجرائها أدخلت فى دساتير الأدوية ومازالت متبعة فى أحدث الدساتير الإنجليزية والأوربية والمصرية .

وقد ألف كتابًا فى العقاقير أعاد طبعه وتنقيحه أربع مرات وهو مازال المرجع الأساسي لهذا الفرع .

وشارك فى تأليف كتاب تاريخ الصيدلة عند العرب والدليل القومى للأدوية بمصر .

وقام بوضع قاموس عربى/إنجليزي– وإنجليزى/ عربى للمصطلحات والألفاظ الفنية الواردة فى دستور الأدوية المصرى .

وأسهم وأشرف على تحضير الإصدار الأول لدستور الأدوية المصرى سنة ١٩٦٣م ثم الإصدار الثانى سنة ١٩٧٢م وكذلك الإصدار الثالث سنة ١٩٨٤م – وهو أول دستور أدوية صدر باللغة العربية .

وقد كان رئيسًا للجنة الدائمة لدستور الأدوية المصرى منذ عام ١٩٧٨م .

وكان عضوًا فى اللجنة الدائمة لترقية الأساتذة المساعدين بالجامعات المصرية .

و كذلك كان عضوًا بجميع اللجان الخاصة بالأدوية .

وكان خبيرًا بمجمع اللغة العربية فى لجنة الأحياء والزراعة سنة ١٩٤٨م وكذلك لجنة الكيمياء والصيدلة بالمجمع سنة ١٩٦٧م وكان أحد أعضاء اللجنة الثلاثية المكلفة من قبل مجمع اللغة العربية لإصدار القاموس البيولوجي وقاموس الكيمياء والصيدلة صدر من كل منهما الجزء الأول والثاني.

وقد انتخب عضوًا بمجمع اللغة العربية فى فبراير سنة ١٩٨٥ م .

واختير عضوًا بلجنة جوائز الدولة التقديرية سنة ١٩٨١م وكذلك لجنة الجوائز التشجيعية .

كما عين عضوًا فى مجلس الثروة النباتية بأكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا ١٩٧٥-١٩٧٩ م.

وكذلك مجلس البحوث الطبية ١٩٧٨-١٩٧٩م كما عيِّن مقررا للجنة الإشراف على المشروع القومي للنهوض بالنباتات الطبية وزراعتها فى مصر .

وقد شارك وساهم فى جميع المؤتمرات الصيدلية المصرية والعربية والدولية ونال الميدالية الذهبية لأحسن بحث ألقى فى مؤتمر اتحاد الصيادلة العرب سنة ١٩٧٠م وهو عضو بارز فى العديد من الجمعيات والهيئات : -

١) فقد انتخب عضوًا فى الأكاديمية المصرية للعلوم سنة ١٩٦٠ م .

٢) انتخب عضوًا عاملاً فى المجمع العلمى المصرى .

٣) انتخب عضوًا فى مجلس العلوم الأساسية فى أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا وعضوًا بلجنة النباتات الطبية بالأكاديمية سنة ١٩٧٤م ثم رئيسًا لها سنة ١٩٧٩م .

٤) وبصفته رائد بحوث النباتات الطبية فى مصر فقد اختارته الجمعية العربية لأبحاث النباتات، الطبية رئيسًا فخريا لها مدى الحياة .

٥) وهو عضو شرف، فى الجمعية الصيدلية العربية مدى الحياة .

٦) وعضو فى اللجنة القومية لتاريخ وفلسفة العلوم المصرية .

وقد قامت الدولة بتكريمه وتقديره بمنحه :

١) جائزة الدولة التقديرية للعلوم الطبية فى سنة ١٩٨٥م .

٢) الميدالية الذهبية ووسام الاستحقاق من الطبقة الأولى سنة ١٩٨٩م لنيله جائزة الدولة التقديرية .

٣) وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى سنة ١٩٧٣م تقديرًا لجهده الممتاز فى تحضير وإصدار دستور الأدوية المصرى سنة ١٩٧٢م .

٤) وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى سنة ١٩٨٠ م تقديرًا لحميد صفاته وجليل خدماته للدولة .

٥) الميدالية الذهبية التقديرية لجمعية الصيدلة المصرية سنة ١٩٧١م لمكانته العلمية وتقديرا لجهده فى خدمة

الصيدلة وتنمية العلوم الصيدلية– وهو أول من حصل عليها .

٦) درع هيئة الأدوية سنة ١٩٨٦م.

٧) ودرع جمعية الصيدلة المصرية سنة ١٩٨٩م.

ورغم هذا التاريخ العلمى والعملى الحافل، وهذا الجهد المضنى فى خدمة علوم الصيدلة التى جعلت منه رائدًا للصيدلة فى عالمنا العربى الحديث إلا أن كل هذا لم يشعرنى يومًا أنه كان يسعى لجاه أو سلطان فضرب بذلك مثلا للعالم الصادق .

وكذلك لم يكن كل هذا الجهد على حساب بيته أو أسرته فكان يرحمه الله نعم الأب الحنون الذى يسهر على راحة أبنائه ... ونعم القدوة ..فقد كانت حياته اليومية بين أسرته مثلاً أخلاقيا يحتذى فقد كان التزامه التزامًا لاتهاون فيه حتى أن متتبع حياته اليومية كان لا يستطيع أن يأخذ عليه أى هنة يمكن أن تلتصق بصفاته. على أن أبرز ما كان فيه ذلك التوازن فى علاقاته جميعها، مع خالقه سبحانه وتعالى، ومع أسرته الصغيرة – ومع أسرته الكبيرة ومع جيرانه فلم تختل علاقاته يومًا ولم يجنح فى اتجاه على حساب اتجاه آخر.

كان يرحمه الله يتصف بالخلق الكريم وبالهدوء والتواضع والصبر ، حتى فى أيامه الأخيرة، ورغم مرضه وتقدمه فى العمر فهو لم يتخل يوما عن هذه الصفات حتى آخر لحظاته.

رحم الله فقيد الصيدلة العظيم... وفقيد مصر البار وفقيدنا الحنون – وأنزله منازل الأبرار .

وإنا لله وإنا إليه راجعون

عقيل عبد العظيم

نجل الفقيد

كلمة الختام

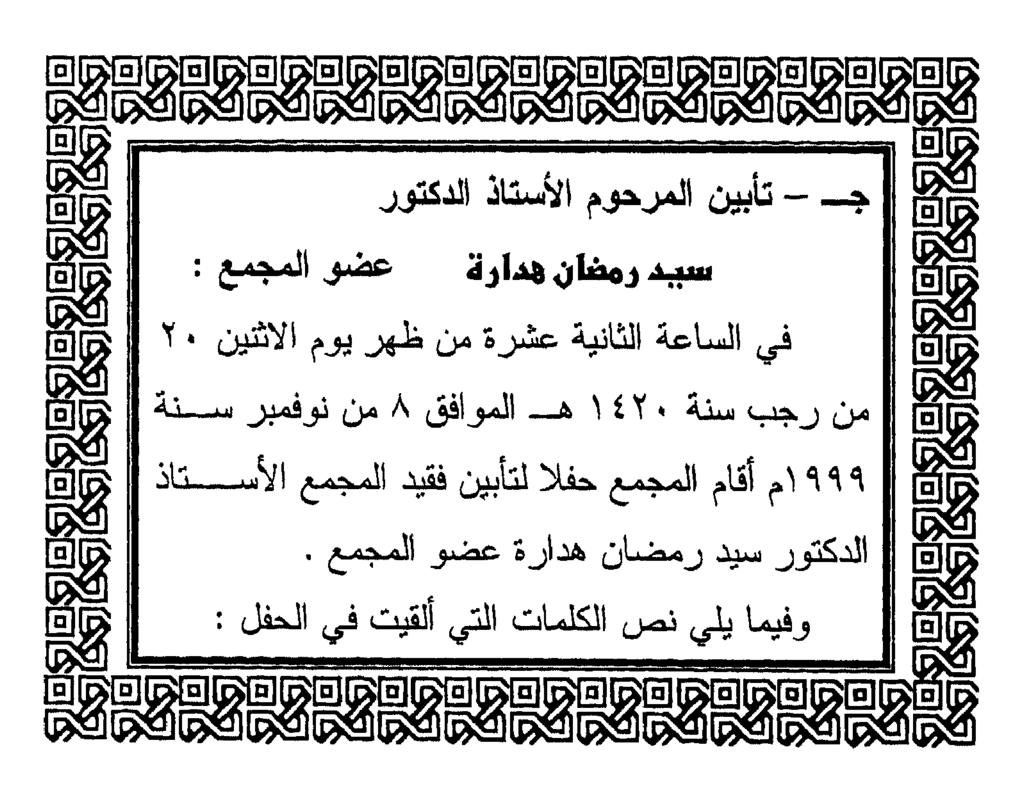
للأستاذ الدكتور شوقي ضيف

رئيس المجمع

أيها السادة : أقـدم لحضراتكم الشكر لاشتراككم معنا فى تكريم الراحل يوم وداعه ، وأقدم الشكر أيضًا للأساتذة : الدكتور محمود حافظ، والدكتور جمال مهران ، والدكتور عقيل حفنى صابر ، للكلمات الطيبة التى نثروها أمامنا فى هذا اليوم.

كم نحن محزونون لفراقنا له، ولكن هذه هى الحياة ليس للموت موعد محدد ، وكل إنسان لابد يومًا أن يصل إلى هذه النهاية المحزنة، وأكرر الشكر لحضراتكم جميعًا ، وأقدم العزاء الخالص لأسرة الفقيد باسمى وباسم أعضاء المجمع.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



جـ - تأبين المرحوم الأستاذ الدكتور

سيد رمضان هدارة عضو المجمع :

في الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم الاثنين ٢٠ من رجب سنة ١٤٢٠ هـ الموافق ٨ من نوفمبر سنة ١٩٩٩م أقام المجمع حفلا لتأبين فقيد المجمع الأستاذ الدكتور سيد رمضان هدارة عضو المجمع .

وفيما يلي نص الكلمات التي ألقيت في الحفل :



كلمة الافتتاح

للأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع

إنه ليعز على نفسى كثيرًا ويحزنها أن نجتمع اليوم لنودع زميلاً عزيزًا علينا جميعًا هو الدكتور العلامة سيد رمضان هدارة عضو المجمع الراحل الذى طالما قدم للمجمع أعمالا علمية. منذ أن اختير خبيرًا بلجنتى الفيزيقا والرياضيات،وبعد ذلك لكفاءته العلمية اختير عضوا عاملا مدة طويلة، ونحن جميعا نؤمن أنه لا مفر من الموت وأن كل نفس لا بد أن تذوقه ولا نملك سوى الاستسلام لقضاء الله العلى العظيم الذى لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ، ولا نملك إلاّ أن ندعو الله أن يرحمه وأن يسكنه جنته ، وأن يلهم آله الصبر والسلوان.

وقد حرص الزميل الكبير الأستاذ الدكتور محمود مختار عضو المجمع وأستاذ الراحل الكريم وزميله أن ينوب عن المجمع فى إلقاء كلمة التأبين . وكان من واجبى ومن حق الفقيد العزيز على المجمع وعلى الوسط العلمى كله أن أجلو سيرته العلمية الحافلة منذ نشأته حتى لقاء ربه بتفصيل كبير يليق بمكانته العلمية الكبيرة ولكن هذا المقام المحدود لا يسمح إلا بأن أوجز ذلك ما أمكن، وأن أجمع أطرافه فى أضيق ما يكون معتذرا مسبقًا عن عدم إيفائه حقه من التكريم .

فقيدنا العزيز ولد فى عام ١٩٢١م. وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوى حتى حصل على شهادة الدراسة الثانوية عام ١٩٣٨م فأنس فى نفسه الرغبة لدراسة العلوم الأساسية وبخاصة الفيزيقا والكيمياء والرياضيات فالتحق بكلية العلوم، وكانت هى الكلية الجامعية الأولى فى العالم العربى. وتخرج منها بدرجة البكالوريوس الخاصة فى الفيزيقا مع مرتبة الشرف الأولى عام ١٩٤٢م

وعين معيدًا بقسم الفيزيقا حيث أتيحت له الفرصةُ لمواصلة الدراسة والبحث وحصل على درجة الماجستير عام ١٩٤٦م . فأوفدته الجامعة إلى إنجلترا حيث التحق بجامعة مانشستر وتخصص فى قياسات الأشعة الكونية، وهى الأشعة التى تغمر الأرض قادمة من أغوار الكون السحيقة حاملة معها العديد من أسراره وخباياه التى تنم عن الإعجاز المتناهى فى الخلق والإبداع، وكانت هذه الدراسة فى أول عهدها بالعالم كله. وعاد لمصر متوجًا بدرجة الدكتوراه حيث عين مدرسًا بقسم الفيزيقا. وفيه عُهد إليه ببناء أول مطياف لقياس الأشعة الكونية فى مصر وما تحويه من ميزونات مشحونة وغير مشحونة، وهى جسيمات ذات كتل متوسطة بين الإلكترون والبروتون واجتذبت مدرسته عددًا من طلاب الدراسات العليا للتخصص فى القياسات الإشعاعية عامة والكونية خاصة. وسرعان ما انتشروا فى مراكز البحث والجامعات. وكان من أبرز هذه المراكز كليةُ العلوم بجامعة الإسكندرية والمعهدُ القومى للقياس والمعايرة، الذى أسهم الدكتور هدّارة نفسه فى تأسيسه وبنائه حتى جعل منه مرجعًا دوليًّا للقياسات الإشعاعية عامة المنبعثة من المواد المشعة النووية وتفاعلاتها مع المادة الحية وغير الحية وحصل فيها عدد كبير من الطلبة على درجتى الماجستير والدكتوراه.

كلمة المجمع فى تأبين الراحل الكريم

للأستاذ الدكتور محمود مختار عضو المجمع

السيد الأستاذ الدكتور شوقى ضيف رئيسُ المجمع :

سادتى الزملاء الكرام أعضاء المجمع

السيدات والسادة من أسرة الفقيد الكريم :

سيداتى وسادتى :

كم هو أليم على نفسى ، أنا الذى سبق لى أن وقفت فى هذا المحراب منذ زمن قريب، أنوب عن المجمع فى استقبال ابن عزيز وأستاذ كبير هو الدكتور سيد رمضان هدارة، وأرحب به عضواً عاملاً فى مجمع الخالدين، أقول: كم هو أليم على نفسى أن أقف اليوم فى المحراب نفسه لتوديعه وتأبينه. ما كنت أتصور أننى سوف أقف منه هذا الموقف بل كنت أتوقع العكس، كنت أتوقع أنه هو الذى سوف يقف هذا الموقف منى.

سادتى :

أجد نفسى عاجزا عن أن أجد عبارة أستهل بها هذا الحديثَ الحزين فأعود بذاكرتى لأكررَ ما سبق أن قاله فيه شيخ العلميين ورائدُهم فى مصر المرحوم الأستاذ مصطفى نظيف عندما رشحه خبيرًا علميًّا بالمجمع حيث قال : " أقدم للمجمع عالِمًا من علماء الفيزيقا الحديثة له منزلة مرموقة فى الدراسة والبحث العلمى واللغوى تبشر بمستقبل وضاء فى خدمة رسالة المجمع وأهدافه ". هذه الشهادة وهذا الوسام قد حققته الأيام والسنون بل زادته قوةً على قوة وتأكيدًا على تأكيد.

وحصل الدكتور سيد رمضان هدارة على أوسمة تقدير علمية، منها وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى تقديرًا لمكانته العلمية الممتازة. وبإنشاء أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا ووزارة البحث العلمى عين الدكتور هدارة أول أمين عام لها

بدرجة وكيل وزارة البحث العلمي. وفي هذا المنصب العلمي الإداري الكبير أثبت الدكتور هدارة كفاءة ممتازة بوضع أسس التعاون والتآلف بين الجامعات ومراكز البحث العلمي. ومن ثم عُهد إليه بإنشاء أولِ معهد قومي يُعنى بجميع أنواع القياسات والمعايير. وكان يسمى عندئذ المعهد القومي الفيزيقى على غرار أمثاله في البلاد المتقدمة.

ولم يقتصر النشاط العلمى لفقيدنا الكريم على التعليم والبحث العلمي فحسب بل امتد إلى المجالات العلمية والثقافية الرفيعة فقد كان عضوًا بارزًا في الجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية التي أنشأها الدكتور على مصطفى مشرفة، وعضوًا مؤسِّسًا للجمعية الفيزيقية المصرية، وعضوًا بالمجمع العلمي المصري والجمعية العامة للثقافة العلمية. وكان عطاؤه وافرًا ومتميزًا في اللجنة القومية للفيزيقا البحتة والتطبيقية التي تمثل مصر في الاتحاد الدولي للفيزيقا حتى أصبح نائبًا لرئيسها لسنوات طويلة .

سادتي :

هذا عرض عابر للنشاط العلمي للفقيد، أما الدكتور سيد رمضان هدارة المجمعي فهو أكثر بريقًا وبهاءً. فقد أعطى اللغة العربية الكثير والكثير حتى قبل أن يحظى بدخوله خبيرًا. كان هذا المثل الرائع للعالم المتفتح هو الطريق الذي قاده إلى المجمع فدخله بقدم راسخة وقلب واعٍ. وبعد أن أصبح خبيرًا علميًّا لبضع سنوات انتخب بجدارة عضوًا عاملاً ليصبح دعامة قوية في لجانه العلمية الفيزيقية والرياضية والحاسبات .

وبتعيينه عضوًا عاملاً بالمجمع شُغل بقضية القضايا في الوطن العربي وهي قضية اللغة العلمية العربية وتعريب العلوم في الكليات العلمية التطبيقية الجامعية، حتى أصبح من أكبر دعاتها، إيمانًا منه بأن اللغة العربية هي واجهةُ الأمةِ العربية. وأن

العلم ليس دخيلاً عليها بل إنه عنصر أصيل فيها. وقد عبر عن ذلك فى أحاديث كثيرة أذكر منها على سبيل المثال قوله : " إن اللغة التى ظلت على مدى العصور البعيدة لغة الدين والأدب والإنسانية صالحة صلاح الإسلام نفسه فى جميع أنشطة البشر لا يمكن أن تعجز أو تتخلف عن ارتياد آفاق العلم التطبيقى الحديث بنفس القدرة والكفاءة. وهى وإن كانت تأخرت بعض الوقت عن هذا الركب الحضارى تحت ضغط الهجمات الاستعمارية الشرسة إلا أنها ما زالت تحتفظ بعنصر الأصالة الكامن فيها. أما المزاعم التى يرددها دعاة الهزيمة بقصورها عن مجاراة العلوم الحديثة فتلك هى السياسة الاستعمارية التى ينتهجها المستعمر ليشدد من قبضته على البلاد النامية سياسيًّا واقتصاديًّا ".

ومن مأثور كلماته عن تعريب التعليم فى الكليات العملية يقول الدكتور هدارة" إن تلقى العلم بلسان أجنبى كارثةٌ بعيدةُ الأثر لإعاقة التقدم الحضارى ودعوةٌ مرذولة لسياسة التبعية والانتماء الفكرى وجريمة فى حق اللغة العربية". وللدكتور هدارة آثار بناءة فى كيفية اختيار ووضع المصطلح العلمى العربى يقول فى أحدها" إن السلوك اللغوي للفظ قد يكون مطاطا فى بعض التعبيرات فى الشعر وفى الفن لإضفاء ما يتطلبه التعبير من تجاوز عن دلالته اللفظية المباشرة إلى دلالات مجازية أو إيحائية أو فنية، أما اللغة العلمية فأسلوبها وحيد الدلالة لا يقبل الإيحاء أو الغموض أو اللعب بالألفاظ تحت أى مسمى ".

بهذه الآراء السديدة والتوجيهات الحميدة شارك الدكتور هدارة فى وضع أسس اختيار المصطلح العلمى العربى، كان أولها الأخذ بترجمة المصطلح الأجنبى إلى العربية ترجمة دقيقة، ولا يُلجأ إلى تعريبه إلا عند استعصاء الترجمة وعلى أن يخضع

اللفظ المعرب لقواعد وأصول مقننة أقرها مجلس المجمع لتضمن سلامة البنية الأساسية اللغوية، كما يلزم العنايةُ بإلحاق المصطلح العربي بتعريف واضح لمدلوله العلمي .

واهتم الدكتور هدارة بموضوع الرموز والدلالات العلمية وكتابة المعادلات الفيزيقية والرياضية والكيميائية بأسلوب يتمشى مع طبيعتها واستخداماتها التطبيقية. وقد دعاه مجمع اللغة الأردُنى للمشاركة فى مؤتمر خاص لدراسة هذا الموضوع وإخراج كتاب عن هذه الرموز وكتابتها، وقد أسهم الدكتور هدارة إسهامًا كبيرًا فى أعمال المؤتمر ثم فى إخراج الكتاب المطلوب الذى تولى المجمع الأردُنى نشره فى الأوساط العلمية العربية . بهذه الروح الوثابة والآراء الناضجة أسهم الدكتور هدارة فى إخراج أول معجم للفيزيقا النووية والإلكترونيات منذ أكثر من ربع قرن. ثم أسهم فى إخراج أول معجم شامل لألفاظ الفيزيقا الحديثة يحوى أكثر من ٥٠٠٠ مصطلح حديث معرَّف تعريفًا معجميًّا مقننًا. وأخيرًا كان له الإسهام الأول فى إخراج معجم لألفاظ الحاسبات الآلية والمعالجة الإلكترونية للمعلومات والاتصالات .

وأيد الدكتور هدارة كلَّ هذه الآراء والإنجازات تأييدًا عمليًّا وذلك بتأليف عدد كبير من الكتب والمراجع العلمية الدراسية والثقافية أذكر منها :

- خواص المادة والصوت .
- الكهرباء والمغنطيسية .
- الضوء والألوان .

ومن الكتب الثقافية العلمية رفيعة المستوى :

- قصة الطيران . - الطاقة الذرية .
- باقة من الأضواء .

كما ترجم عددًا كبيرًا من المراجع والكتب العالمية العلمية أذكر منها :

- علم الطبيعة لـ " هيزنبرج ".
- علم الطبيعة لـ" هارفى هوايت ".
- تجارب فى الذريات لـ "برانلى ".

- مقدمة فى الفيزيقا النووية والذرية والجسيمات .
- المبادئ الأساسية فى الفيزيقا النووية لـ " برنجر".
- تطور النظرية الذرية.
- آفاق العلم لـ " بارل ".
- المعرفة والتساؤل لـ " فايسكوف".
- رحلة إلى الفضاء لـ " دوبرى ".
- كوكبٌ اسمُه الأرض لـ"جاموف".
- حملة المشاعل التكنولوجية .
- الحياة والطاقة لـ " ريموف ".
- هذا الهواء وهذا الماء لـ "بوتاربرت".
- الذرات والطبيعة والإنسان .
- استكشاف الفضاء .
- عصر الفضاء .

وظل عطاء الدكتور هدارة وافرًا متواصلاً فى لجان المجمع ومجلسه ومؤتمراته وفى معظم الهيئات العلمية والتعليمية والبحثية حتى قعد به المرض عن حضور اللجان والمجالس ولكنه ظل ماثلاً وحاضرٌ فيها بشخصيته الوضاءة وآرائه وأعماله المجمعية الخالدة .

سادتى : لقد كانت خسارة مصر وخسارة المجمع فيه فادحة بعد أن ترك فراغًا ليس من السهل أن يشغلَه سواه وأننا إذ نبكى الدكتور هدارة اليوم عضوًا مجمعيًّا خالدًا نبكيه أيضًا علَمًا من أعلام الفيزيقا فى مصر ورائدًا من رواد العلوم الحديثة .

هذا أيها السادة عرض عابر وسريع للسيرة العلمية لفقيدنا الكبير الذى نجتمع اليوم لتوديعه وتكريمه وتأبينه .

سيدى الرئيس ، سيداتى وسادتى :

أستأذنكم فى أن أختتم هذا الرثاء الحزين بالآية الكريمة التى نادى بها رب العرش العظيم عباده المخلصين الأبرار بقوله:«يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى» .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

محمود مختار

عضو المجمع

كلمة الأسرة

للسيدة قرينة الفقيد الراحل

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الأستاذ الدكتور رئيس المجمع:

السادة الأعضاء السيدات والسادة :

أشكركم شكرا جزيلا على هذه الجلسة الكريمة لتأبين زميلكم الدكتور سيد رمضان هدارة فقد عرفتموه أستاذًا أحب جامعته وطلابه، وعرفتموه عالمًا شغوفًا بعلمه غيورًا، وعرفناه نحن رب أسرة، زوجًا وأبًا وأخًا معطاء حنونًا متفائلاً دومًا، لا يعرف إلا الصدق والوضوح فلا أذكر أنه قال يومًا كلمةً لها أكثرُ من معنى،ولم يكن ليبخل أبدًا على أحد بأى عون مهما كانت طبيعة هذا العون فقد كانت سعادته هى إسعاد الآخرين وتيسير سبل حياتهم إن استطاع – مؤثرا الجميع على نفسه – لا يطلب لها شيئا أبدًا. وحينما ابتلى بمحنة المرض قابلها مؤمنًا صبورًا مملوءًا بأمل كبير أدهش أطباءه وزائريه – وظلت سماحتُه على حالها لم ينل منها المرض شيئا إلى أن ثقلت عليه وطأتُه وعجز عن المقاومة – حينئذ أدركته رحمةُ ربه فشفاه من آلامه المريرة بانتقاله إلى رحاب رحمته الواسعة الكريمة، ولكن الدكتور سيد رمضان لم يمت . إنه يعيش فى قلوبنا وعقولنا ووجداننا كله، بل هو ما يزال يعطى، يعطى من خلال كل سطر ألفه، وكل كلمة ترجمها. يعطى العلم لطالبيه ويجيب على أسئلة السائلين ، ويعطينا نحن الأمل الدائم فى رحمة المغفور الكريم رحمه الله رحمة واسعة وجعل مقامه نعيم جناته وألهمنا الصبر على فراقه .

أيها السادة :

أكرر الشكر لكم جميعا على هذه اللفتة الكريمة وأدعو الله أن يمتعكم جميعا بالصحة والعافية ، ويكرمكم فى حياتكم المديدة بإذن الله ، إنه هو السميع المجيب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة الختام

للأستاذ الدكتور شوقى ضيف رئيس المجمع

أيها السيدات والسادة :

نشكر حضراتكم لتشريفكم المجمع ، ومشاركتكم لنا فى تأبين الراحل الكريم، وأشكر الزميل العزيز الدكتور محمود مختار لقيامه بتأبين تلميذه وزميله الدكتور سيد رمضان هدارة تأبينا جامعا لسيرته العلمية ولجهوده التى طالما غذى بها الجهات العلمية المختلفة التى عرفته عالمًا فذًّا ، كما غذى بها مجمعنا، بالإضافة إلى خلقه الكريم الذى تجلى فى كلمة السيدة الجليلة حرمه، ونحن نشكرها ونقدم عزاء المجمع لها ولكم.

وتغمد الله الراحل الكريم برحمته، وجزاه على ما قدمه لأمته من أعمال علمية جليلة خير الجزاء إن شاء الله . وهو خسارة كبيرة للوطن بعامة وللعلميين بخاصة .

وأكرر الشكر لحضراتكم جميعا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر
٩٢ ش قصر العينى - القاهرة ت: ٧٩٥١٨١٠ - ٧٩٥١٨١٨



